

سلسلة الرسائل الجامعية (١)
ثقافة
الطفل المسلم
مفهومها - وأسس بنائها
إعداد
أحمد بن عبد العزيز الحليبي
بإشراف
الدكتور محمد رأفت سعيد
دار الفضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم الثقافة الإسلامية بالرياض ومنح صاحبها درجة الماجستير بتقدير ممتاز وذلك في عام ١٤٠٩هـ.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فمن المؤكد أن لكل أمة من الأمم مبادئ وقيماً ومفاهيم ومواقف تمثل شخصيتها الظاهرة، وتعبر عن نظرتها للحياة، وتنم عن تصورها للوجود، فتحرص على استمرارها، والمحافظة على كيانها، ووقايتها من عوارض الزمن، وصراع الأفكار، وتبذل في سبيل رسوخها وثباتها كل ما تملك من نفس ونفيس، وجهد جهيد.

ويقول الأستاذ عمر عودة الخطيب: (ليس يعرف في تاريخ الأمم ـ ماضيها وحاضرها ـ أن واحدة منها أهملت في نشر ثقافتها، أو تركتها تذوب في ثقافة غيرها، أو تتلاشى في عقول أبنائها لتحل محلها ثقافات أخرى طارئة غريبة)[1].

وإذا كان هذا شأن كل ثقافة في كل أمة، فإن الحرص على الثقافة الإسلامية ونشرها وتوريثها للأجيال القادمة أدعى وأولى، فهي فكرُ دينٍ ختم الله به الرسالات، وتصور رسالةٍ بُعث نبيها للعالمين، ونظرةُ حق ورثت للبشرية هداية ونفعاً، ومنهجاً خلاقاً ملأ الأرض عدلاً ونوراً.

وإن أقرب مسلك يحفظ لهذه الثقافة استمرارها، وأجدى وسيلة تضمن لها قوّتها وحيويتها، هو بناؤها في نفوس الناشئة بناء يبذر عناصرها منذ وجودهم في أحضان أمهاتهم، ويَعَوِّدُهم النشأة عليها وهم في مدارج طفولتهم؛ لتتأهل

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية/ ١٣.

نفوسهم لأداء دورهم في الحياة إذا بلغوا سن الرشد بعد أن تُؤمنَ قلوبُهم، وتهتدي عقولُهم، وتستقيمُ جوارحُهم. عندها يُكتبُ للثقافة الإسلامية التمكينُ، ويُبنىٰ مستقبلُ الأمة الزاهر المتمثلُ في بناء أجيالها. ومن هنا تظهر أهمية تثقيف الناشئة.

ويزيد ذلك تأكيداً واقع الطفل المسلم المتردي، وما يتعرض له من غزو ثقافي أحاط به من كل جانب، واستهدف تغريب فكره، وزعزعة عقيدته، وتشكيكه في تعاليم دينه، مستخدماً وسائل متعددة، محفوفة بالبريق اللامع، والمظهر الجذاب، تخطف عينه، وتستولي علىٰ عقله، فينخدع بها، ويقع في شَرَكِها ولا مُنْقِذَ له ولا بديل.

لهذه الأهمية وحاجةِ الناس الماسة لإبرازها، والتعريف علىٰ خطورتها والمشاركة في إيجاد البديل المستمد من مصدري ديننا الكتاب والسنَّة، ومن فهم علماء أمتنا الأبرار عزمت علىٰ دراسة ثقافة الطفل المسلم من جهتي مفهومها وأسس بنائها، وكانت دواعي اختياري لهذا الموضوع ـ والتي شجعتني علىٰ بحثه ـ ما يلي:

١ ـ قراءتي لمجلة الأمة القطرية العدد الرابع عشر من السنة الثانية صفر عام ١٤٠٢هـ حيث استوقفني حوار تحت زاوية قضايا معاصرة بعنوان (الغزو الفكري لأطفالنا كيف نواجهه؟) أجري بين خبراء في تربية الطفل وصحافته. لفت نظري هذا الموضوع، وهالني ما يتعرض له الطفل المسلم من سيل عارم من المؤلفات والمجلات والصحف الأجنبية المعربة التي حاصرته، وقدمت له الغث والسمين، مستهدفة مسخ شخصيته وتشويه فكره.

٢ ـ بعد اقتناعي بالفكرة تذكرت أنَّ عاماً دوليًّا للطفل قد انصرم وقدأثار اهتمام العالم به وبحقوقه مما دفعني إلىٰ البحث عن حصاد هذا العام من البحوث

والاهتمامات الفكرية ، انتهيت منه إلىٰ أن ما طرح فيه من بحوث باللغة العربية تخص ثقافة الطفل لم تخرج غالباً عن زاويتي : تربيته وأدبه .

٣ ـ أهمية إبراز دور الإسلام في بناء ثقافة الطفل المسلم بديلاً للتثقيف الوافد الذي يتعرض له الطفل المسلم في دياره ، والتعريف بالعوامل المؤثرة فيه بناءً وهدماً .

٤ ـ الشعور بالمسئولية أمام هذه المرحلة الخطيرة من حياة الإنسان وما تؤدي إليه من نتائج في مستقبل العالم الإسلامي سلباً وإيجاباً والتي تكاد أن تكون مهملة في الدراسات الإسلامية أو لم توفَّ حقها بعد .

٥ ـ التجاوب مع اهتمام الجامعة ، بمعالجة قضايا الطفل المسلم والعمل علىٰ تقديم الزاد الفكري المتكامل والمتلائم مع طبيعته ونظرة الإسلام المهتدية بنور التوحيد للناشئة المسلمة والذي لقي صدىٰ لدىٰ بعض أساتذة الجامعة تبلورت بدايته في إصدار قصص إسلامية للأطفال واليافعين وبعض البحوث المتعلقة بقضاياهم . وفي القريب انعقدت في رحاب الجامعة ندوة الأدب الإسلامي في الفترة من ١٦ ـ ١٩ رجب ١٤٠٥هـ وكان في قمة اهتمامها أدب الأطفال .

لذا رأيت ضرورة بحث هذا الموضوع من وجهة نظر إسلامية ، فاستعنت بالله تعالىٰ ودعوته أن يلهمني السداد في موضوع جديد يحتاج إلىٰ من هو أغزر مني علماً وأقدر علىٰ التأصيل . ولقد بذلت جهدي القاصر فيما لا بد من خوض غماره والوصول فيه إلىٰ نتيجة عسىٰ أن أستشير بها اهتمام أساتذتي المفكرين وعلماء الأمة الحريصين علىٰ مستقبلها ونشأة الأجيال علىٰ الإسلام وهديه وفكره .

وقد قسّمت هذا البحث إلىٰ : **باب تمهيدي ، وبابين رئيسين وخاتمة** . أوجز

فيما يلي ما تناولته فيها:

- **التمهيد**: أفردته باسم (**باب**) لما رأيت من ضرورة وقوف القارئ على تصور سريع لمفهومي الطفولة والثقافة لتتضح له طبيعة هذه المرحلة وحقيقة أصل الثقافة والمقصود منها.
- **الباب الثاني**: (**مفهوم ثقافة الطفل المسلم**)، قسمته إلى ثلاثة فصول:
  - **الفصل الأول**: بينت فيه المقصود من تثقيف الطفل المسلم.
  - **الفصل الثاني**: بينت فيه الضوابط التي يلزم أن يتقيد بها التثقيف الإسلامي.
  - **الفصل الثالث**: بينت فيه العوامل المؤثرة في التثقيف متناولاً بالدراسة أهم قوى المجتمع تأثيراً وموضحاً أصالتها في التثقيف وأثرها الإيجابي في البناء والسلبي في الهدم.
- **الباب الثالث**: (**أسس بناء ثقافة الطفل المسلم**)، وقد قسّمته إلى ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول**: (البناء الإيماني)، وهو القاعدة التي يقوم عليها تثقيف الطفل المسلم. ولقد تناولت الفصل في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بينت فيه مفهوم الإيمان لغة واصطلاحاً ومعنى الإيمان بالأركان الستّة وسماتها ومعنى إيمان الطفل.

المبحث الثاني: بينت فيه أهمية هذا البناء في تكوين ثقافة الطفل المسلم مبرزاً أوجه هذه الأهمية.

المبحث الثالث: وضحت فيه أهم الطرق العاملة على بناء هذا الجانب.

- **الفصل الثاني**: (البناء الفكري) وتناولته في مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: بينت فيه مفهوم الفكر ومتى يكون إسلامياً ووضحت موقف

الإسلام منه وأوجه رعايته له وأشرت إلىٰ مستويات تفكير الطفل .

المبحث الثاني : تناولت فيه أهمية الفكر الإسلامي ومردود بنائه علىٰ الطفل المسلم .

المبحث الثالث : وضحت فيه أهم الطرق المؤدية إلىٰ بنائه وتكوينه .

• **الفصل الثالث** : (البناء العبادي) قسمته إلىٰ مباحث ثلاثة :

المبحث الأول : وضحت فيه مفهومه من حيث اللغة ومعناه العام والخاص ، وسمات الشعائر التعبدية .

المبحث الثاني : وضحت فيه أهمية البناء العبادي في بناء شخصية الطفل المسلم وأثره في تهيئة الشخصية المسلمة العابدة .

المبحث الثالث : بينت فيه أهم الطرق البانية للعبادة في نفس الطفل وأثرها في بناء ثقافته .

ثم الخاتمة وفيها لخصت أهم الأمور التي تعرضت لها في البحث والنتائج التي وصلت إليها من خلاله .

وبعد : فهذا عرض سريع لما سار عليه البحث ، حامداً الله تعالىٰ الذي أعانني علىٰ إتمامه متطلعاً إلىٰ توفيقه وإرشاده .

وهنا لا بد أن أسجل في ختام هذه المقدمة شكري وتقديري من باب العرفان بالجميل وحفظ المعروف لأهله لفضيلة أستاذي د. **محمد رأفت سعيد** ، الذي تفضل مشكوراً بالإشراف علىٰ هذه الرسالة فكان لتشجيعه وتوجيهه ورعياته أكبرُ الأثرِ في نماء هذا الموضوع وتكامله رغم كثرة واجباته وتبعاته التي صرفها في خدمة الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ونشر الخير في أهله والذي تلقيت منه أدباً في النفس غير أدب الدرس فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلىٰ أساتذة القسم بالكلية وعلىٰ رأسهم **فضيلة الشيخ عمر عودة الخطيب** الذي كان لرعايته وتوجيهه أثر في حفز همتي ودفعي إلىٰ البحث والدراسة .

وأخيراً أتقدم بالشكر إلىٰ كل من مدَّ يد العون والمساعدة لي من إخوة وأساتذة فجزاهم الله خير الجزاء .

والله أسأل أن يلهمني رشدي ، وأن يرزقني صواباً في القول والعمل وإخلاصاً في النيَّة .

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ؛ ؛ ؛

الباب الأول

الطفولة والثقافة

ويحتوي على فصلين :

الفصل الأول: مفهوم الطفولة وأهمية العناية بها.

الفصل الثاني: مفهوم الثقافة وطبيعتها.

الفصل الأول

مَفهُومُ الطُّفُولةَ

وأهمية العنايَة بها

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الطفولة.

المبحث الثاني: أهمية الطفولة والعناية بها.

المبحث الأول

مفهوم الطفولة

أولاً: معناها:

أ ـ في اللغة:

الطفل ـ بكسر الطاء مع تشديدها ـ : المولود أو الصغير من كل شيء أو الجزء منه عيناً كان أو حدثاً[1] ، فتستعمل لصغير الإنسان والحيوان وللجزء من الجمادات، وتستعمل للواحد والجمع[2] .

فمثال استعماله للإنسان قول أبي كبير[3] :

أزهير إن يصبح أبوك مقصراً   طفلاً ينوء إذا مشى للكلكل[4]

ومثال استعماله للحيوان: قول صخر الغي[5] في الوعل:

---

(١) العين: يطلق على الشاهد الحاضر من كل شيء. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي ٤/ ٢٥١، والحدث: محركاً بمعنى الإبداء وهو الأمر المبتدأ أي المستجد، انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي ١/ ١٧٠.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٦٨١، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ٤/ ٧.

(٣) هو: عامر بن الحليس، من شعراء الجاهلية. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة / ٣٤١.

(٤) (أ) تخريجه: لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٦٨٢.

(ب) غريبه: (الكلكل): الصدر. انظر: مختار الصحاح للرازي / ٥٧٧.

(جـ) معناه: يا زهيرُ، إن يصبح أبوك مقصراً عما كان عليه، لما بلغ الكبر، وضعفت قواه، حتى عادت إلى حد قوى الصبا والطفولة، لا يستطيع أن يتصدر المجالس والمحافل.

(٥) هو: صخر بن عبد الله الخيثمي لقب بصخر الغي، لخلاعته، وشدة بأسه، وكثرة شرّه، انظر: الأغاني للأصفهاني ٢٢/ ٣٤٥.

بها كان طفلاً ثم أسدس واستوىٰ   فأصبح لهما في لهوم قَراهبَ[١]

ومثال استعماله للجزء من الجمادات قول أبي ذؤيب[٢]:

ثلاثا فلما استحيل الجَهام   واستجمع الطفل فيها رشوحا[٣]

وكما يكون استعمال لفظة طفل للمفرد يكون الجمع، مثل قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾[٤]، قال الزجاج[٥]: ﴿طِفْلاً﴾ هنا في موضع أطفال يدلّ علىٰ ذلك ذكر الجماعة، وكأن معناه: ثم يخرج كل واحد منكم طفلاً، وقال تعالىٰ: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾[٦]. والعرب تقول: جارية طفلة

---

(١) (أ) تخريجه: لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٦٨٢.

(ب) غريبه: (اللهم): بالكسر المسن من الثور، ومن كل شيء. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي ٤/ ١٨٠. (قراهب) جمع قرهب: وهو الثور المسن، أو الكبير الضخم. انظر: القاموس المحيط أيضاً ١/ ١٢٠.

(جـ) معناه: في البيت وصف لمراحل نمو الوعل، فيقول: إنه كان صغيراً ثم بلغ السادسة من عمره، ثم شب فأصبح مسنًّا ضخماً ضمن قطيع الوعول الكبيرة المسنَّة.

(٢) أبو ذؤيب كنيته، واشتهر بها واسمه خويلد بن خالد الهذلي، وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام، وقد حسن إسلامه، توفي في خلافة عثمان بطريق مكة، وقيل: خرج مع عبد الله بن الزبير في مغزىٰ نحو المغرب. فمات في مغزاه. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة/ ٣٣٠، والإصابة لابن حجر ١١/ ١٢٤ رقم ٣٨٨.

(٣) (أ) تخريجه: لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٦٨٢.

(ب) غريبه: (الجَهام): السحاب الذي لا ماء فيه. انظر: مختار الصحاح للرازي / ١١٥، (رشوحاً): من رشح، ورشح بمعنىٰ القوية والتأهل. انظر: لسان العرب لابن منظور ٣/ ١٦٤٨.

(جـ) معناه: أنه لما استحيل إمطار السحاب (الجهام): لفراغها من الماء، أخذت السحاب الصغار تستجمع الماء شيئاً فشيئاً: لتتقوىٰ وتتأهل للإمطار.

(٤) الحج: ٥.

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن السري من أصحاب المبرد، توفي سنة ٣١٠هـ أو ٣١٦ هـ. انظر: تاريخ العلماء النحويين للتنوخي/ ٣٨.

(٦) النور: ٣١.

وطفل وغلمان طفل فيكون الطفل واحداً وجمعاً مثلَ الجنب، وتأتي لفظة الطفل علىٰ الحدث، يقال: طفل الحب[١]، قال المجنون العامري[٢]:

يَضُمُّ إليَّ الليلُ أطفالَ حبِّها كما ضمّ أزرارَ القميصِ البنائق[٣]

وإذا تحدد معنىٰ الطفل لغة، فمن الأهمية أن يُحدَّدَ ابتداءُ هذه المرحلة وانتهاؤهَا.

ب ـ من الناحية الزمنية:

مما يحدد مدة الطفولة قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾[٤]. فالآية فصّلت مراحلَ عمر الإنسان، وبيَّنت أن مرحلة الطفولة تلي استقرار الجنين في الرحم، وانفصاله منه بالولادة، إلىٰ أن يبلغ الحُلُم وسن التكليف، قال الإمام القرطبي[٥] ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية: (المعنىٰ: ثم نخرج كل واحد منكم طفلاً، والطفل يطلق من وقت انفصال الولد إلىٰ البلوغ)[٦].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٦٨٢.

(٢) هو: قيس بن معاذ بن بني جعدة لابن كعب، لقب بالمجنون من شدة عشقه وتغنيه بليلىٰ، ولم يكن مجنوناً، وهو من أشعر الناس، انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة/ ٢٨١.

(٣) (أ) تخريجه: لسان العرب لابن منظور ١/ ٣٥٩.

(ب) غريبه: (البنائق): مفردة بنيقة: لبنة القميص. انظر: مختار الصحاح للرازي/ ٦٥.

(جـ) معناه: إذ جنَّ علىٰ الشاعر الليل جمع إلي الليل أجزاء هموم حب ليلىٰ، كما يجمع أزرار القميص لبنته التي تدخل فيها.

(٤) الحج: ٥.

(٥) هو: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، الأندلسي، القرطبي، من كبار المفسرين ومن العلماء الزاهدين، توفي سنة ٦٧١هـ، انظر: نفح الطيب للمقري ٢/ ٢١٠، رقم ١٢٢، والأعلام للزركلي ٥/ ٣٢٢.

(٦) تفسير القرطبي ١٢/ ١٢.

ومما يدل على هذا المعنى أن الله سبحانه وتعالى طلب من الرجال والنساء البالغين أن يؤدبوا أطفالهم على الاستئذان في الدخول عليهم، إذا عقلوا معاني الكشفة ونحوها في ثلاثة أوقات قبل الفجر، ووقت القائلة(١)، وبعد صلاة العشاء(٢) فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ(٤) مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ...﴾(٣). وكلّف الله الأطفال ممن بلغوا الحلم أن يستأذنوا في كل وقت على حكم الرجال في الاستئذان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(٥)، فهذا بيان من الله عز وجل لأحكامه؛ إذ قال في الآية السابقة ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ﴾، لأن الأطفال غير مخاطبين ولا مكلفين. وفي هذه الآية أمرهم بالاستئذان إذا بلغوا الحلم(٦)، ويقرر هذا التحديد لبداية مرحلة الطفولة ومنتهاها أهل اللغة.

قال أبو الهيثم(٧): «**الصبي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم**»(٨).

وقال ابن سيده(٩): (قال ثابت(١٠): ما دام الولد في بطن أمه فهو

---

(١) القائلة: الظهيرة، ومنه القيلولة، وهي: النوم في الظهيرة، انظر: مختار الصحاح للرزاي/ ٥٥٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ١٢/ ٣٠٤.

(٣) الحلم: زمان البلوغ. انظر: المفردات للراغب الأصفهاني/ ١٢٩.

(٤) النور: ٥٨.

(٥) النور: ٥٩.

(٦) انظر: تفسير القرطبي ١٢/٣٠٨.

(٧) هو: أبو الهيثم الرازي، من علماء العربية وفصحائها، كتب عنه من من أماليه وفوائده أكثر من مائتي مجلد. انظر: تهذيب اللغة للأزهري ١/ ٢٦.

(٨) لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٦٨٢.

(٩) هو: أبو الحسن علي بن إسماعيل: إمام في اللغة وآدابها، من أبرز مصنفاته: المخصص والمحكم. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٣٣٠، والأعلام للزركلي ٤/ ٢٦٣.

(١٠) في الفهرست للنديم/ ٧٦، هو: أبو محمد، ثابت بن أبي ثابت، واسم أبي ثابت سعيد، لغوي، لقي فصحاء الأعراب، وأخذ عنهم، من كبار الكوفيين.

جنين . .). قال صاحب العين[١] : فإذا ولدته فهو وليد ساعة تلده . . . ، ثم يكون صبياً . . . ، قال الأصمعي[٢] : هو أول ما يولد صبيّ ثم طفل . . . ، قال ثابت : وقد يقع الطفل على الجميع كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾[٣] ، فتشمل لفظة طفل جميع المراحل التي تلي الولادة والانفصال عن الرحم .

ومن هنا يتضح أن الولادة بداية مرحلة الطفولة ، وأن البلوغ هو الحد الفاصل بين الطفولة والمرحلة التي تليها ، وحتىٰ نضع مصطلحاً علمياً يحدد معنىٰ الطفولة لا بد من التعرف علىٰ مراحل هذه المرحلة من عمر الإنسان ، وخصائص كل مرحلة .

ثانياً: النمو ومراحله عند الطفل:

أ ـ معنى النمو:

يشير القرآن الكريم في سياق تقرير قدرة الله تعالىٰ في خلقه ، الدَّالة علىٰ وحدانيته علىٰ لسان نوح عليه السلام في قصته مع قومه إلىٰ أطوار خلق الإنسان ، قال تعالىٰ : ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[٤] . قال ابن

---

(١) الأشهر أن مؤلفه الخليل بن أحمد الفراهيدي أحد المتبحرين في استخراج مسائل النحو ، وأول من وضع علم العروض ، توفي بالبصرة سنة ١٧٠هـ ، انظر ترجمته في : الفهرست للنديم/ ٤٨ ، وتاريخ العلماء النحويين للتنوخي / ١٢٣ ـ ١٣٤ ، وقيل : إن الخليل عاجلته المنية قبل أن يكمله ، فأتمه الليث بن المظفر من ولد نصر بن سيار . قال فخر الدين في المحصول : أصل الكتب في اللغة كتاب العين ، وهو علىٰ مخارج الصوت من الحلق . انظر : الفهرست للنديم/ ٤٨ ، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١٤٤١ .

(٢) هو : عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، ينسب إلىٰ جده أصمع راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبيان ، توفي بالبصرة سنة ٢١٣هـ . انظر : الفهرست للنديم/ ٦٠ ، وتاريخ العلماء النحويين للتنوخي / ٢١٨ ـ ٢٢٤ .

(٣) الحج : ٥ .

(٤) نوح : ١٣ ـ ١٤ .

عباس[١] : «أطواراً يعني نطفة، ثم علقة، ثم مضغة. أي طوراً بعد طور إلىٰ تمام الخلق...». وقيل: «أطواراً صبياناً، ثم شباباً، ثم شيوخاً»[٢] .

فالإنسان يمر في حياته بعدة مراحل، ويتحول من حال إلىٰ حال. وفي موضع آخر من كتاب الله تعالىٰ يصور المولىٰ جلَّ شأنه مراحل نمو الإنسان مع ذكر أوضح صفة لكل مرحلة، لإظهار قدرة الله تعالىٰ في نفس الإنسان ليعتبر، فيقول سبحانه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[٣] . يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: (معنىٰ من ضعف: من نطفة ضعيفة، وقيل: في حال ضعف، وهو ما كانوا عليه في الابتداء من الطفولة والصغر، ثم جعل من بعد ضعف قوة يعني: الشبيبة، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً يعني الهرم)[٤] .

فهذا التطور من مرحلة إلىٰ مرحلة هو ما يصطلح عليه علماء النفس بـ (ظاهرة النمو). يقول الدكتور أحمد زكي صالح: (تكون حياة الفرد منا وحدة منذ ولادته حتىٰ وفاته، بيد أننا نلاحظ تغيراً ملحوظاً في حياة صغارنا، ونمواً مطرداً في مختلف النواحي الجسمية والنفسية والاجتماعية، فلا شك أن النمو الجسمي ملحوظ في عهود الطفولة الأولىٰ...، وكذلك الحال في الظواهر النفسية الجسمية، كالمشي والكلام وما شابه ذلك، وفي نموه العقلي حيث يبدأ التعرف علىٰ الأشخاص، ثم الأشياء، ثم يسميها بأسمائها، ثم معرفة طرق استعمالها، ثم التصرف في مواقف اجتماعية معينة...، فنمو الطفل العام

(١) هو: ابن عم رسول الله ﷺ، ومن علماء الصحابة، وفقهائهم، ومن أعرفهم بكتاب الله تعالىٰ، توفي بالطائف سنة ٦٨هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٦/ ٢٥٨ رقم ١٥٨٨، والإصابة لابن حجر ٦/ ١٣٠ رقم ٤٧٧٢.

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٠٣.

(٣) الروم: ٥٤.

(٤) تفسير القرطبي ١٤/ ٤٦.

ظاهرة نلاحظها في حياتنا اليومية)[١] .

ب ـ الهدف من التعرف على مراحل النمو:

وحياة الإنسان سلسلة واحدة متواصلة الأحداث والتغيرات، تتجه نحو النمو، ولكون هذه الدراسة تعني بالطفل؛ لأن مرحلة الطفولة من أهم مراحل نمو الإنسان، لما لها من أثر على المراحل التالية، وباعتبارها مرحلة التكوين والبناء، فإنه يتعين إلقاء الضوء على هذه المرحلة، لتتضح طبيعتها وما تمتاز به من تكوينات واستعدادات فطرية قابلة للنمو والبناء، وطاقات يؤثر فيها التوجيه والتكوين، ومعرفة العوامل البيئية الثقافية التي تعد محور البناء والإنماء، وحيث تهدف الدراسة لمراحل نمو الطفل إلى معرفة الوسائل والأساليب التي تحقق أحسن الوجوه الممكنة لعملية النمو ، وفي هذا المعنى يوضح الدكتور أحمد زكي صالح : أن الغرض من دراسة مراحل النمو ، أو علم نفس الطفل، هو دراسة نمو السلوك البشرى، وتطور الوظائف النفسية في سني حياة الإنسان المختلفة، لتحديد أحسن الشروط البيئية الممكنة التي تؤدي إلى أحسن نمو ممكن، وأن التعرف على طبيعة مراحل نمو الطفل وخصائص كل مرحلة على جانب من الأهمية، فهو لا يقتصر على مساعدة الآباء والمدرسين والمهتمين برعاية شئون الطفل فحسب، بل إنه يؤدي أكبر الخدمات وأجلّها للمجتمع الذي يجب أن يعني عناية قصوى بأطفاله وتهيئة أحسن الشروط اللازمة لنموهم الصحيح، ذلك أن نجاح أي أمة يكمن في عنايتها بأجيالها ، والكشف عن قدراتهم، وتوجيههم الوجهة السليمة، وبذلك تتحقق فائدة المجتمع من أكبر عدد من أبنائه، وفي هذا حفظ لثروات الأمة العقلية التي تنمو في التربة الصالحة، ويمكن تلخيص هذه الأهداف فيما يلي :

١ ـ فهم العوامل المسيطرة الفعّالة التي تتحكم في أسلوب الطفل في سن معينة .

---

(١) علم النفس التربوي / ٥٥ .

٢ ـ الملاءمة بين خصائص الطفل النفسية والعقلية والمزاجية وبين ما يتطلبه الطفل من تعليم وحياة اجتماعية[(١)] . وإيمان وتصور فكري للحياة والوجود .

ولإيضاح هذه الأهداف يمكن الإشارة إلىٰ بعض نتائج التعرف علىٰ مراحل نمو الطفل علىٰ نحو ما يفيد أجزاء البحث :

١ ـ فيه إضافة علمية ، تزيد من قدرة المربين ـ آباء ومعلمين وموجهين ـ وتعينهم علىٰ التحكم في العوامل والمؤثرات المختلفة التي تؤثر في هذا النمو بما يحقق التغير السليم الذي يبني الشخصية السويّة التي يهدف المجتمع إلىٰ تكوينها ، وتتضافر جميع الوسائل والعوامل في بنائها .

٢ ـ فيه إنارةُ الطريق للآباء في عملية التربية والتنشئة والثقافة ، وإعانة للمربين في معرفة العوامل الناجحة التي تؤثر في نمو الأطفال وأساليب سلوكهم ، وفي بناء المناهج وطرق التدريس وإعداد الوسائل التعليمية ، والبرامج الإعلامية التي تخدم عملية النمو ، وتتناسب مع المرحلة ، ومستوىٰ النضج[(٢)] .

جـ ـ قواعد نمو الطفل:

والمتأمل لظاهرة نمو الإنسان يلحظ أن عملية تطور خلقه ، وانتقاله من حال إلىٰ حال ، تسير حسب قواعد منضبطة وسنن إلهية ، تتجلىٰ فيها قدرة الخالق ، وإحكام خلقه ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، ويمكن تلخيص هذه القواعد فيما يلي :

١ ـ إن مظهر النمو للكائن الحي في ذاته ، فهو ينمو داخلياً ومن جميع نواحيه

(١) انظر : علم النفس التربوي ، د . أحمد زكي صالح/ ٦٦ .
(٢) انظر : علم نفس النمو ، د. حامد عبد السلام زهران/ ١٣ .

بطريقة معينة، تجعله يحافظ دائماً على سماته الرئيسة، سواء أكانت هذه السمات نفسية، أم جسمية، أم حيوية، أم عضوية، . . . فلا يحدث للفرد تحت ظروف النمو الطبيعية أن ينمو ذراعه الأيمن، ثم يلحقه ذراعه الأيسر، فالنمو ظاهرة كلية تنتشر في كل مظاهر الكائن الحي ووظائفه في آن واحد(١).

٢ ـ إن نمو الكائن الحي وحدة مستمرة لا انفصال بين مراحلها وفتراتها، وإن تقسيم حياة الإنسان إلى مراحل إنما هو من أجل التعرف على العوامل المؤثرة والملائمة بينها وبين خصائص كل مرحلة، وإلا فإنه لا يوجد فاصل بين أية مرحلة والتي تليها، بل هو نمو تدريجي بحيث تؤثر كل مرحلة في التي تليها، وتتأثر كل فترة بما قبلها، حتى إن بعض رواسب الطفولة تبقى مع بعض الناس في أعماقهم لتعاودهم وقت الشيخوخة أو الشباب(٢)، كما أن سرعة نمو الكائن الحي تختلف باختلاف مراحلها، فنمو الطفل جسمياً في فترة الرضاع يختلف عن نموه في فترة الحضانة(٣).

٣ ـ يتجه النمو من المجمل إلى المفصل، ومن الغامض إلى الواضح. فإدراك الطفل يكون أولاً كلياً غامضاً بحيث يدرك الحيوان القريب منه على أنه كائن مثل الأطفال، ولكن بعد أن ينمو إدراكه، ويتعرف على خصائص، ينتقل من دائرة الغموض إلى دائرة الوضوح، فيستطيع أن يميز الحيوان من غيره، وهكذا في كثير من الظواهر النفسية(٤).

٤ ـ إن عملية النمو خاضعة للتفاعل الحاصل بين مقومات الفرد الوراثية

---

(١) انظر: علم النفس التربوي. د. أحمد زكي صالح/ ٦٢.

(٢) انظر: التربية وطرق التدريس لعبد الرحمن النحلاوي وزملائه ٢/ ٩٣.

(٣) انظر: التربية وطرق التدريس لعبد الرحمن النحلاوي وزملائه ٢/ ٩٢.

(٤) انظر: التربية وطرق التدريس لعبد الرحمن النحلاوي وزملائه ٢/ ٩٣.

وبيئته الطبيعية أو الاجتماعية ، فالذكاء الموروث إنَّما يظهر ويتفتح وينضج في البيئة المثقفة المتفتحة . . . . ، وقل مثل ذلك في الاستعدادات الجسمية والاجتماعية ، فهي خاضعة لعاملي الوراثة والبيئة[١] .

د ـ مراحل نمو الطفل:

وعلىٰ الرغم من أن نمو الكائن الحي وحدة مستمرة لا انفصال بين مراحلها وفتراتها ، فإن من البدهي وجود فوارق بين وحدات عمر الإنسان وسنيه ، بحيث تتميز كل وحدة عن التي تليها بفوراق وخصائص معينة ، فمثلاً صفات الطفل الجسمية وهو ابن ست سنين تختلف عن صفاته السابقة وهو ابن سنتين ، وهكذا التميز في إدراكه ، واستقلاله الشخصي ، وفي جميع صفاته ، فهو في نمو مستمر متصل ، ولقد اعتنىٰ علماء النفس بمراحل نمو الطفل ، واختلفوا في تقسيمها ، فمنهم من يقسمها حسب مراحل التعليم ، وفريق آخر يتجنب الناحية الزمنية ، ويقسمها حسب خصائص كل مرحلة .

وبعد تأمل نصوص الكتاب والسنَّة وفهم مفكري الإسلام لهذه المراحل ، وجدت أن للتصور الإسلامي تقسيماً خاصاً يقترب منه علم النفس التربوي الحديث ، إلىٰ أربع مراحل :

١ ـ **مرحلة الرضاعة** : من الولادة إلىٰ نهاية العام الثاني .

٢ ـ **مرحلة الحضانة** : من بداية العام الثالث إلىٰ نهاية العام السادس .

٣ ـ **مرحلة التميز** : من بداية العام السابع إلىٰ الثاني عشر غالباً .

٤ ـ **مرحلة المراهقة** : من الحادي عشر أو الثاني عشر إلىٰ البلوغ .

وفيما يلي تفصيل لهذه المراحل أتناول فيه مددها وأهميتها وخصائصها :

---

(١) انظر : التربية وطرق التدريس لعبد الرحمن النحلاوي وزملائه ٢/ ٩٢ .

أولاً: مرحلة الرضاعة:

أ ـ مدتها:

يقول تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾(١). يقول سيد قطب(٢) في تفسير هذه الآية: (والله يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين؛ لأنه سبحانه يعلم أن هذه الفترة هي المثلى من جميع الوجوه الصحية والنفسية للطفل ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ وتثبت البحوث الصحية والنفسية أن فترة عامين ضرورية لنمو الطفل نمواً سليماً من الوجهتين الصحية والنفسية، ولكن نعمة الله على الجماعة المسلمة لم تنتظر حتى يعلموا هذا من تجاربهم(٣)، ومدة هذه المرحلة حولان بنص الآية، ولقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(٤)، والفصال هو: الفطام.

ب ـ أهميتها:

مرحلة الرضاعة من أهم مراحل الطفولة يوضع فيها أساس نمو الشخصية فيما بعد، فإذا كانت عوامل النمو سليمة ومواتيه، كان نمو الشخصية سويا، وإذا كانت عوامل النمو ذات تأثير ضار كان نمو الشخصية مضطرباً غير متوافق . . .، وهذه المرحلة تعد مرحلة انطلاق القوى الكامنة، وهي مرحلةالإنجازات الكبيرة، حيث تشهد نمواً جسمياً سريعاً، وتآزراً حسياً حركياً في السيطرة على الحركات (الجلوس والوقوف والحبو والمشي) . . . وفيها يكتسب الرضيع الكلام،

---

(١) البقرة: ٢٣٣.

(٢) مفكر إسلامي مصري، وأحد زعماء جماعة الإخوان الإصلاحية ابتلي في سبيل الله، له مؤلفات عديدة من أشهرها (في ظلال القرآن) استشهد سنة ١٣٨٧هـ، انظر: الأعلام للزركلي ٣/ ١٤٧.

(٣) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ١/ ٢٥٤١.

(٤) لقمان: ١٤.

ويكتسب اللغة، ويلاحظ فيها نمو الاستقلال ، والاعتماد النسبي القليل على النفس، والاحتكاك الاجتماعي بالعالم الخارجي والتنشئة الاجتماعية، والنمو الانفعالي، ويتم فيها الفطام. وفيها أيضاً تنمو الذات، ويتكون مفهومها[١] الذي يعد الحجر الأساسي للشخصية[٢] .

جـ ـ خصائصها:

يمكن إجمال هذه الخصائص في اثنتين :

١ ـ النمو العضوي النفسي:

الطفل الرضيع كائن حي، يحتاج إلى العناصر التي تساعده على الاستمرار في الحياة، وهي الغذاء الأول الذي يتم من خلال وجوده في وسط أسرته، وعلى الخصوص الأم، التي تهيئ له هذه المطالب الأولية، . . . وتساعده على عملية النمو العضوي. . . والمقصود بالنمو العضوي : عملية النمو التي يمر بها جسم الطفل منذ الولادة وحتى يصل إلى المرحلة الأخيرة من مراحل النمو[٣] ، فينبغي العناية بغذاء الطفل والحرص على الرضاعة الطبيعية ؛ لكونها الغذاء الرباني الصحي المتكامل ، ولما ينعكس على الطفل من فوائد نفسية، حيث يشعر الطفل بالحنان وهو ملتصق بصدر أمه أثناء الرضاعة، إذ يؤكد علماء النفس (أن الرضاعة ليست مجرد إشباع حاجة عضوية، وإنَّما هي موقف نفسي اجتماعي شامل، يشمل الرضيع والأم، وهو أول فرصة للتفاعل الاجتماعي)[٤] .

---

(١) الذات هي : الشعور والوعي بكينونة الفرد، وتتكون في الفرد نتيجة التفاعل مع البيئة ، ويمكن تعريف مفهوم الذات (بأنه تكوين معرفي منظم موحد ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتعميمات الخاصة بالذات يبلوره الفرد تعريفاً نفسيًّا لذاته) علم نفس النمو ، د. حامد زهران/ ٢٥٧ .

(٢) المرجع نفسه/ ١٢١ .

(٣) انظر : بحث الطفل السعودي بين الواقع والمنشود. بقلم أسماء محمد عبد الوهاب/ ٤٩٢ .

(٤) علم نفس النمو، د. حامد زهران / ١١٨ .

وينبغي في هذه المرحلة أن يُحاط الطفل بأسباب الوقاية الصحية اللازمة لضعف المناعة الجسدية لديه، وفيها يأخذ النمو شكلاً سريعاً فتنمو أجهزة جسم الطفل بصورة سريعة مثل الجهاز العظمي والتنفسي والبولي والتناسلي[١] ، وكذلك الوظائف الحسيّة تنمو سريعة هي الأخري فيزداد نمو الإدراك البصري، ويأخذ صفة التمييز والوضوح، وتتطور حاسة السمع، فيميز الرضيع الدرجات المختلفة للأصوات المتباينة، ويدرك الفرق بين الأصوات ، وتحديد جهتها، وهكذا بقية الحواس[٢] .

٢ ـ النمو الفكري والاجتماعي:

النمو العضلي يساعد على نمو وتطوير القدرات الفكرية للطفل ، إلا أنه وحده ليس كافياً بل يضاف إليه عامل التكيف والتفاعل الاجتماعي الذي يساعد الطفل على اكتساب الخبرة بالاحتكاك والتعامل مع الأشخاص والأشياء المحيطة به. . . . إذ ينتج من هذا التعامل معرفة صفات هذه الأشياء وخصائصها[٣] ، والذكاء[٤] في هذه المرحلة يصفه بياجيه: بأنه حسي حركي ، ويُلاحظ فيه سرعة النمو . . . حيث يتعلم الرضيع من الخبرات اليسيرة والممارسة والتدريب ، وتقليد الكبار ، وعلى الخصوص الوالدان والأخوة، ويساعد هذا تماماً في تعلم اللغة، والانفعالات ، والميول ، والنظام[٥] . ولذلك تسمى هذه المرحلة في الغالب بالمرحلة الإيحائية لسهولة استهواء الطفل من جانب الكبار[٦] .

---

(١) انظر: المرجع نفسه/ ١٢٦ .

(٢) انظر: علم نفس النمو ، د. حامد زهران/ ١٣٤ .

(٣) انظر: بحث الطفل السعودي بين الواقع والمنشود بقلم أسماء محمد/ ٤٩٢ .

(٤) الذكاء: (هو القدرة العقلية العامة والقدرة على إدراك العلاقات بين الأشياء والأفكار والقدرة على حل المشكلات وهو يبدأ بالإدراك الحسي وينتهي بالتفكير المجرد) ، حاشية علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ١٣٧ .

(٥) انظر: علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ١٣٧ .

(٦) انظر: سيكولوجية الطفولة والمراهقة حقائقها الأساسية: عبد العلي الجسيماني/ ٢٩ .

ثانياً: مرحلة الحضانة:

وتعد هذه المرحلة امتداداً طبيعياً لمرحلة الرضاعة حيث تأخذ عملية النمو شكلاً متقارباً في المرحلتين، وإنَّما جاء الفصل بين المرحلتين لما تقتضيه ضرورة البحث والتحليل وإبراز الخصائص الدقيقة.

أ ـ سبب تسميتها:

سميت هذه المرحلة بمرحلة الحضانة؛ لحاجةالطفل إلى القرب من والديه، وعلى الخصوص أمه، رعاية وتربية. قال صاحب القاموس المحيط[1]: (وحَضَنَ الصبي حَضْناً، وحِضانة بالكسر: جعله في حضنه أو رباه كاحتضنه)[2].

وقال ابن قدامة[3]: (كفالة الطفل وحضانته واجبة؛ لأنه يهلك بتركه، فيجب حفظه عن الهلاك، كما يجب الإنفاق عليه، وإنجاؤه من المهالك، ولا تثبت الحضانة لفاسق؛ لأنه غير موثوق به في أداء الواجب من الحضانة)[4].

والطفل في هذه المرحلة في حاجة شديدة إلى والديه ـ وعلى الخصوص أمه ـ فهو محتاج إلى عنايتها، وحنانها، وعطفها، ولا تقل حاجته إليها في هذه المرحلة عن حاجته وهو رضيع، فللأم دور مهم في رعاية طفل هذه المرحلة وتنشئته وبناء شخصيته، لذا حَرَصت الشريعة الغرَّاء على أن ينمو نمواً سليماً وهو بالقرب من

---

(١) هو: أبو طاهر، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي اللغوي، الشافعي، كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، توفي بزَبِيد سنة ٨١٧هـ، انظر: الضوء اللامع للسخاوي ١٠/ ٧٩، والأعلام للزركلي ٧/ ١٤٦.

(٢) ٤/ ٢١٧.

(٣) هو: أبو محمد، عبد الله بن أحمد، شيخ الإسلام، موفق الدين الجماعيلي، الفقيه الزاهد، من أكابر الحنابلة، انظر: فوات الوفيات للكتبي ٢/ ١٥٨ رم ٢١٤، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب/ ١٣٣ رقم ٢٧٢.

(٤) المغني ٧/ ٦١٤.

والديه، وعلى الخصوص أمه، التي هي أحق الناس بكفالته إذا طلقت، وكانت عاقلة، غير متزوجة، ولا فاسقة سواء أكان الطفل ذكراً أم أنثى، لما روى عبد الله ابن عمرو بن العاص: أن امرأة قالت يا رسول الله! إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحَجْري له حِواء، وإن أباه طلقني، وأراد أن ينتزعه مني. **فقال رسول الله ﷺ: «أنت أحق به ما لم تنكحي»**[1]؛ وذلك لأن الأم أقرب الناس إليه، وأشفقُهم عليه، ولا يشاركها في القرب إلا أبوه، وليس له مثل شفقتها، ولا يتولى الحضانة بنفسه، وإنَّما هو أمر يخص النساء بل يدفعه إلى امرأته، وأمه أولى به من امرأة أبيه[2].

ب ـ مدتها:

حدد الفقهاء مدة الحضانة إلى بلوغ الطفل سن التمييز، حيث تظهر بوادر التفكير المنطقي والاستقلال الشخصي في كثير من الأمور، قال ابن قدامة: الغلام إذا بلغ سبعاً وليس بمعتوه خيِّر بين أبويه إذا تنازعا فيه فمن اختاره فهو أولى به... فإذا بلغ الغلام حدًّا يعرب[3] عن نفسه ويميز بين الإكرام وضده، فمال إلى أحد الأبوين، دلَّ على أنه أرفق وأشفق عليه، فقدم بذلك، وقيد بالسبع؛ لأنها أول حال أمره الشرع فيها بالصلاة، وقدمت الأم على الأب في الحضانة لحاجة الطفل الحضين إلى حمل وخدمة وهي أعرف بذلك، وأقوم به. فإذا استغنى عن ذلك تساوى والداه لقربهما منه فرجع إلى اختياره[4]. هذا بخصوص الغلام. أما الجارية فإذا بلغت سبع سنين فالأب أحق بها؛ لأن الغرض

---

(١) رواه أبو داود ٢/ ٢٨٣ رقم ٢٢٧٦، كتاب الطلاق، باب: من أحق بالولد؟ قال الأرناؤوط في حاشية جامع الأصول ٣/ ٦١٤: وفي سنده الوليد بن مسلم، وهو ثقة، لكنه كثير التدليس والتسوية.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ٧/ ٦١٤.

(٣) يعرب: يفصح، انظر: مختار الصحاح للرازي / ٤٢١.

(٤) انظر: المغني لابن قدامة ٧/ ٦١٤.

من الحضانة الرعاية والأرعىٰ للجارية بعد السبع في الكون عند أبيها لأنها تحتاج إلىٰ حفظه وصيانته[١] ، ويرىٰ الإمام الكاساني[٢] : أن الأصلح للجارية بقاؤها عند أمها إلىٰ وقت البلوغ ، نظراً لحاجتها إلىٰ تعلم آداب النساء والتخلق بأخلاقهنّ ، وخدمة البيت ، ولا يحصل ذلك إلا بالبقاء عند الأم[٣] .

وخلاصة ما تقدم : (أن مرحلة الحضانة هي التي يحتاج فيها الطفل إلىٰ نوع من الخدمة والرعاية لا يحسنه في غالب الأمر إلا النساء ، لما يتطلبه من الجلد والصبر وكمال الشفقة ، ولهذا كان الحق الأول فيها للنساء ، وتنتهي هذه المرحلة بالنظر إلىٰ الغلام سواء أكانت الحاضنة الأم أم غيرها ـ ببلوغه حدا يستقل فيه بخدمة نفسه بعض الاستقلال . . . وذلك بأن يأكل وحده ، ويلبس وحده ، وينظف نفسه وحده ، وقَدّر بعض الفقهاء ذلك بسبع سنين)[٤] .

أما البنت فتنتقل حضانتها إلىٰ أبيها ببلوغها سبع سنين ؛ لأنه أحفظ لها ، ويطلق علىٰ هذه المرحلة ، مرحلة الطفولة المبكرة .

جـ ـ أهميتها:

هذه المرحلة ذات أهمية خاصة ؛ لأن الطفل يتحول فيها من كائن حي يعتمد اعتماداً كاملاً علىٰ أمه ، ويعيش في محيط ضيق ، إدراك حسي محدود ، إلىٰ طفل لديه الاستقلال الشخصي في كثير من أموره ، ويتضح هذا الاستقلال في نهاية المرحلة ، مع بقاء حاجته إلىٰ الرعاية المنزلية ، كما يتعرف الطفل في هذه المرحلة علىٰ البيئة المحيطة به ، وعلىٰ كل ما يثير انتباهه ، حيث تزداد قدرة الطفل علىٰ الفهم والتعلم ، ويبدأ في التوافق اجتماعياً ، يقول د. أحمد زكي صالح :

---

(١) انظر : المرجع نفسه ٧/ ٦١٦ .

(٢) هو : أبو بكر بن مسعود ، من فقهاء الحنفية . من مصنفاته : المعتمد في المعتقد ، انظر : البهية للكنوي/ ٥٣ .

(٣) انظر : بدائع الصنائع ٤/ ٤٣ .

(٤) بحث الطفل في نظر الشريعة الإسلامية ، د. محمد أحمد الصالح / ٥٧ .

(الواقع أن مرحلة الطفولة المبكرة ذات قيمة كبيرة في حياة رجل المستقبل، نظراً لأن الأطفال في هذه السن يبدأون في اكتساب التوافق الصحيح مع البيئة الخارجية، كما أنهم يتلقون دروس التقاليد والعرف، كما يشرعون في تكوين العادات الانفعالية نحو الاخرين، كما أن خطوط الصحة النفسية للأطفال يجب أن توضع وتقرر في هذه السن، وهكذا تكون قيمة هذه المرحلة من الناحية التربوية كبيرة سواء للآباء والأمهات أم للإخصائيات أم للمربين على اختلاف أنواعهم)[١].

فهذه المرحلة ومرحلة الرضاعة تعدّان من أخطر مراحل نمو الإنسان، حيث تبنى في المرحلتين ركائز شخصيته.

د ـ خصائصها:

تتميز مرحلة الحضانة بالنمو السريع والمبكر في كثير من نواحي الطفل واستعداداته، مما يؤكد أهمية توجيه الطفل وتثقيفه وإرواء حاجاته، وتحقيق مطالب نموه، ويمتاز الطفل في هذه المرحلة بمميزات يمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ الشعور بالأثرة والفردية[٢]:

ففي أواخر السنة الثالثة يمر الطفل بأزمة من أزمات الشعور بالشخصية، وتأكيد الذات، وهو شعور ذو أثر كبير في تغيير مجرى سلوك الطفل تغييراً كبيراً، إذ تبدأ مظاهر الأنانية، وحب الذات تتضح في تعامله مع من حوله، ويظل لفترة طويلة مقبلاً بطاقته نحو نفسه، باذلاً جهده في إرضاء ذاته، وإثبات وجوده، وفارضاً صورة نفسه التي يتصورها على الآخرين[٣] وتبلغ الفردية لدى

---

(١) علم النفس التربوي/ ١١٦.

(٢) التربية وطرق التدريس لعبد الرحمن النحلاوي وزملائه ٢/ ٩٤.

(٣) انظر: نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودار الحضانة، د. فوزية دياب/ ٥٢.

الطفل حدًّا يجب فيه أن ينال عطف والديه، وأن يستأثر باللعب والأشياء التي يمتلكها الأطفال وينسبها إلىٰ ملكيته، فهو يعتقد أن ما حوله مسخر له وأنه يمكنه الحصول علىٰ ما يريده منه، ولذلك يسمىٰ هذا الشعور عند بعض علماء التربية بـ (الاستقطاب حول الذات) (١) .

٢ ـ كثرة الانفعالات وتنوعها وحدتها :

فالطفل في هذه المرحلة كثير المخاوف شديد الغيرة، ينتقل بسرعة من حالة انفعالية إلىٰ حالة أخرىٰ، فمن البكاء إلىٰ الضحك، ومن الغضب إلىٰ السرور، ومن الخوف إلىٰ الطمأنينة . بيد أن هذه الحدة في الانفعالات تأخذ في الزوال نسبياً شيئاً فشيئاً (٢) ، حتي إذا بلغ الخامسة اكتسب نوعاً من الاستقرار في حياته الانفعالية(٣) ، ومما يساعد علىٰ زوالها نمو ذكائه، وتقدمه في النضج العقلي، وما يظهر عنده في هذه الحقبة من ميل شديد إلىٰ المحاكاة واللعب التمثيلي والإيهامي، تلك النشاطات التي بمزاولتها وممارستها يستطيع أن يحل كثيراً من الصراعات التي تعتمل في نفسه نتيجة تكوينه الانفعالي الجديد، ونمو الذات عنده، وشعوره بالحاجة إلىٰ الاستقلال ، والعطف والحماية والخضوع لسلطان الكبار في آن واحد(٤) .

٣ ـ النشاط الحركي المستمر والنمو الحسي المطرد :

تعد هذه المرحلة مرحلة النشاط الحركي المستمر ، وتمتاز حركات الطفل بالشدَّة، وسرعة الاستجابة والتنوع، واطراد التحسن، ويكاد النشاط الحركي ينحصر في العضلات الكبيرة، وبعد ذلك بالتدريج يسيطر الطفل علىٰ حركاته،

---

(١) انظر : التربية وطرق التدريس لعبد الرحمن النحلاوي وزملائه ٢/ ٩٤ .
(٢) انظر : نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودار الحضانة، د. فوزية دياب/ ٥٣ .
(٣) انظر : علم النفس التربوي، د. أحمد زكي صالح/ ١٢٣ .
(٤) انظر : نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودار الحضانة، د. فوزية دياب/ ٥٣ .

وعلى عضلاته الصغيرة بفضل التدريب المتقدم نحو النضج، ويطرد التآزر الحسي الحركي فيكتسب الطفل مهارات حركية تحتاج إلى قوة؛ كالجري والتسلق وركوب الدراجة، وحركات يدوية دقيقة كالدق والحفر والرسم(١) .

وإلى جانب النمو الحركي، يُلاحظ اطرادُ مستمر في نمو الحواس التي هي وسيلة التعرف على العالم الخارجي المجهول بالنسبة للطفل.

والأعضاء الحسية ذات القيمة الكبيرة في حياة الإنسان هي العين والأذن واللمس، وكي تنمو هذه الحواس ، لا بد وأن يترك للطفل الحرية التامة كي يمارس الأشياء والموضوعات الخارجية عن طريق حواسه، وقد ثبتت البحوث التجريبية الحديثة أن الحواس الأولية تولد شعوراً باللذة عند أطفال أكبر مما تتجه عند البالغين. فالطفل يجد لذة في ممارسة حواسه، فهو شغوف إلى شم الأشياء وتذوقها، كما أنه مولع بالنظر إليها، واكتشافها(٢) .

وعلى العموم فإن البصر يتميز في هذه المرحلة بالطول، وتسهل رؤية الكلمات الكبيرة، ويميز بين الألوان ويسميها، كما يتطور السمع تطوراً سريعاً من حيث قوةُ التمييز السمعي ، ولهذه الحاسة أهمية خاصة بخصوص النمو اللغوي(٣) ، ومع نمو الحواس تأتي قوة الملاحظة، حيث يستطيع ملاحظة الأشياء في محيطه بوضوح، والتمييز بين الأجزاء والكل، والربط بين الصور والرموز، وترتيب الأشياء حسب الأحكام بسهولة(٤) .

٤ ـ نمو القوى العقلية:

يلاحظ أن حب الاستطلاع لدى الطفل من سمات هذه المرحلة، ومما يدلُّ

---

(١) انظر: علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ١٦٧ .
(٢) انظر: علم النفس التربوي، د. أحمد زكي صالح/ ١١٧ .
(٣) انظر: علم نفس النمو ، د. حامد زهران/ ١٧٢ .
(٤) انظر: نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودار الحضانة، د. فوزية دياب/ ٥٦ .

علىٰ ذلك : كثرة أسئلة الطفل محاولاً الاستزادة العقلية المعرفية عن كل ما يثير انتباهه، فهو علامة استفهام حيّة، يسأل عن كل شيء، عن نفسه، من أين ولد؟ وكيف يكبر؟ وإلىٰ أين يذهب؟ وعما يشاهده من الحيوانات والمناظر، كيف وجدت؟ أو كيف تكون؟ .

ويُلاحظ تكون بعض المفاهيم في هذه المرحلة كمفهوم الزمن، والمكان، والأشكال، كما يطرد نمو الذكاء، حيث يكون إدراك العلاقات والمتعلقات عملياً وبعيداً عن التجريد، ويستطيع التعميم ولكن في حدود ضيقة، كما تزداد قدرة الطفل علىٰ الفهم، فهو يستطيع أن يفهم الكثير من المعلومات اليسيرة، وعلىٰ الخصوص الأمور التي يهتم بها، كما تزداد قدرة الطفل علىٰ التعلم من الخبرة والمحاولة والخطأ.

ويُلاحظ في بداية هذه المرحلة عدم المقدرة علىٰ تركيز الانتباه، ثم تزداد بعد ذلك مدة الانتباه، ومجاله. أما عن الذاكرة، فيُلاحظ زيادة التذكر المباشر، وعلىٰ الخصوص العبارات المفهومة، كما يكون التفكير ذاتياً، ويتصف بصفة الخيال غير المنطقي إلىٰ أن يبلغ الطفل السادسة، وهذه المرحلة يخصب فيها الخيال، ويطغىٰ علىٰ الحقيقة. فالأطفال في هذه المرحلة مولعون باللعب بالدمىٰ، والعرائس، وتمثيل أدوار الكبار(١)، ويزداد إيمانهم بالخيال علىٰ أنه أمر واقع، ويخلطون بينه وبين الواقع في السنة الثالثة، فيجب تصحيح خيال الطفل بالتدرج منذ الرابعة والخامسة من العمر(٢).

٥ ـ سرعة النمو اللغوي تحصيلاً وتعبيراً وفهماً(٣) :

تتصف هذه المرحلة بسرعة النمو اللغوي، فتزداد مفردات الكلام عند

---

(١) انظر : علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ١٧٣ ـ ١٧٥ .

(٢) انظر : التربية وطرق التدريس، لعبد الرحمن النحلاوي وزملائه ٢/ ٩٥ .

(٣) انظر : علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ١٧٨ .

الطفل، مع ارتقاء كبير في التركيب، فهو يستعمل الجمل القصيرة، ويحسن استعمال الأفعال والأصوات، ويرتب الكلمات بدرجة مقبولة، مع تدرج في اتساع الجملة، وكثرة عدد كلماتها ، وفي آخر المرحلة تمتد الجملة أحياناً إلىٰ سبع كلمات للفكرة الواحدة ، وللفروق الفردية أثر كبير في نمو اللغة لدىٰ الطفل[١] .

وللنمو اللغوي في هذه المرحلة قيمة كبيرة في التعبر عن النفس والتوافق الشخصي والاجتماعي والنمو العقلي[٢] .

٦ ـ الاستقلال النسبي والتفاعل الاجتماعي:

الطفل في هذه المرحلة يشعر أنه شخصية تكاد تكون مستقلة استقلالاً نسبيّاً عن أمه في كثير من حاجاته الشخصية، كما يبدأ في معايشة الآخرين ومشاركة الأطفال في ألعابهم، وإن كان لا يخلو أحياناً من نزوعه نحو السيطرة علىٰ الآخرين، ويزداد وعيه بالبيئة الاجتماعية، وتنمو الألفة وتتسع دائرة العلاقات، والتفاعل الاجتماعي في الأسرة ومع الرفاق، ويتعلم المعايير الاجتماعية، ويتمسك ببعض القيم الأخلاقية والمبادئ الاجتماعية، وتنمو الصداقة مع من في سنه فيحادثهم ويلاعبهم، كما ينمو الضمير الداخلي لدىٰ الطفل؛ وهو الشعور بما هو حسن، وخير، وحلال، وما هو سيء، وشر ، وحرام وفق التعاليم والقيم التي تلقاها من المجتمع، والضمير الحي يوجه السلوك ليجعله مقبولاً سويّاً إذا كان قائماً علىٰ مبادئ ومعايير صحيحة وسليمة[٣] .

ثالثاً: مرحلة التمييز:

أ ـ سبب تسميتها ومدتُها:

في نهاية مرحلة الحضانة يكاد يكمل نمو حواس الطفل وتصبح لديه القدرة

---

(١) انظر: نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودار الحضانة، د. فوزية دياب/ ٥٧ .

(٢) انظر: علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ١٧٨ .

(٣) انظر: علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ١٨٧ ـ ١٨٩ .

على التمييز بين الأشياء المحسوسة ويبدأ بالتفاعل الاجتماعي ومخالطة الآخرين، ويأخذ صفة الاستقلال الشخصي في كثير من أموره، وتتكون لديه ملكة لغوية تكون واسطته في التعرف على من حوله، وعلى ما يثير انتباهه. كل هذا التغير يحصل للطفل نتيجة النمو العقلي المطرد الذي تظهر آثاره على نواحي الطفل في مرحلة التمييز ، وتكاد تكون الصفة الرئيسة للمرحلة، فهي مرحلة **(إتقان للخبرات والمهارات اللغوية والحركات العقلية السابق اكتسابها. وبهذا تنتقل تدريجياً من مرحلة الكسب إلى مرحلة الإتقان... ويميل في منتصف هذه المرحلة إلى الانتقال من مرحلة الخيال والإيهام والتمثيل إلى مرحلة الواقعية والموضوعية)**(١) .

وسُميت هذه المرحلة بهذا الاسم؛ لنمو الطفل العقلي السريع، ولقوة تمييزه الحسي، ففيها تظهر بوادر الإدراك العقلي، وتتضح القدرة على التمييز بين الأشياء، ومعرفة الحسن من السيء، وإدراك المعاني ، ويميل إلى الاختلاط مع الآخرين نتيجة تقدمه العقلي، فهذا النمو العقلي معتبر في الشريعة الإسلامية ويترتب عليه أحكام وآداب ، مثل : التدرب على أداء الصلاة، وعلى آداب الاستئذان وقت وضع الثياب والتكشف. ومعتبر كذلك عند علماء التربية ، فيبدأون بتعليمه مبادئ العلوم ، مثل : القراءة والكتابة. وتسمى هذه المرحلة بمرحلة المدرسة الابتدائية.

هذه المرحلة لا يمكن القطع ببدايتها ونهايتها. فالبداية لا يمكن تحديدها نظراً لارتباطها بالنمو العقلي، والاستعداد المعرفي .

قال ابن القيم(٢) : (. . . ثم ينشأ معه ـ أي المولود ـ التمييز والعقل على التدرج شيئاً فشيئاً إلى سن التمييز، وليس له سن معينة، بل من الناس من

---

(١) أسس الصحة النفسية، د. عبد العزيز القوصي/ ١٥١ .

(٢) هو : أبو عبد الله ، محمد بن أبي بكر ، الزرعي الدمشقي ، الحنبلي من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن أنصار منهجه. انظر : الدرر الكامنة لابن حجر ٣/ ٤٠٠، الأعلام للزركلي ٦/ ٥٦ .

يميز لخمس)[1] .

وقال أبو بكر ابن العربي[2] : (. . . وللقوم في التعلم سيرة بديعة وهو أن الصغير فيهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب)[3] .

ولكن يغلب أن يكون طفل السابعة مميزاً ، كما يُفهم من النصوص وأقوال العلماء، فإذا بلغ الطفل سبعاً أمر للصلاة كما في حديث عمرو[4] بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ : **«مروا صبيانكم للصلاة إذا بلغوا سبعاً، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً، وفرّقوا بينهم في المضاجع»**[5] . (ويخيّر إذا بلغ سبعاً بين أبويه إذا تنازعا فيه، فمن اختاره فهو أولى به)[6] ، وهي سن يأخذ فيها التفكير صفة الواقعية واجتناب الخيال، فيرى بعض الباحثين : (إنه يصعب على الطفل حتى سن السابعة أن يفكر تفكيراً مجرداً . . . بل يستعين في تفكيره بالصور البصرية للأشياء التي يلاحظها في حياته اليومية، وفي السابعة يبدأ تفكير الطفل في اتخاذ الصبغة الواقعية وترك المخيلات)[7] .

ويرى كثير من علماء التربية وعلم النفس أن هذه المرحلة تبدأ من السادسة

---

(١) تحفة المودود / ٢٩١ .

(٢) هو : محمد بن عبد الله بن العربي ، المعافري، الأشبيلي ، الأندلسي المالكي، قاضي ، من حفاظ الحديث، وختام علماء الأندلس ، بلغ رتبة الاجتهاد، مات سنة ٥٤٣هـ، ودفن بفاس .
انظر: وفيات الأعيان لابن خلّكان ٤/ ٢٩٦ رقم ٦٢٦ ، ونفح الطيب للمقري ٢/ ٢٥ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٢٩٤ رقم ١٠٨١ .

(٣) أحكام القرآن ٤/ ١٨٨٣ .

(٤) هو : عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق ، مات سنة ١١٨هـ، انظر: تقريب التهذيب ٢/ ٧٢ رقم ٦٠٧ .

(٥) رواه أحمد وأبو داود ، أحمد ٢/ ١٨٠ و ١٨٧ ، وأبو داود ١/ ١٣٣ رقم ٤٩٥ ، كتاب الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة؟ ، قال الأرناؤوط : إسناده حسن . انظر: حاشية جامع الأصول ٥/ ١٨٧ .

(٦) المغني ٧/ ٦١٤ .

(٧) علم النفس التربوي ، د. أحمد زكي صالح/ ١٣٧ .

وتنتهي بنهاية العام الثاني عشر للطفل، وهي مدة الدراسة الابتدائية. لذلك تسمى بمرحلة المدرسة الابتدائية، ويقسم بعض علماء التربية هذه المرحلة إلى قسمين:

مرحلة الطفولة الوسطى (من ٦ ـ ٩ سنوات)، ومرحلة الطفولة المتأخرة (من ٩ ـ ١٢ سنة)، وقد رأيت ضم المرحلتين؛ وذلك لاشتراكهما في كثير من الخصائص، ولأنهما تمثلان مرحلة المدرسة الابتدائية ذات الأهداف والمنهج الواحد، ولأن البحث يعني بالجانب المعرفي الثقافي للطفل مما لا يستدعي التفصيل في الجوانب الأخرى.

ب ـ أهميتها:

تكتسب هذه المرحلة أهمية خاصة بخصوص هذه الدراسة، فهي مرحلة البناء الثقافي، والتكوين المعرفي، والتأسيس العملي لأصول المعارف، والتنشئة الاجتماعية على أصول السلوك الإسلامي الحميد، والخلق القويم. فمرحلة التمييز مرحلة النضج العقلي، والبحث عن الحقيقة للأشياء المشاهدة، فإذا كان الطفل في مرحلة الحضانة يسأل ويحيط به في بيئته، فإن الطفل في مرحلة التمييز يسأل عن حقيقة هذه الأشياء وأسباب وجودها والحكمة أو الفائدة منها، ويهتم بالتعرف على ما يوجد في خارج بيئته. ويدرب في هذه المرحلة على العبادات، ويعود على السلوك الحميد، ويلتحق بالمدرسة الابتدائية، فيتعلم القراءة والكتابة، ومبادئ العلوم، ويخالط الآخرين بعيداً عن والديه، معتمداً على نفسه في كثير من تصرفاته الشخصية، ويتحمل بعض المسئولية، ويسمع ويشاهد وسائل الإعلام بعناية، فهي مرحلة تحتاج إلى عناية متواصلة وجادة، ورقابة دقيقة، وقدوة صالحة حكيمة، كما تحتاج إلى آباء ومعلمين ومربين يفهمون طبيعة المرحلة وخصائصها، ويدركون واجبهم ووظيفتهم نحوها ويسيرون على منهج علمي قويم يوصلهم إلى الأهداف المنشودة من طفل مرحلة التمييز. فهي مسئولية

الوالدين في المنزل والمعلم في المدرسة، والدولة في المجتمع .

جـ ـ خصائصها:

يتجه نمو الطفل إلى الاستقرار والنضج في مرحلة التمييز ، ويشترك مع الأسرة في عملية النمو عدة عوامل مؤثرة ، من أهمها : المدرسة . فإذا بلغ الطفل السادسة من عمره التحق بالمدرسة الابتدائية ، وبدأ في تعلم المهارات ، ومبادئ العلوم ، كما تتهيأ له فرصة التفاعل مع المجتمع ، والتعرف على المبادئ والقيم السائدة فيه . وحتى تتضح طبيعة هذه المرحلة يمكن إجمال خصائصها فيما يلي :

١ ـ الاستقرار الانفعالي وثباته:

تتجه سرعة الانتقال من حال انفعالية إلى أخرى في مرحلة الحضانة نحو الثبات الانفعالي في مرحلة التمييز ، وتصل إلى درجة النضج في آخر المرحلة ، فالطفل قابل في بدايتها للاستثارة الانفعالية ولديه بقايا من الغيرة والعناد والتحدي[١] .

وعلى العموم ، فهو ناضج انفعالياً في نهاية المرحلة ، يعمل على ضبط انفعالاته ويحرص على عدم انفالتها ، وعلى السيطرة على نفسه[٢] .

وتتكون لدى الطفل في هذه المرحلة كثير من العواطف والعادات الانفعالية ، ويشعر بالمسئولية ، ويتولى تقويم سلوكه الشخصي بسبب استقرار انفعالاته وثباتها ، ولذلك يطلق بعض علماء النفس على هذه المرحلة : الطفولة الهادئة ؛ ويرجع ذلك إلى توفر فرص التعبير الانفعالي من خلال اتصال الطفل بالعالم الخارجي وعلى الخصوص في المدرسة حيث يوزع نشاطاته الانفعالية على

---

(١) انظر : علم نفس النمو ، د. حامد زهران / ٢٢٣ .

(٢) انظر : علم نفس النمو ، د. حامد زهران / ٢٤٥ .

مختلف ما يحيط به من أفراد، وجماعات، وأشياء، وموضوعات، وهذا يحتاج فيه إلىٰ إبداء الحب لمن يخالطه ويصاحبه[(١)] . كما يحب المرح، وتتحسن صلاته الاجتماعية والانفعالية مع الآخرين[(٢)] .

٢ ـ استمرار نمو القوى العقلية، واتساع آفاقها المعرفية، وتعلم المهارات:

فتستمر جميع القوىٰ العقلية في النمو، مما يساعد علىٰ ترسيخ الخبرات والمهارات المكتسبة في المرحلتين السابقتين، وعلىٰ تهيئة الطفل للحياة العملية التي تلي هذه المرحلة، حيث تتجه القوىٰ العقلية إلىٰ النضج، وتصل إليه في مرحلة النمو العقلي في هذه المرحلة في النواحي التالية :

أ ـ تحصيل المعرفة، وتعلم المهارات والمبادئ الأولية :

يتعلم الطفل المميز في هذه المرحلة القراءة والكتابة والحساب، ويزداد استعداده عاماً بعد عام بدراسة المناهج الأكثر تقدماً وتعقيداً، كما ينمو اهتمامه بالنشاط المعرفي خارج المنهج الدراسي لكل ما يجذب اهتمامه وخاصة وقت الفراغ[(٣)] .

ب ـ ازدياد نمو القوى العقلية :

يطرد نمو الذكاء فيصل في وسط المرحلة إلىٰ حوالي نصف إمكانات نموه في المستقبل، ويتدرج الانتباه من ضعف التركيز علىٰ موضوع واحد في سن السابعة، إلىٰ القدرة علىٰ التركيز بانتظام[(٤)] . ويكون التذكر عن طريق الفهم، وتزداد قدرة الطفل علىٰ الحفظ بدرجة كبيرة، فيستطيع أن يحفظ الحوادث التاريخية، والألفاظ، والعبارات وبعض الحقائق العلمية، وبعض النصوص من

---

(١) انظر : الأسرة والطفولة، د. زيدان عبد الباقي/ ٢٠٩ .
(٢) انظر : علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ٢٢٣ .
(٣) انظر : علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ٢١٤ ـ ٢٤١ .
(٤) انظر : علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

القرآن الكريم أو من الحديث النبوي أو الأدب، كما تزداد قدرته على إدراك علاقات الأشياء، وخواصها. ويستطيع أن يفكر في أمور معنوية بعد أن كان تفكيره حسيّاً في المرحلة السابقة، ولكن قدرته على التجريد والتعميم وتكوين المعاني الكلية الواضحة تظل محدودة[١].

٣ ـ الخيال:

يقسم علماء النفس وأدب الطفل هذه المرحلة إلى قسمين:

أولاً: مرحلة الخيال الحر:

بعد أن تعرَّف الطفل على البيئة القريبة منه في المنزل والشارع، وألمَّ بكثير من الخبرات والمعلومات، يُلاحظ على الطفل التعطش إلى التعرف على ما وراء هذه الظواهر الواقعة. فيلجأ في تفسيرها إلى خياله الخصب الحر الذي تغذيه وتنميه قصص الخيال التي يميل إلى الاستماع إليها ويحب مشاهدتها[٢].

ثانياً: مرحلة المغامرة والبطولة:

ما يلبث الطفل أن يميز بين ما هو خيالي محض وما يمكن تصديقه، فيبتعد عن الخيال بعض الابتعاد، وينمو اهتمامه بالواقع والحقيقة، وتقوى عنده غريزة المخاطرة، والمقاتلة، والإعجاب بالمغامرين والأبطال ومواقف الإقدام والشجاعة، فيميل إلى القراءة عنها والاستماع إلى قصصها ومشاهدة صورها، محاولاً تقليد الأبطال والمغامرين. لذلك سميت هذه المرحلة بمرحلة المغامرة والبطولة[٣].

---

(١) انظر: التقرير النهائي والتوصيات لحلقة العناية بالثقافة القمية للطفل العربي، بيروت، عام ١٩٧٠م/ ٧٧.

(٢) انظر: التقرير النهائي والتوصيات لحلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربي، بيروت، عام ١٩٧٠م/ ٧٤، وللاستزادة يمكن مراجعة كتاب فن الكتابة للأطفال، أحمد نجيب/ ٣٢.

(٣) انظر: التقرير النهائي والتوصيات لحلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربي، بيروت، عام ١٩٧٠م/ ٧٧، وللاستزادة يمكن مراجعة كتاب فن الكتابة للأطفال، أحمد نجيب/ ٣٣.

٤ ـ نمو المفاهيم، وتمايزها، وموضوعيتها:

في بداية المرحلة يُلاحظ على الطفل التمركز حول ذاته، والغموض في مفاهيمه، لكنها لا تلبث أن تتجه نحو التمايز والموضوعية، وتتحول من مادية محسوسة إلى معنوية عامة تتقدم نحو الثبات[١] .

وحين يبلغ الطفل التاسعة أو العاشرة من عمره تتسع خبرته بالواقع، وتتسع صلاته بمن حوله، ويرتقي حسه الأخلاقي، ويزداد إدراكه للمسئولية[٢] وللمفاهيم مثل معنى العدل، والظلم، والصواب، والخطأ، ويتعلم المعايير والقيم، والمبادئ، والخير، والشر، بغض النظر عن المواقف أو الظروف التي تحدث فيها وتقرب هذه القيم وتلك المعايير من قيم الكبار ومعاييرهم[٣] .

٥ ـ مرحلة الجمل المركبة الطويلة، والقدرة على التعبير:

تصل قائمة مفردات الطفل المميز أكثر من ٢٥٠٠ كلمة، وتزداد المفردات بحوالي ٥٠٪ عن ذي قبل[٤] ، وتتحول المفردات من مفردات دالة على أشياء حسيّة محدودة إلى ألفاظ دالة على معان مجردة، ويتوغل في التجريد تبعاً للنمو العقلي لدى الطفل، فكثيراً ما يسأل طفل السادسة والسابعة عن فائدة هذا الشيء وطرق استعماله[٥] ، وتعتبر[٦] هذه المرحلة مرحلة الجمل المركبة الطويلة، ولا يقتصر الأمر على التعبير الشفوي[٧] بل يمتد إلى التعبير التحريري، وتنمو القدرة على التعبير اللغوي التحريري مع مرور الزمن وانتقال الطفل من

---

(١) انظر: علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ٢١٦ .
(٢) انظر: التربية وطرق التدريس، د. عبد الرحمن النحلاوي وزملاؤه ٢/ ١٠١ .
(٣) انظر: علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ٢٤٠ .
(٤) انظر: علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ٢٢٥ .
(٥) انظر: علم النفس التربوي، د. أحمد زكي صالح/ ١٣٩ .
(٦) كذا في المطبوع، والصواب: (وتعد).
(٧) كذا في المطبوع، والصواب: (الشفاهي).

صف إلىٰ آخر في المدرسة . . .

أما عن القراءة فإن استعداد الطفل لها يكون موجوداً قبل الالتحاق بالمدرسة، ويبدو ذلك في اهتمامه بالصور، والرسوم، والكتب، والمجلات . . . وتتطور القدرة علىٰ القراءة بعد ذلك إلىٰ التعرف علىٰ الجمل وربط مدلولاتها بأشكالها ، ثم تتطور بعد ذلك إلىٰ مرحلة القراءة الفعلية التي تبدأ بالجملة، فالكلمة ، فالحرف، وعملية القراءة عملية مركبة معقدة تعتمد علىٰ الحركة، والتفكير، وغير ذلك من نواحي النمو العقلي[1] ، ويستطيع الطفل بعد التاسعة تمييز المترادفات ومعرفة المتباينات ، وإدراك التماثل والتشابه اللغوي وإتقان الخبرات والمهارات اللغوية ، ويتضح إدراك معاني المجردات مثل الكذب، والصدق، والأمان، والحياة، والموت، ويظهر الفهم والاستمتاع الفني، والتذوق الأدبي لما يقرأ[2] .

٦ ـ ظهور المميزات الجنسيّة بين الذكر والأنثىٰ:

تشهد هذه المرحلة بداية النمو الجنسي لدىٰ الطفل، ويظهر إصراره علىٰ التعرف علىٰ الأعضاء التناسلية، ومعرفة الفرق بين الذكر والأنثىٰ، ويكون الجنس في هذه المرحلة سريًّا كامناً إذا كانت تربية الطفل سليمة فهي مرحلة إعداد لمرحلة المراهقة التي تليها ، ولذلك يطلق عليها بعض العلماء مصطلح **(قبيل المراهقة)**[3] .

وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (المتقدم): **«وفرقوا بينهم في المضاجع»** أمرٌ للأولياء بالعناية بالأولاد جنسياً إذا بلغوا سن التمييز .

---

(١) علم نفس النمو ، د. حامد زهران/ ٢٢١ .
(٢) انظر: علم نفس النمو ، د. حامد زهران/ ٢٤٤ .
(٣) علم نفس النمو ، د. حامد زهران/ ٢٢٣ .

٧ ـ ظهور روح الاستقلال، والاعتماد على النفس، واتساع دائرة الاتصال الاجتماعي:

يصل الطفل في هذه المرحلة إلىٰ صفة الاستقلال الذاتي والاعتماد علىٰ النفس، والاعتزاز بشخصيته، وذلك بسبب ما وصل إليه من نضج في النواحي الجسمية، والنفسية، والعقلية، والحركية، وبدافع شغفه بالمعرفة.

يقول الدكتور سبوك[(١)] : (وتدفعه حاجته إلىٰ الاستقلال عن والديه إلىٰ التطلع إلىٰ الأشخاص الغرباء لمساعدته علىٰ تلقن المعرفة)[(٢)] . فالطفل في هذه المرحلة يكتسب كثيراً من القيم والمبادئ السائدة في المجتمع، والتي يمارسها الكبار الذين يخالطهم ويزداد في هذه المرحلة تأثير جماعة الرفاق، ويكون التفاعل الاجتماعي مع الأقران علىٰ أشدّه، ويشوبه التعارف، والتنافس، والتماسك، ويستغرق جميع الوقت، وتنمو روح المسئولية الاجتماعية، وللوسائل الثقافية تأثير واضح علىٰ نمو الطفل الاجتماعي[(٣)] . ونظراً لظهور التمايز الجنسي بين الذكر والأنثىٰ يتعلم كل منهما فطريًّا دوراً اجتماعيًّا مناسباً.

رابعاً: مرحلة المراهقة:

أ ـ مدتها:

المراهقة لغة: هي الحلم[(٤)] ، وتعد آخر مراحل الطفولة، فهي مرحلة الاستعداد للبلوغ، وهو ما ينحو إليه ابن القيم في قوله: (. . . ثم بعد العشر إلىٰ سن البلوغ يسمىٰ مراهقاً ومناهزاً للاحتلام)[(٥)] . وهذا هو مفهوم الكتاب

---

(١) هو: بنجامين سبوك، طبيب، وباحث، ومدرس، متخصص في أمراض الأطفال، وفي الصحة النفسية، انظر: تصدير كتاب دستور الأم، بقلم حسن العروسي / ١ـ٢.

(٢) موسوعة العناية بالطفل، د. سبوك، ترجمة عدنان كيالي وايلي لاوند / ٣٩٢.

(٣) انظر: علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨.

(٤) القاموس المحيط للفيروزآبادي ٣/ ٢٤٧.

(٥) تحفة المودود/ ٢٩٧.

والسنَّة، وقد تقدّمت الإشارة إلىٰ ذلك [١] ، وتم الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾[٢] ، ويدلّ له أيضاً قوله تعالىٰ: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[٣] ، والنكاح هنا بمعنىٰ: الحلم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ﴾[٤] أي: البلوغ وحال النكاح[٥] ، ولحديث علي[٦] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**رفع القلم عن ثلاثة...... وعن الصبي حتى يشب**»[٧] ، فيتضح أنه لا معنىٰ لإخراج مرحلة المراهقة من مسمىٰ الطفولة، وتميزها عنها بالنضج الجنسي التي تظهر بوادره بالتمايز بين الذكر والأنثىٰ في مرحلة التمييز ولا معنىٰ لتوسط الإمام الثعالبي[٨] في جعله المراهقة بين مرحلة الطفولة والمرحلة التي تليها من عمر الإنسان؛ إذ يقول: (فإذا كاد الغلام يبلغ الحلم أو بلغه، فهو يافع، أو مراهق)[٩] .

وليس هناك تحديد زمني دقيق لبداية هذه المرحلة ونهايتها، ولكن غالباً ما تكون بعد العاشرة بسنة أو سنتين . وتمتد إلىٰ الخامسة عشرة . وهو ما يراه كثير من العلماء الأقدمين والمحدثين.

---

(١) ص ١٧ .

(٢) الحج: ٥ .

(٣) النساء: ٦ .

(٤) النور: ٥٩ .

(٥) تفسير القرطبي ٥/ ٣٤ .

(٦) هو: أبو الحسن أول من آمن من الرجال وشهد المشاهد كلها إلا تبوك، قتل بالكوفة سنة ٤٠هـ. انظر: الإصابة لابن حجر ٨/ ١٣١ رقم ١٨٥٥ ، والاستيعاب لابن عبد البر ٧/ ٥٧ رقم ٥٦٨ .

(٧) رواه الترمذي وأبو داود، الترمذي ٢/ ٤٣٨ رقم ١٤٤٦ أبواب الحدود، باب: ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، وأبو داود ٤/ ١٤١ رقم ٤٤٠٣ كتاب الحدود، باب: في المجنون، يسرق، أو يصيب حدًّا، قال الأرناؤوط: إسناده حسن. انظر: حاشية جامع الأصول ٣/ ٦١١ .

(٨) هو: أبو منصور، عبد الملك بن محمد الثعالبي، النيسابوري، من أئمة اللغة والأدب، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ١٧٨ .

(٩) فقه اللغة/ ٨٣ .

قال ابن القيم: (ثم بعد العشر إلى سن البلوغ يسمى مراهقاً ومناهزاً للاحتلام، فإذا بلغ خمس عشرة سنة عرض له حال آخر يحصل معه الاحتلام)[١] . ونحاه د. حامد زهران في بداية المراهقة حيث يقول: (وتمتد في العقد الثاني من حياة الفرد من الثالثة عشر... أو قبل ذلك بعام أو عامين)[٢] .

والفصل في ذلك بداية المرحلة (تبدأ من بدء ظهور بشائر النضج الجنسي)[٣] وتنتهي بالبلوغ وهو إنزال المني بلذة من الذكر وحدوث الحيض من الأنثى، (وليس لوقت الاحتلام سن معتاد بل من الصبيان من يحتلم لاثنتي عشرة، ومنهم من يأتي عليه خمس عشرة وأكثر من ذلك ولا يحتلم)[٤] .

وتعلق هانم حامد ياركندي على عدم تحديد بدء البلوغ فتقول: لم يحدد سبحانه وتعالى بدء البلوغ وفي أي سن لحكمة بالغة وهي : أن هذا يختلف من مكان إلى آخر؛ لأن بدء الحلم يتأثر بعدة عوامل، كعامل التكوين الجسدي العام، وما يتصل به ، من صحة أو مرض، ووفرة الغذاء، أو قلته)[٥] .

ونظراً إلى أن الشريعة الإسلامية خاطبت البالغ بالأحكام كما نقل ابن حجر[٦] إجماع العلماء على أن الاحتلام في الرجال والنساء يلزم به العبادات

---

(١) تحفة المودود لابن القيم/ ٢٩٧ .

(٢) علم نفس النمو/ ٢٨٩ .

(٣) علم النفس التربوي ، د. أحمد زكي صالح/ ١٩٤ .

(٤) تحفة المودود لابن القيم/ ٢٩٧ .

(٥) جريدة المدينة، عدد ٥٥٣٣ ، ص ٩ ، من محاضرة بعنوان : (التصور الإسلامي لمراحل نمو الإنسان) الجزء الثاني .

(٦) هو: أبو الفضل أحمد بن علي، الكناني، العسقلاني، المصري، الشافعي، بلغ الغاية في علوم عصره، وعلي الخصوص الحديث، زادت تصانيفه التي معظمها في فنون الحديث على مائة وخمسين تصنيفاً ، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ . انظر: الضوء اللامع للسخاوي ٢/ ٣٦، والأعلام للزركلي ١/ ١٧٨ .

والحدود ، وسائر الأحكام[١] فإن جمهور الفقهاء يرون أن الطفل ذكراً أو أنثى إذا استكمل خمس عشرة سنة حكم ببلوغه لحديث ابن عمر[٢] رضي الله عنهما : «**ثم عرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة، فأجازني**» . قال نافع[٣] : (فقدمت عمر بن[٤] عبد العزيز وهو خليفة ، فحدثته هذا الحديث ، فقال : إن هذا الحد بين الصغير والكبير ، وكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة [٥] .

ب ـ أهميتها:

لمرحلة المراهقة أهمية متميزة؛ لأنها المرحلة الفاصلة ، يودع فيها الناشئ حياة الطفولة البرئية وما تتميز به من متعة ، وخلو من المسئولية ، وتجرد من التكاليف ، واعتماد متدرج على الوالدين أو من يقوم بشئون الرعاية والتربية في الشئون الشخصية التي ما يلبث أن يتحملها تدريجيًا إلى أن يبلغ سن البلوغ فيضطلع بالمسئولية الشخصية كاملة ، وتتعلق بذمته حقوق الله وحقوق العباد ، بل تتسع هذه المسئولية فتشمل مسئولية الزوجية وما يترتب عليها من حقوق اجتماعية ومالية .

وهي مرحلة إعداد الناشئ لتحمل هذه التكاليف والواجبات ومسئولية

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٥/ ٢٧٧ .

(٢) هو : أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أسلم صغيراً ، وهاجر وهو ابن عشر سنين ، أول مشاهده الخندق ، من أهل الورع والعلم ، توفي بمكة سنة ٧٣هـ . انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ٦/ ٣٠١ رقم ١٦١٢ ، والإصابة لابن حجر ٦/ ١٦٧ رقم ٤٨٢٥ .

(٣) هو : أبو عبد الله العدوي ، مولى ابن عمر ، ثقة ثبت ، فقيه ، مات سنة ١١٧ هـ . انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٩٩ رقم ٩٢ ، وتقريب التهذيب ٢/ ٢٩٦ رقم ٣٠ .

(٤) تابعي جليل ، وإمام فقيه ، ومجتهد عارف بالسنن ، ثبت ، حجة حافظ ، ولي إمارة المدينة في عهد الوليد بن عبد الملك ، وبويع بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك فملأ الأرض عدلاً ، مات بدير سمعان سنة ١٠١ هـ . انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ١١٨ رقم ١٠٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/ ١٩٢ .

(٥) متفق عليه : البخاري ٢/ ٩٤٨ رقم ٢٥٢١ كتاب الشهادات ، باب : بلوغ الصبيان ، وشهادتهم . ومسلم ٣/ ١٤٩٠ رقم ١٨٦٨ كتاب الإمارة ، باب : بيان سن البلوغ .

المواطنة عن طريق العمل المثمر والإنتاج الذي يخدم عقيدة المجتمع ويحافظ على بقائها، والمراهقة تتشكل وتأخذ صوراً متعددة حسب العوامل الثقافية السائدة في المجتمع، ففي المجتمعات الراقية التي تمنح شبابها فرص التعليم، وتهيئ لهم وسائل التثقيف، وترسم لهم الخطط التعليمية، والإعلامية، والثقافية المدروسة، والواقعية والمنسجمة مع مبادئ المجتمع، والتي تسهم في تكوين هؤلاء الشباب ورعايتهم تصبح مرحلة المراهقة مرحلة اكتساب للخبرات وتنمية للطاقات، والناشئ المراهق في حاجة ماسة لرعاية الدولة والمسئولين الذين تناط بهم أمانة التوجيه والتثقيف ويهمهم نمو المراهق نمواً متكاملاً، وعكس ذلك يحدث في المجتمعات البدائية.

ويلخص هذه الأهمية د. أحمد زكي صالح ثم يضيف قوله: (وتكمن قيمة دراسة المراهقة تربوياً من حيث إنها المرحلة التي تتفتح فيها القدرات، والاستعدادات والميول، وصفات الشخصية، والتي يكتسب فيها الفرد من العادات السلوكية ما يؤهله لأن يصبح ما سيكون عليه في المستقبل)[1].

جـ ـ خصائصها:

يصل النمو في هذه المرحلة إلى صفة النضج في كافة مظاهر شخصية الطفل وجوانبه، فهي مرحلة تفجر الطاقات الباقية، واستكمال نمو القوى النامية؛ لأن الإنسان في النهاية وحدة متكاملة، تشمل الروح، والعقل، والجسد، وهي كذلك مرحلة توديع للطفولة بما فيها من رقة، وشفافية، وطواعية، ومرحلة استقبال لبداية النضج والرشد وتحمل المسئولية الاجتماعية والتطبيق الواقعي لما تلقاه وتعوده وتعلمه في طفولته، مع وضوح التذبذب والارتباك الناتج عن هذا التوديع والاستقبال ويمكن إجمال الخصائص العامة لمرحلة المراهقة فيما يلي:

---

(١) علم النفس التربوي/ ٢٠٠.

١ ـ النمو الانفعالي القوي، وعدم الثبات:

تتصف الانفعالات في هذه المرحلة بأنها انفعالات عنيفة منطلقة، متهورة لا تتناسب مع مثيراتها، ولا يسطيع المراهق التحكم فيها، ولا في المظاهر الخارجية، ونلاحظ السيولة الانفعالية، وعدم الثبات الانفعالي، ويظهر التذبذب الانفعالي في سطحية الانفعال، وفي تقلب سلوك المراهق بين سلوك الأطفال وتصرفات الكبار، وقد يلاحظ التناقض الانفعالي كما يحدث حين يتذبذب الانفعال بين الحب والكره والشجاعة والخوف... إلخ. وحين يتذبذب المراهق بين الانشراح والاكتئاب، وبين التدين والإلحاد وبين الانعزالية والاجتماعية، وبين الحماسة واللامبالاة)[١].

ولعل مردُّ هذه التغيرات العنيفة والمضطربة إلى الأسباب التالية:

أ ـ النمو الجسمي السريع، وما يتركه من صعوبات في التوافق العصبي بين كبر الجوارح والأعضاء، وبين سرعة استجابتها، وإحكام حركاتها وتصرفاتها.

ب ـ موقف المجتمع المحيط من تصرفات المراهق، فقد يقابلها بسوء المعاملة مثل الاستهزاء به بدلاً من توجيهه الوجهة الصالحة برفق ولين.

جـ ـ النمو الجنسي، وما ينشأ عنه من شعور بلذة معينة، أو اندفاع نحو إشباع هذه الرغبة ومواجهة المجتمع لهذا النمو بالسلب والغموض، مع أن الأفضل الإشارة إلى الحكمة الإلهية وراء هذا النمو وهي المحافظة على بقاء النوع الإنساني عن طريق استمرار النسل الحاصل بسبب الزواج، وأن على المراهق المحافظة على هذا الميل الجنسي صحيحاً غير منحرف[٢].

---

(١) علم نفس النمو، د. حامد زهران / ٣١٨.

(٢) انظر: التربية وطرق التدريس، لعبد الرحمن النحلاوي وزملائه ٢/ ١١٣.

٢ ـ النضج العقلي والتطبيق الواقعي:

تزداد وظائف القوىٰ العقلية في هذه المرحلة، وتستكمل نضجها، بل دلَّت البحوث العملية علىٰ أن نمو الذكاء العام يصل أقصاه إذا بلغ الطفل سن الخامسة عشرة وكل ما يشاهد من زيادة الفهم والإدراك والتفكير بعد هذه السن إنَّما هو نتيجة للخبرات والتجارب المكتسبة لا للذكاء الموروث، وتظهر القدرات الخاصة، والميول المختلفة بوضوح، في حوالي سن الرابعة عشرة، وعقل المراهق أو الفتىٰ حديث البلوغ ذو خيال خصب، وقدرة علىٰ التفكير الفلسفي، فهو يفكر في أسباب الظواهر الطبيعية وعللها، وينتقل تدريجياً من المحسوسات الواقعية إلىٰ المعنويات والأفكار المجردة، ولذا نجد ميلاً إلىٰ الدقة والنقد، ويتسع أفق الفتىٰ أو الفتاة فيفكر فيما وراء خبرته المادية المحسوسة، ويفكر في الدين، وفي مبدع الكون، وفي أصل الكون ومصيره، ويزداد ميله إلىٰ البحث والاطلاع والتعرف علىٰ الشعوب، ويزداد شغفه بالخبرات الجديدة زيادة واضحة، ويبدأ ظهور الفروق في الميول والاتجاهات العقلية، ويتمثل بعضها في الميول الدراسية مثل الميل إلىٰ اللغة أو الميل العلمي أو الأدبي(١) .

٣ ـ نمو النزعة الدينية:

لما كانت مرحلة المراهقة مرحلة تكامل النمو ، وبداية الرشد والنضج لجميع قوىٰ الإنسان، سواء أكانت جسدية، أم روحية، فإنه يُلاحظ في هذه الفترة ـ التي يكتمل فيها النمو العقلي والجسمي، وتتهيأ فيها الغدد التناسلية للإفراز المنوي عند الذكر وحدوث الحيض عند الأنثىٰ ـ نمو النزعة الدينية عند المراهق، يقول الأستاذ محمد قطب: (إن مرحلة البلوغ هي مرحلة بداية النضج، يتفجر فيها الكيان البشري بكامله، لينضج بكامله . ومن هنا يتم في بناء الفطرة السليم انطلاق

---

(١) انظر: التقرير النهائي والتوجيهات لحلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربي/ ٧٨، وأسس الصحة النفسية، د. عبد العزيز القوصي/ ١٥٨ .

شحنة الجسد، وشحنة الروح، دفعة واحدة)[١] .

ويرجع نمو النزعة الدينية إلى قوة التفكير، ونمو اعتبار الذات عند المراهق، فإنهما تدفعانه إلى إعادة النظر في قضايا الإيمان التي كان قد تلقاها بالتقليد في المراحل السابقة فتراه يندفع إلى البحث عن تعليلها تعليلاً عقلياً، وعن صلتها بالواقع، وأثرها في الحياة، وفي الأمة، ومستقبلها[٢] .

وهنا تتضح أهمية إشباع هذا الميل الديني، وأثره في إحداث الاطمئنان النفسي للمراهق، وتعرفه على وظيفته في الحياة، وعلى الغاية من وجوده، وفي هذا ضمان لاستقرار الإيمان بالله تعالى، وثبات المفاهيم التي تلقاها بالتلقين عن طريق المخالطة والاقتداء، كما يبرز دور عوامل التأثير الثقافي من الأسرة، والمدرسة، والمسجد، ووسائل الإعلام المختلفة، وما تقوم به من توجيه، ورعاية، وتثقيف.

٤ ـ التهيُّؤ الجنسي للبلوغ:

مما يميز مرحلة المراهقة استيقاظ الحاسة الجنسية عند الناشئ، ونشاط الغريزة الجنسية، وما يصاحبها من تغيرات شديدة في إفرازات الغدد، وما يرافقها من مشاعر، وانفعالات جديدة[٣]، فتبرز سمات الرجلة والأنوثة، ويتهيأ لها الجسم بتغيرات معينة مثل: خشونة صوت الذكر، ورقة صوت الأنثى، ثم تبدأ أعضاء الجنس تنمو تهيؤاً للبلوغ الذي يبدأ من النضج الجسدي[٤]. وللنمو العضوي الحيوي، وللنمو السريع الزائد للغدد ـ وعلى الخصوص زيادة إفراز الغدد النخامية ـ أثر على سرعة النمو الجنسي، ويختلف سن البلوغ الجنسي لدى

---

(١) منهج التربية الإسلامية ٢/ ٢٢٦.

(٢) انظر: التربية وطرق التدريس، لعبد الرحمن النحلاوي وزملائه ٢/ ١١٥.

(٣) انظر: أسس الصحة النفسية، د. عبد العزيز القوصي/ ١٥٤.

(٤) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ٢/ ١٩٨.

البنين والبنات ، بينما يغلب بكور البنات، وكذلك بين أفراد الجنس الواحد تبعاً لاختلاف العوامل المؤثرة في النمو الجنسي، والتي يردها د. حامد زهران إلى عدة عوامل، منها : حالة النشاط الغددي، والحالة الصحية العامة، والاستعداد الفردي، وبعض العوامل البيئية مثل : التغذية. ويرى أن استجابة المراهقين للنمو الجنسي مختلف، فبعضهم تنتابه الحيرة، وبعضهم يتكتم عليه ، ويتظاهر وكأن شيئاً لم يكن، والبعض الآخر يقابل التغيرات بالخوف والقلق، بينما يستقبل بعضهم هذه التغيرات ومظاهر النمو بالفخر والإعجاب، وعلى العموم نجد أن لكل فرد من الجنسين اتجاهات مختلفة نحو التغيرات الجنسية، ووظائف الجسم، وهذه التغيرات تؤثر على شخصياتهم، وعلى تحصيلهم ، وعلى توافقهم النفسي العام[١] .

٥ ـ مرحلة التطبيع الاجتماعي:

(ينزع المراهق في هذه المرحلة إلى إكمال رجولته ، والاعتزاز بكيانه، ويعمل على الاستقلال في فكره وعمله، ويجرب أساليب متعددة ليحقق لنفسه شعوره بخروجه من دور الطفولة واكتمال نموه واستقلاله)[٢] . ويعمد إلى الدفاع عن نفسه، وإلى الظهور بمظهر الكمال الخالي من النقص، ويكره أن يعامل مثل الطفل. فالذكر يريد أن يشعر أنه رجل ، والأنثى تريد أن تشعر أنها امرأة، وأنهما قادران على تحمل المسئولية الاجتماعية والاعتماد التام على نفسيهما.

ويتسع في هذه المرحلة نطاق اتصال المراهق الشخصي بالآخرين فيسعد بمشاركتهم في الخبرات والمشاعر والاتجاهات والأفكار. لذا فإنَّ لوسائل الاتصال الاجتماعية دوراً خاصًا في هذه المرحلة مثل المدرسة الإعدادية التي يلتحق بها في هذه المرحلة، وما تؤدي إليه من زيادة في الثقة بالنفس، والشعور بأهمية

(١) انظر : علم نفس النمو : ٢٩٨ ـ ٣٠٢ .

(٢) أسس الصحة النفسية، د. عبد العزيز القوصي/ ١٥٧ .

الجماعة، وتوسيع الأفق الاجتماعي، والنشاط الاجتماعي . وكذلك أداء الصلاة، والتعود عليها جماعة في المسجد، الالتحاق بحلقات المسجد العلمية والاستفادة من إشعاعه الثقافي، وكذلك وسائل الإعلام ذات البرامج العلمية المفيدة، كل هذه الوسائل تشارك جميعاً ـ إلىٰ جانب المنزل ـ في عملية التنشئة الاجتماعية ، وإدخال القيم والمعايير الاجتماعية في حياة المراهق ذات الانعكاسات الإيجابية أو السلبية علىٰ وجهة المراهق في الحياة العملية، وتحميله المسئولية ليقوم بدوره الريادي في المجتمع[١] .

وبحق . . . فإن فترة المراهقة تكوِّن القيم والمثل العليا علىٰ المستوىٰ الجماعي، ولكنه محصور في نطاق المجموعة الخاصة التي تشبه القبيلة علىٰ المستوىٰ البشري الواسع وفق ما هو مقرر من الوجهة الإسلامية.

إن القيم والمثل العليا فطرة تنشأ تلقائيًّا في داخل النفس ، وإن التوجيه الخارجي هو الذي يشكل القيم ويحددها، فإن كان التوجيه صالحاً ترعرعت ونمت، وإلا ذبلت وماتت، أو اتخذت صورة منعكسة[٢] .

ثالثا: المعنى الاصطلاحي لمرحلة الطفولة:

والآن بعد أن تم بيان معنىٰ الطفل لغة، وتحديد مدة نموه، وتمت الإشارة إلىٰ الأطوار التي تمر بها هذه المرحلة، والخصائص البارزة لكل طور، التي توضح طبيعة المرحلة، وحاجتها للعناية، وضرورة أن يضعها القائمون علىٰ شئون الطفل تربية وثقافة أمام أعينهم حتىٰ يسيروا علىٰ هدىٰ وبصيرة وهم يقودون هذه الأجيال، التي هي أمل كل أمة، ومعقد رجائها وطموحها، ومقياس تقدمها ومستقبلها.

---

(١) انظر: علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ٣٢٣.
(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ٢/ ٢٠١.

وبعد أن تم هذا كله، يمكن وضع مصطلح لمعنى مرحلة الطفولة يُعد ملخصاً لما مضى وهو:

أنها المرحلة القابلة للنمو المتكامل في جميع جوانب الإنسان بفضل ما زُوّد به الطفل وهو مولود من قابلية للتغير، وقدرة على التعلم، واستعداد للانتفاع بخبرات البيئة المحيطة، أو القريبة، مروراً بأطوار الطفولة الأربعة (الرضاعة ـ والحضانة ـ والتمييز ـ والمراهقة) في نشوء فطري متقدم، متجه إلى النضج، وخاضع للتفاعل الحاصل بين مقوماته الطبعية، وعوامل التأثير البيئية، التي تعمل على إعداد الطفل وتأهيله للدور المطلوب في مستقبل الحياة في فترة زمنية تبدأ من الولادة إلى سن التكليف الشرعي.

المبحث الثاني

أهمية الطفولة والعناية بها

أولاً: عوامل الاهتمام بالطفل:

الطفولة تلقى اهتماماً خاصًا في العصر الحاضر، فهي أولى مراحل التأثر والبناء بعد الولادة، يكون الإنسان فيها معتمداً على غيره اعتماداً متدرجاً من الكلية إلى الاستقلال، ومحتاجاً إلى الرعاية والتربية، لا حول له ولا قوة، خاضعاً لتأثير وسائل التربية والتثقيف ذات القدرة على صياغته وتكوينه وتحديد وجهته، والمجتمع المتقدم هو الذي يدرك أهمية هذه المرحلة، وأثرها على مستقبل الفرد، ومستقبل المجتمع، ويعمل على جعلها القاعدة التي يبني عليها حضارته، وينطلق منها في تحقيق آماله، وتطلعاته.

والحق أن الطفل في عصرنا الحاضر بدأ يأخذ موضع اهتمام الهيئات والجهات ذات العلاقة بمستقبل الطفل، والمخططة لمستقبل المجتمع. (ولا عجب أن ينال الطفل هذا الاهتمام؛ إذ يبلغ عدد أطفال العالم الذين تقل أعمارهم عن خمسة عشر عاماً ٣٦٪ من عدد سكان العالم، وتهبط هذه النسبة إلى ٢٧٪ في أمريكا الشمالية، ودول أوربا، وترتفع إلى ٤٢٪ في دول أمريكا الجنوبية، ثم تصعد إلى ٤٤٪ في دول أفريقيا وآسيا)[١]. فهي نسبة مرتفعة في الهرم العمري ـ وخاصة في البلاد الإسلامية ـ؛ فيبلغ عدد أطفال العالم العربي وحده ٦٧ مليوناً تقريباً، أي ما يقارب ٤٥٪ من عدد السكان[٢]، فهذه

---

(١) بحث الطفل السعودي بين الواقع والمنشود، بقلم أسماء محمد/ ٤٨٢.

(٢) يمكن مراجعة إحصاءات أعداد الأطفال في الوطن العربي، محلق رقم ١ ورقم ٣ الملحقة بـ (عناصر استراتيجية لتنمية الطفل العربي) إصدار الأمانة العامة، الإدارة العامة للشئون الاجتماعية والثقافية للجامعة العربية/ ٧.

الإحصاءات تشير إلى اتساع هذه القاعدة بسبب ارتفاع نسبة من هم في سن الطفولة حيث يزيد عددهم على ثلث المجتمع الدولي ، فهم الطاقة المحركة له مستقبلاً وإذا كان هذا العدد الهائل من البشر وحده عاملاً يستدعي من الدول والمسئولين الاهتمام، فإن هناك عوامل أخرى لا تقل أهمية عن هذا العامل، منها :

١ ـ طول مرحلة الطفولة عند الإنسان وحاجتها إلى الرعاية:

ذلك أن مرحلة الطفولة عند صغار البشر أطول من نظيرتها عند جميع الكائنات الحيّة، والمقصود من مرحلة الطفولة : الفترة التي لا يستغني فيها الطفل تماماً عن أبويه، بل هو محتاج إليهما[١] . فالطفل البشري يصل إلى الدنيا وهو في حالة عجز تام، تتعلق حياته بعناية من حوله لمدة زمنية تختلف من مجتمع إلى آخر باختلاف درجة التحضر والتقدم، يقل اعتماده فيها على غيره تدريجيا حتى يصل إلى درجة الاعتماد على النفس، كما يلاحظ أن النمو العام يتصف بالبطء والتدرج، فهي تطول على مثيلاتها عند الحيوانات بكثير، وتمتد إلى فترة بعيدة[٢] .

وطول هذه المرحلة يحتاج من عوامل التأثير المحيطة عناية خاصة، تتناسب مع طبيعة خلق الطفل، ومراحل نموه في عطاء متكامل متواصل ملائم لاستعداداته وطاقاته (فالطفل يحتاج إلى عناية خاصة من المحيطين به. . . وقد ثبت أن الطريقة التي ينظم بها الأهل حياة الطفل، والأسلوب الذي يلجأون إليه في التصرف حياله منذ الشهور الأولى لميلاده سوف يحددان سلوكه في المستقبل. . . فالطفل ليس بوسعه أن ينمو اجتماعياً من تلقاء نفسه، والأطفال

(١) انظر : الطفل بين الوراثة والتربية ، محمد تقي فلسفي ، تعريب فاضل الحسيني الميلاني ٢٠١/١ .

(٢) انظر : الطفل بين الوراثة والتربية ، محمد تقي فلسفي ، تعريب فاضل الحسيني الميلاني ٢٠١/١ .

كائنات حيّة، تعتمد على غيرها؛ إذ لا يمكن أن يستمر نشاطها أكثر من عدة ساعات ما لم يساعدها الكبار بعاداتهم التامة التكوين)[١] .

٢ ـ قابلية هذه المرحلة للتكوين والتوجيه والبناء:

يأتي الطفل إلى الحياة الدنيا وهو مزود بالطاقات والاستعدادات ، والميول، والغرائز ، والقدرات المختلفة، والمواهب الطبيعية ، ويمكن أن يشبه بالبذرة التي تحتاج كي تنمو إلى عناية مناسبة، تشمل السقي، ووضع المواد الأساسية المساعدة لعملية النمو مثل السماد، وفلاحة الأرض، وتهيئة التربة للاستنبات ، وإزالة العوائق، فمتى وفرت هذه الخدمات للبذرة فإنه يمكن لها أن تنمو وتتفرع إلى أغصان تثمر وتؤتي أكلها، كل هذا وفق سنن إلهية أودعتها هذه القابلية للنماء المتدرج، ثم الإثمار ، حيثما توفرت الظروف الملائمة التي أتاحت لها ممارسة دورها في الحياة، كذلك الطفل خلق من خلق الله تعالى، يولد ضعيفاً عاجزاً معرضاً للفناء إن لم يلق عناية ممن حوله، لكنه مع حاجته إلى غيره يولد (مزوداً بالقابلية للتغير ، وبالقدرة على التعلم والاستعداد للانتفاع بالخبرات التي يمر بها، وتعديل سلوكه ، وتطويره على ضوئها، كما يكون قادراً على الملائمة بين نفسه من ناحية . . . . ، وبين ما تتطلبه مواقف الحياة في البيئة التي ينشأ فيها من ناحية أخرى . . . لذا، اهتم كثير من علماء التربية والاجتماع وعلم النفس بدراسة مرحلة الطفولة، لمحاولة فهمها ، والتعرف على احتياجاتها ، ومعرفة الفوارق المختلفة بين كل مرحلة)[٢] . وأكدت نتائج بحوثهم أن أسس الصحة الجسمية والعقلية والنفسية والنموذج الذي يحتذي به الطفل في تفتح شخصيته، إنَّما توضع كلها في مرحلة الطفولة، وعلى الخصوص مرحلة الحضانة، ذات المرونة، والقابلية للتعلم وتطور المهارات وفترة النشاط الحركي الأكبر، والنشاط العقلي

---

(١) بحث الطفل السعودي بين الواقع والمنشود ، بقلم أسماء محمد/ ٤٨٣ .
(٢) بحث الطفل السعودي بين الواقع والمنشود ، بقلم أسماء محمد/ ٤٨٣ .

المتميز ، فهذه المرحلة إن حرم فيها الطفل فرص التعلم، واكتساب المهارة ، يكن قد خسر كثيراً؛ ذلك لأن القدرات والمواهب الطبيعية إن لم تلق ما تحتاج إليه من الرعاية الكاملة، وفي الوقت المناسب، فإما أن تذبل وتموت، وإما أن تظل طفلية (Infantile) . وإذا صار فيها شيء من الرعاية ونمت، فإنها تنمو نمواً ناقصاً، مشوهاً .

يقول أرنولد جيزل (A. Gresell) : (لن تتاح أبداً مرة أخرىٰ للعقل ، والخُلق، والروح، أن تسير قدماً بنفس السرعة التي كانت تسير بها في الفترة التكوينية التشكيلية لما قبل المدرسة، ولن يتاح أبداً للعقل مرة أخرىٰ نفس فرصة باكورة الطفولة في إرساء أسس الصحة العقلية)[١] .

إن الإنسان ـ حسب طبيعة تكوينه ـ أحوج المخلوقات الحيّة إلىٰ الرعاية التي تهدف إلىٰ تحقيق الكمال اللائق به إنساناً له رسالة عليا في هذه الحياة، لذا فإن علىٰ وسائل التأثير وعوامل التأهيل أن تلتفت إلىٰ أصلين مهمّين :

أ ـ إحياء الاستعدادات الفطرية المفيدة، والمواهب الطبعية التي يملكها الطفل، ويولد مزوداً بها بالأساليب الصالحة .

ب ـ إماتة الميول المنحرفة ، والاتجاهات الفاسدة التي لا تلائم السلوك الصحيح، ولا تتفق مع قواعد الأخلاق .

إن الإنسان متميز علىٰ سائر الأحياء بالعقل والإدراك اللذين لا ينموان إلا بالتدريج ويجعلانه محتاجاً إلىٰ التعلم والتربية ، اللذين هما من أقوىٰ الأساليب في ظهور استعداداته الفطرية، ومواهبه إلىٰ حيز الخارج والواقع، ووصولها إلىٰ درجة الكمال اللائق[٢] . وهو كذلك المخلوق الوحيد (الذي يمكنه أن يرتفع

---

(١) نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، د. فوزية دياب / ١٤ ـ ١٧ .

(٢) انظر: الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي فلسفي، تعريب فاضل الحسيني الميلاني ١/ ١٤٣ .

بعقله وروحه بواسطة التربية الصحيحة، والتوجيه السليم، والتثقيف المفيد، إلىٰ صفوف الملائكة الأطهار، فيكون ملكاً في ثوب بشر، وينحط بشهواته وملذاته إلىٰ درك [١] الحيوانات فيكون حيواناً في صورة إنسان) [٢].

٣ ـ كونها مرحلة إعداد للمستقبل:

لعل من العوامل التي أحاطت هذه المرحلة بالعناية والاهتمام، أنها حجر الزاوية لبناء الإنسان، وتشييد حضارته، وضمان تقدمه؛ فالعناية بنمو الطفل نمواً صحيحاً متكاملاً من جميع الجوانب، والعمل الدائب المستمر علىٰ رعاية هذا النمو وحفظه من كل ما يعوق سيره الطبيعي، أو يقف حجر عثرة في طريق وصوله إلىٰ أقصىٰ طاقاته وعطاءاته، كل هذه الأمور مؤشر حضاري للأمة التي تسعىٰ لإيجاد الإنسان الصالح القادر علىٰ حمل الأعباء والتكاليف، التي تحدد دوره في الحياة، وبناء مجتمع قوي له كل عناصر البقاء والقدرة علىٰ المشاركة في بناء الحضارة الإنسانية. علىٰ أسس صحيحة ربانية، وأخذ مكانة متميزة متفقة مع رسالتها بين المجتمعات المتقدمة [٣].

لقد تركزت الدراسات العلمية علىٰ جوانب هذه المرحلة الحسّاسة وحاولت التعرف علىٰ إمكاناتها، وكيفية الإفادة منها في تعليم الطفل وتوجيهه، ورسم المستقبل الأفضل له، وأصبحت قضايا الطفل الوجدانية والمعرفية جزءاً لا يتجزأ من العلوم النفسية والتربوية، التي تهدف إلىٰ فهم الطفل، والتعرف علىٰ طبيعته، بهدف إعداده للحياة التي تنتظره، فهناك ما يشبه الاتفاق بين العلماء أن الطفل تؤثر فيه عوامل الوراثة، والعوامل البيئية ممثلة في أسرته: أول العوامل

---

(١) الدرك بمعنىٰ القعر الآخر، انظر: مختار الصحاح للرازي / ٢٠٣، وهي هنا بمعنىٰ: أدنىٰ منزلة.
(٢) الطفل المثالي في الإسلام، نشأته، ورعايته، وأحكامه، عبد الغني الخطيب/ ١٢١.
(٣) انظر: الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال، محاضرة أدب الأطفال ومراحل النمو ـ صبيحة فارس/ ٧٧.

مسئولية عن رعايته وتثقيفه، والتي يتربى وينشأ تحت عنايتها، ويتأثر بنوعية الثقافة التي تؤمن بها، وتربى عليها أفرادُها، وكذلك العوامل الأخرى لا تقل أهمية عن عامل الأسرة وعلى الخصوص عندما يشب عن الطوق وتتسع دائرة تعامله مع من حوله، فإنَّ المدرسة تأتي في المرتبة الثانية بعد الأسرة أهمية وما تقوم به من دور ثقافي يشارك في بناء مستقبل الطفل، كذلك تلعب العوامل المؤثرة الأخرى دورها في تشكيل شخصة الطفل وبنائه ثقافياً[1] .

إن مرحلة الطفولة لها أهمية عظمى في تقرير أساس الحياة الذي تبنى عليه حياة الطفل ومستقبله، والحقيقة التي يُنْتهي إليها وتتأكد يوماً بعد يوم هي أن للإدراكات الحاصلة في دور الطفولة، والحوادث والتجارب الواقعة في تلك الفترة تأثيراً قاطعاً على حياة الإنسان؛ إذ نستطيع القول بصراحة أن هذه الإدراكات والتجارب تعد الأساس لسلامة الأفراد وسقمهم وسعادتهم وشقائهم طيلة أيام العمر[2] .

وإذا تقرر أن مستقبل الإنسان مبني على مرحلة طفولته إيجاباً وسلباً، فهذا يقرر أيضاً أن مستقبل المجتمع مرتبط بالعناية بأطفاله، فهم رجاله، ونساؤه مستقبلاً، وهم قادته وصانعوا حضارته، وهم ثروته، ومصدر تقدمه، وهم مركز أمله وتطلعه، والعناية المتكاملة بأطفال المجتمع هي الخطوة المثمرة في بناء مستقبل المجتمع، ورسم أي سياسة مستقبلية لهذا المجتمع، لا يكتب لها النجاح، ولا يرى لها واقع إذا لم تبدأ من قاعدة المجتمع العريضة، أو لم يوضع لهذه القاعدة اعتبار ذلك أن لكل بنيان قاعدة، وقاعدة بناء المجتمع هم صغاره، فبقدر العناية بهؤلاء الصغار، والعمل على تنمية طاقاتهم، والكشف عن قدراتهم، بالأساليب التربوية الصالحة ذات الأهداف النبيلة، يتقدم المجتمع، وتتحقق

---

(١) انظر: الطفل السعودي بين الواقع والمنشود، بقلم أسماء محمد/ ٤٦٣ .

(٢) انظر: الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي فلسفي ٢/ ٨١.

الأهداف المنشودة التي يرمي إليها راسمو سياسات مستقبلة.

إن الطفل إذا كبر أصبح عضواً في المجتمع، فهو إن لم يرب التربية الصحيحة، التي تصقل مواهبه الفطرية، وتنمي ملكاته العقلية، والفكرية، وتهذب صفاته الأخلاقية، فقد يصبح عضواً فاسداً في المجتمع ضرره أكبر من نفعه وشره أكبر من خيره[1] والعكس بالعكس مثل ترتب النتيجة على تطبيق القاعدة.

ثانياً: واقع العناية بالطفل في الحاضر والماضي وفي الإسلام:

العوامل السابقة وغيرها كانت سبباً في جذب اهتمام كثير من المفكرين والمصلحين في العصر الحاضر إلى العناية بمرحلة الطفولة، ذات الخصائص الدقيقة، فهي فترة بناء متكامل، تنتفع بالتوجيه، وتستجيب لعوامل التأثير المحيطة، ويتجلى هذا الاهتمام في نداء الأمم المتحدة بشأن الإعلان العالمي لحقوق الطفل الصادر في العشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٩م والذي نصَّ على حقوق الطفل التي تركزت حول رعايته الصحية، والتربوية، والتعليمية، وحق الحياة. وبعد عشرين عاماً اتخذت هيئة الأمم المتحدة قراراً بتسمية عام ١٩٧٩م بعام الطفل، لتوجيه الأنظار إلى العناية بالطفولة، وجذب الاهتمامات إلى هذه المرحلة، بعد أن رفعت المؤسسات المعنية بشئون الأطفال في كافة أرجاء العالم تقاريرها، مرفقة بإحصاءات مذهلة، ودراسات علمية مختلفة، عن وضع الطفل المتردّي في كثير من المجتمعات، وتدعو هذه الدوائر ذات العلاقة إلى الوقوف في وجه الأخطار المحدقة التي تهدد الأطفال، وتنذر بالضياع للأجيال القادمة[2].

---

(١) انظر: الطفل المثالي في الإسلام، عبد الغني الخطيب/ ١٢١.

(٢) انظر: مقال مأساة الطفل العالمية، بقلم الأستاذ شهاب الدبوني/ ١٠١، مجلة منار الإسلام.

لقد استجابت عدد من الدول ذات الإمكانات لهذا النداء، وحولته إلىٰ برامج، وخطوات عملية أعطت هذه المرحلة حقها في مجالات الصحة والتربية والتعليم، وهيَّأت لأطفالها أماكن اللعب واللهو والترفيه، وفقاً لما تقتضيه بنود الميثاق. لكن يُلاحظ علىٰ هذه البرامج أنها حرمت الطفل التربية الدينية وأهملت غرس مبادئ الدين في نفسه منذ الصغر، وتنشئته علىٰ الخلق القويم، مما أدىٰ إلىٰ نقص خطير في التربية والتكوين يعاني من آثاره كثير من المجتمعات التي حرمت نعمة الإيمان والتوحيد وفقدت الاطمئنان النفسي، فعاشت القلق النفسي والاضطراب الاجتماعي بأبشع صورهما، وأشكالهما.

وفي الدول الصغيرة تحرم الغالبة العظمىٰ من أطفالها من أدنىٰ حقوقهم الإنسانية، فهم يعيشون تحت وطأة الجوع، والعرىٰ، والظلم الاجتماعي، ويعانون ألوان البؤس والحرمان.

إن وضع الطفل اليوم امتداد لوضعه القديم في العالم خلا المناطق التي عرفت التوحيد، فلم تكن البشرية في العصور الماضية تعترف بحقوق الطفل كاملة، فلقد كان الاسبارطيون يقتلون كل طفل ذكراً كان أم أنثىٰ إذا لم يكن ذا بنية قوية منذ ولادته، أو كان مشوه الخلقة، ودعا إلىٰ ذلك عمالقة الفلاسفة اليونانيين من أمثال أفلاطون(١) في جمهوريته، فقد دعا إلىٰ عزل الأطفال عن أمهاتهم، مقترحاً قيام المربيات والحاضنات مقام الأمهات في التربية والرعاية، بقوله: (أما الأطفال فعندما يولدون يعهد بهم إلىٰ هيئة تتولىٰ شئونهم تتكون إما من رجال أو من نساء، وإما من الجنسين معاً، ما دامت المهام العامة مشتركة بين الرجال والنساء. . .، ومن الواجب أن يعني هؤلاء الموظفون بأبناء صفوة الموظفين،

---

(١) فيلسوف يوناني تتلمذ علىٰ سقراط ومعلم أرسطو، يُعد عند الفلاسفة اليونانيين نموذجاً للمذهب المثالي، ومعيناً لكل مشتغل بالفلسفة انظر: الفهرست للنديم/ ٣٠٦، والمنجد للأعلام ٢/ ٤٢، والموسوعة العربية الميسّرة/ ١٨١.

ويعـهـدوا بهم إلىٰ مـربيات يقطنَّ وحدهنَّ مكاناً خاصاً من المدينة، أما أطفال المواطنين الأقل مرتبة ـ أولئك الذين يولدون وفي أجسامهم عيب، أو تشويه ـ فعليهم أن يخبئوهم في مكان خفي بعيد عن الأعين)[١] .

ومن أمثـال أرسطو[٢] في كتابه السياسة؛ إذ يقـول: (لتمييز الأطفال الذين يجب تركـهم من الذين يجب تربيتـهم يحسن أن تحظر بـقـانون أية عناية بأولئك الذين يولدون مشوهي الخلقة . أما ما يتعلق بعدد الأطفـال، فإذا كـانت العادات تأبىٰ التـرك الكلي، وكـانت الزوجيـات[٣] خِصْبـة إلىٰ ما وراء الحـد المفـروض صراحة علىٰ السكان، فينبغي الإيعاز بالإجهاض قبل أن يتلقىٰ الجنين الإحساس والحياة، فإن تأثيم هذا العمل أو عدم تأثيمه لا يتعلق كلاهما علىٰ الإطلاق إلا بهذا الشرط، شرط الحساسية والحياة)[٤] .

وكـان الأب الروماني يملك علىٰ أبنائه ذكوراً وإناثاً حق الموت والحياة، وقد أمر فرعون مصر بقتل كل مولود ذكر لبني إسرائيل، وإلىٰ هذا يشير القرآن الكريم بقـوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[٥] . وكذلك كان بعض القبائل العربية يلجأ قبل الإسلام إلىٰ قتل الأولاد بعد ولادتهم مباشرة، دون تفـرقة بين الذكـور والإناث، تحت تأثير الفقر والرغبة في التخلص من واجب التربية . وإلىٰ هذه التقاليد يشير القرآن الكريم بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ

---

(١) جمهورية أفلاطون، ترجمة ودراسة الدكتور فؤاد زكريا/ ٣٦٠ .

(٢) فيلسوف يوناني، تتلمذ علىٰ أفلاطون، و معلم الإسكندر الأكبر، من كبار مفكري اليونان، انظر: الفهرست للنديم/ ٣٠٧، والمنجد للأعلام .

(٣) بمعنىٰ الأسر الزوجية .

(٤) السياسة لأرسطو طاليس، ترجمة أحمد لطفي السيد/ ٢٨٤ .

(٥) البقرة: ٤٩، فكان فرعون يذبح الأطفال الذكور، ويبقي الإناث، وعبَّر القرآن عنهم باسم النساء علىٰ اعتبار المـآل، انظر: تفسير القرطبي ١/ ٣٨٥ .

إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾(١) . وكان يئدون البنات تقذف الأنثىٰ حية في حفرة معدَّة بعد الولادة بدافع أن البنت رجس من خلق الشيطان أو من خلق إله غير آلهتهم وأن مخلوقاً هذا شأنه ينبغي التخلص منه(٢) ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾(٣) إلىٰ جانب هذا احتقارهم للأنثىٰ ، يصور ذلك القرآن الكريم : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(٤) .

وفي القرون الوسطىٰ النصرانية سادت في أوروبا فكرة تُحَمُّلُ الطفل منذ الولادة مسئولية خطيئة آدم عليه السلام(٥) التي هدمها الإسلام بقوله : ﴿لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٦) ، وبقوله تعالىٰ : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٧) بل أعلن الله تعالىٰ في كتابه قبول توبة آدم عليه السلام : ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾(٨) .

---

(١) الإسراء : ٣١ .

(٢) يرىٰ د . علي وافي أن هذا الدافع الديني هو الذي كان يدفع العشائر العربية في الجاهلية إلىٰ وأد بناتها وأنه الملائم لعقيدتهم في قسمة نتاج الأشياء إلىٰ قسم طاهر زكي ينسبونه لآلهتهم ويعدونه من خلقها ، وقسم كانوا يعتقدون أنه مدنس ورجس ينسبونه إلىٰ الله (تعالىٰ عن ذلك) ويحرمون علىٰ أنفسهم الانتفاع به ومنه الإناث فكانوا يحرمون بقاءها ويرون أن واجبهم يقتضي التخلص منها ، قال تعالىٰ : ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [الأنعام : ١٣٧] ، قال ابن جرير : أي حَسَّنَ لهم الشياطين وأد البنات ، تفسير الطبري ٨/ ٤٣ ، وانظر : الأسرة والمجتمع/ ١٤١ .

(٣) التكوير : ٨ـ٩ .

(٤) النحل : ٥٨ـ٥٩ .

(٥) التربية وطرق التدريس لعبد الرحمن النحلاوي وزملائه ٢/ ٥٣ ، وكتاب الأسرة والمجتمع ، د . علي عبد الواحد وافي/ ١٣٩ .

(٦) فاطر : ١٨ .

(٧) البقرة : ١٣٤ .

(٨) طه : ١٢١ـ١٢٢ .

(أما حماية الأطفال حماية قانونية فلم تظهر في أوروبا إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأول قانون فرنسي نصً على وجوب حماية الأطفال وتقسيمهم إلى مهملين، وذوي عاهات، وأيتام، ولقطاء، ومجرمين أحداث، وعمال قصّر يعملون في المصانع، والمعامل، لم يصدر إلا حوالي سنة ١٨٧٤م)[١].

أما عن واقع الطفل في العصر الحاضر، فيعبّر عنه الأستاذ شهاب الدبوني بعنوان (مأساة الطفل العالمية) في مقال ضمنه واقع الطفل البائس في العصر الحاضر بالأرقام يقول: (وها هي أربعة أعوام مضت على عام الطفل، وحيثما تولى وجهك في البلاد الفقيرة وكثير من البلاد النامية ينتشر الحرمان والبؤس والشقاء... الجوع مرسوم على الوجوه البريئة، والأقدام الحافية لا تكاد تقوى على حمل الأجسام النحيلة... وأطفال الإنسانية مبتلاة بالقسوة، والبطش، والأنانية، والجشع، العالم يرزح كله تحت الظلم الاجتماعي... والأيتام والجياع والمحرومين في كل مكان ــ من العالم ــ حيث تجتاح الأمراض الفتَّاكة أعداداً كبيرة من هؤلاء ــ هذا إلى جانب معامل الدمار الكيميائية والأساطيل الحربية التي تصدرها الدول الغنية كل موسم على شكل هدايا)[٢].

ذلك واقع الطفل في العصور القديمة قبل الإسلام، وهذا واقعه في العصر الحاضر، فما هي نظرة الإسلام للطفل؟، وما هي أوجه العناية بالطفولة في الإسلام؟

إن نظرة الإسلام للطفل تنبع من تصوره للإنسان (فالإنسان في التصور الإسلامي مخلوق مكلف، مهمته الخلافة في الأرض، وهو عامل رئيسي[٣]،

---

(١) مجموعة المحاضرات التي ألقيت في الجلسات الثلاث لمؤتمر الطفل الذي عقدته رابطة الإصلاح الاجتماعي بمصر، محاضرة لمحة تاريخية في تنشئة الطفل، لأحمد فهمي العمروسي بك/ ٦.

(٢) منار الإسلام ــ العدد الرابع ــ السنة الثامنة/ ١٠٣.

(٣) كذا في المطبوع، والصواب: (رئيس).

ومهم في نظام الكون[١]، وهذه مسئولية كبرىٰ أنيطت بالإنسان وحده دون سائر المخلوقات فهو سيد هذه الأرض، من أجله خلق كل شيء مادي، وهو أكرم من كل قيمة مادية، فلا يجوز أن يعتدي علىٰ أي مقوم من مقومات إنسانيته الكريمة، ولا أن تهدر أية قيمة من قيمه، وهو كذلك صاحب الدور الأول في الأرض والعامل المهم في نظام الكون، زود بالقدرة علىٰ التغيير والتبديل في أشكال الأرض وارتباطاتها[٢]، ومنح أهلية القيادة، والخلافة لعمارة الأرض واستقرار أحوالها، فهذه النظرة الرفيعة والمتلائمة مع الحكمة من خلق الإنسان وإيجاده ينشأ عنها احترام مقوماته، والمحافظة عليها، وصيانتها من العوارض المفسدة، والسموم المهلكة، وكذلك تنسجم هذه النظرة مع الكرامة الإنسانية، التي اختصَّ بها علىٰ سائر المخلوقات، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٣].

(وإذا كانت الكرامة الإنسانية ـ كما قرر منهج الإسلام ـ سياجاً لحرمة الإنسان، وحصانة له، وحفظاً لحقوقه، فإنها من ناحية أخرىٰ روح تحمل الإنسانىٰ أن يعرف في هذا الوجود مكانته التي بوّأه الله إياها، ووظيفته التي كلفه بها، ويقتضي ذلك منه أن يتحرك وفق خصائص الإنسانية الأصيلة، وفطرته الطيبة النقية، فلا يهبط، ولا يسف، ولا يتقاصر عن السمو والارتقاء ـ بل ينطلق في رحاب الجد والعلم والإنتاج، دون أن يشوب انطلاقه غرور أو ظلم أو كبرياء)[٤]، فهذه مكانة رفيعة للإنسان في جميع مراحل نموه، وهي جانب من جوانب عناية الإسلام، ورعايته للطفولة، تلك المرحلة التي تعد بمثابة الأساس لما

---

(١) نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، عمر عودة الخطيب/ ١٣٢.
(٢) انظر: في ظلال القرآن ـ سيد قطب ١/ ٦٠.
(٣) الإسراء: ٧٠.
(٤) لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب/ ٢٣٣.

يليها من مراحل وأعوام، لذا نجد اهتمام الإسلام وعنايته شاملة لجميع فترات المرحلة فلم يترك الإسلام مرحلة من مراحل الطفولة دون رعاية، بل اتسع اهتمام الإسلام وامتدَّ إلىٰ ما قبل الولادة والإنسان جنين في بطن أمه، فحثَّ الراغبين في بناء بيت الزوجية علىٰ أن يدققوا في اختيار الزوجة الصالحة، فهي منبت الطفل وحضانته، وأشفق الناس وألصقهم به وأشملهم له رعاية وعناية، خشية إيصال الضرر إلىٰ الطفل عن طريق الوراثة والبيئة(١)، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾(٢)؛ لأن الأم المؤمنة تمنح أولادها الإيمان بالله تعالىٰ، وتنقل إليهم الآثار الحسنة، والسلوك الحميد، وورد في السنَّة عن أبي هريرة (٣) ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، قال: «**تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت(٤) يداك**»(٥).

وروي عن عائشة(٦) ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تخيَّروا**

---

(١) للتعرف علىٰ آثار عاملي الوراثة والبيئة علىٰ الطفل يمكن مراجعة كتاب أسس الصحة النفسية، د. عبد العزيز القوصي/ ١٧، للاطلاع علىٰ بعض الدراسات التي قام بها فريق من العلماء مثل الدراسة التي قام بها جولتون (Golton) بدراسة أقارب ما يزيد علىٰ ألف طفل من الموهوبين، وكذلك دراسة المجرمين وضعاف العقول. وما سقته من نصوص تدلّ علىٰ سبق الإسلام لهذا الأمر.

(٢) البقرة: ٢٢١.

(٣) أبو هريرة بن عامر الدوسي، أسلم عام خيبر، أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ لحديثه، سكن المدينة إلىٰ أن مات سنة ٥٧هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١٢/ ١٦٧ رقم ٣٢٠٨، والإصابة لابن حجر ١٢/ ٦٣ رقم ١١٨٠.

(٤) (تربت يداك): التصقت بالتراب، وهذا دعاء يرد من العرب، ولا يريدون به الدعاء، إنَّما يقولونه في معرض المبالغة، والتحريض علىٰ الشيء والتعجب منه، انظر: جامع الأصول لابن الأثير (شرح الغريب) ١١/ ٤٣٠.

(٥) رواه البخاري ومسلم، البخاري ٥/ ١٩٥٨ رقم ٤٨٠٢، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ومسلم ٢/ ١٦٠٨ رقم ١٤٦٦ كتاب الرضاع، باب: استحباب نكاح ذات الدين.

(٦) أم المؤمنين، من فقهاء الصحابة وعلمائهم ومن رواة الحديث المكثرين، ماتت بالمدينة سنة ٥٨هـ. انظر: الإصابة لابن حجر ١٣/ ٣٨ رقم ٧٠١.

لنطفكم ، فانكحوا الأكفاء، وانكحوا إليهم»[١] .

فهذه النصوص تدلُّ دلالة واضحة على أن (الرجل المسلم عند الزواج ـ عليه ـ أن يختار المرأة الصالحة أخلاقاً وديناً وصحة بدنية وله أن يدقق ـ في ـ هذا الاختيار بكل عناية وروّية وتبصّر ؛ لأن الأم لها دور كبير في تكوين الطفل أثناء فترة الحمل ، وكذا في تربيته بعد ذلك . . . ، وهذا ما ثبت علميًّا بعد ذلك في رأي كثير من العلماء الشرقيين والغربيين ، فهي مصدر الغذاء ، ومصدر الإشباع العاطفي والوجداني ، وهي أقرب بل أهم شخص في حياة الطفل)[٢] . شرع الإسلام كذلك أحكاماً تحمي الجنين منذ تكوينه في بطن أمه حتىٰ يخرج إلىٰ الحياة قويًّا ، مكتمل البنية ، كامل الخلقة ، منها اتخاذ الوسائل الكفيلة بحماية الطفل ، وصيانته من نزعات الشيطان عند وضعه في الرحم . عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يبلغ [٣] به النبي ﷺ ، قال : **«لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله . اللهم جنبنا الشيطان، وجنّب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره»**[٤] .

كذلك أباح الإسلام للحامل الفطر في رمضان إذا خافت علىٰ نفسها أو ولدها ، رفقاً بالجنين ، ومحافظة عليه ، حتىٰ لا يتعرض للنقص أو السقوط ، ورتبت الشريعة علىٰ الحمل تأجيل إقامة الحد علىٰ المرأة الحامل حتىٰ تضع حملها

---

(١) رواه ابن ماجه والدارقطني وصححه الحاكم : ابن ماجه ١/ ٦٣٣ رقم ١٩٦٨ كتاب النكاح ، باب : الأكفاء ، والدارقطني ٣/ ٢٢٩ رقم ١٩٨ كتاب النكاح ، باب : المهر ، والحاكم ٣/ ١٦٣ كتاب النكاح ، وتخيّروا لنطفكم . قال الذهبي في التخليص : فيه الحارث بن عمران الجعفري متهم ، وفي طريقه الآخر عكرمة بن إبراهيم ضعفوه أيضاً ، وفي إسناده مقال ، ويقوي أحد الإسنادين الآخر ، انظر : فيض القدير ٣/ ٢٣٧ رقم ٣٢٦٨ .

(٢) بحث الطفل السعودي بين الواقع والمنشود ، بقلم أسماء محمد / ٤٨٧ .

(٣) يبلغ : أي يرفع الحديث ، ويصل به إلىٰ النبي ﷺ . انظر : شرح ألفاظ صحيح البخاري ، د . مصطفىٰ البغا ١/ ٦٦ .

(٤) متفق عليه ، البخاري ١/ ٦٥ رقم١٤١ ، كتاب الوضوء ، باب : التسمية علىٰ كل حال وعند الوقاع ، ومسلم ٢/ ١٠٥٨ رقم ١٤٣٤ ، كتاب النكاح ، باب : ما يستحب أن يقوله عند الجماع .

وذلك إبقاء على حياة الجنين، ومحافظة عليه، وأنه ينبغي الترفق بها خلال هذه الفترة الحساسة وهي تنتظر العقوبة، خشية التأثير على نمو الجنين، فقد ثبت عن عمران بن حصين أن امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ وهي حبلى من الزنى فقالت: يا نبي الله! أصبت حداً فأقمه عليّ. فدعا النبي ﷺ وليها فقال: «**أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها...**»[1]. إلى جانب إقرار حقوق الجنين المالية مثل الميراث والوصية والوقف[2].

وأولى الإسلام للطفل بعد ولادته مزيداً من العناية والاهتمام، فمنحه حقوقاً أخرى كثيرة تتحقق بها مصالحه، وتكفل له الحياة الرغدة، والعيش الكريم، **وهذه الحقوق تتمثل فيما يلي إجمالاً**:

١ ـ حقه في الانتماء إلى شخص يرعاه ويحميه وهو ما يعرف في الفقه الإسلامي بثبوت النسب.

٢ ـ حقه في اختيار اسم مناسب له يدعى به، ويميزه عن غيره من الناس.

٣ ـ حقه في الغذاء الذي ينبت به اللحم، وينشز العظم، وهو حقه في الرضاع.

٤ ـ حقه في افتدائه بذبيحة في اليوم السابع لميلاده، وهو ما يعرف في الفقه الإسلامي بالعقيقة.

٥ ـ حقه في إزالة الأذى عنه، ويتمثل ذلك في الختان وحلق الرأس والعناية بنظافته.

٦ ـ وجوب رعايته وحمايته ويتمثل ذلك في الحضانة.

٧ ـ حقه في الإنفاق عليه حتى يبلغ السن التي يكون فيها قادراً على الكسب.

---

(١) رواه مسلم ٣/ ١٣٢٤ رقم ١٦٩٦، كتاب الحدود، باب: من اعترف على نفسه بالزنى.

(٢) بحث الطفل في نظر الشريعة الإسلامية، د. محمد الصالح/ ٢٧ ـ ٣٠.

٨ ـ حقه في تربيته وتعليمه وتأديبه[١] .

إلىٰ غير ذلك من الحقوق ، وسوف ينال بعضها تفصيلاً في البحث إن شاء الله تعالىٰ .

وبذلك يكون الإسلام قد سبق جميع النظم والهيئات المختصة بالطفل عناية ورعاية وإقراراً بحقوق الطفل ، بل ربط هذه الحقوق بالدين ، ورتب لها أحكاماً عقد لها الفقهاء والمحدثين أبواباً في كتبهم مثل أبواب الحضانة والرضاعة ، والنفقات ، واشتمل كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري[٢] علىٰ عدد من الأبواب التي تعني بأدب الطفل ورعايته ، واختص بذلك كتاب تحفة المودود بأحكام المولود لابن قيم الجوزية .

ويحاسب الإسلام علىٰ التقصير في هذه الحقوق الآباء ، ومن ولاهم الله تعالىٰ مسئولية تربية الطفل ، ورعايته ، وتثقيفه ، ولا غرابة أن يهتم الإسلام بالأطفال فهم ثرة الحياة الزوجية ، وأمل الحياة ، ووسيلة العمل الصالح بعد الموت ، وبصلاحهم يسعد المجتمع ويعتز ، وبشقائهم يشقىٰ ويذلّ .

---

(١) بحث الطفل في نظر الشريعة الإسلامية ، د . محمد الصالح/ ٣٣ .

(٢) هو : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي مولاهم ، البخاري ، الحافظ ، الإمام المحدث ، ولد في بخارىٰ سنة ١٩٤هـ ، وتوفي بخرتنك (من قرىٰ سمرقند) سنة ٢٥٦ هـ . من مؤلفاته : الجامع الصحيح أصح كتب الحديث . انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ١٨٨ رقم ٥٦٩ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ٥٥٥ رقم ٥٧٨ .

الفصل الثاني

مَفهُومُ الثَّقَافَة وطَبيعتَها

ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الثّقافة.

المبحث الثاني: طبيعة الثقافة الإسلامية.

المبحث الأول

مفهوم الثقافة

أولاً: معني الثقافة في اللغة:

يرجع اشتقاق كلمة ثقافة من (ثقف) الثاء والقاف والفاء. وهو إقامة دَرْء الشيء[١] . وتستعمل في معانٍ كثيرة، منها:

١ ـ الحِذْق، والخِفة، والفطْنة، والفَهْم، يقال: ثقف فلان ثَقْفاً وثَقَفا وثقافة: صار حَاذقاً، خَفيفاً، فَطِناً، فَهِماً[٢] .

٢ ـ وبمعنى الظفر والإدراك، وسرعة الأخذ والتعلم، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾[٣] أي: إن تظفر بهم في الحرب، ونحو طلبناه وثقفناه في مكان كذا، أي: أدركناه، ونحو ثقفت العلم أو الصناعة في أقصى مدة: إذا أسرعت أخذه[٤] .

٣ ـ وبمعنى التسوية وتقويم المعوج من الأشياء المحسوسة، ومنه الثقاف: حديدة تكون مع القوس والرماح يقوّم بها الشيء المعوج، ومنه قول عمر بن كلثوم[٥] :

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ١/ ٣٩٥، ودرء الشيء: ميله، قال الفيروزآبادي في القاموس ١/ ١٤ : الدرء: الميل والعوج في القناة ونحوها.

(٢) انظر: القاموس للفيروزآبادي ٣/ ١٢٥، وتاج العروس للزبيدي ٦/ ٥١.

(٣) الأنفال: ٥٧.

(٤) أساس البلاغة للزمخشري / ٤٦.

(٥) من بني تغلب من بني عقاب، جاهلي قديم، صاحب المعلقة المشهورة. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة / ١٠٢.

إذا عض الثِقاف بها اشمأزت ... وولتهم عشوزنة زبونا

عشوزنة إذا غمزت أرنت ... تشج قفا المثقف والجبينا[١]

وتثقيفها : تسويتها ، ومنه قول عائشة تصف أباها ـ رضي الله عنهما ـ : (وأقام أوده بثقافة)[٢] تريد : أنه سوىٰ عوج المسلمين[٣] .

٤ ـ وتستعمل مجازاً بمعنىٰ التأديب والتهذيب . ذكره الزمخشري[٤] في أساس البلاغة : (ومن المجاز أدّبه وثقفه ولولا تثقيفك وتوقيفك لما كنت شيئاً ، وهل تهذبت وتثقفت إلا علىٰ يدك)[٥] .

وبمتابعة المعاجم والقواميس العربية نجد كلمة (ثقافة) تطلق في الأصل علىٰ

---

(١) (أ) تخريجهما : وردا في المعلقة ، انظر : شرح المعلقات السبع للزوزني/ ١٨٠ .

(ب) غريبهما : الثقاف : تقدم معناه ، اشمأزت : انقبضت ، وذعرت ، ونفرت . انظر : لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٩٢ ، زبونا : أصل الزبن الدفع ، وسمي بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار ، انظر : مختار الصحاح للرازي / ٢٦٨ ، أرنت : الرنة الصوت ، وأرنت : أي صاحت . انظر : مختار الصحاح للرازي / ٢٥٩ ، وتشج : من الشجة ، وهي الجرح يكون في الوجه والرأس . انظر : لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢١٩٦ . والقفا : مؤخر العنق أو وراءه ، انظر : لسان العرب لابن منظور/ ٣٧٠٧ .

(جـ) معناهما : إذا أخذت الثقاف قناتهم ـ يريد بها عزتهم ـ لتقويمها ، نفرت من التقويم ، وولت قناتهم الثقاف صلبة شديدة دفعاً ، وذلك أن عمراً جعل القناة التي لا يتهيأ تقويمها مثلاً لعزتهم التي لا تضعضع ، ثم بالغ في البيت الثاني فوصف القناة بأنها تصوت إذا أريد تثقيفها ، ولم تتطاوع لغامز ، بل تشج قفاه وجبينه ، كذلك عزتهم لا تضعضع لمن رامها ، بل تهلكه وتقهره . انظر : شرح المعلقات السبع للزوزني/ ١٨٠ .

(٢) انظر : شرح خطبة عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنه عنها ـ في أبيها لمحمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق د . صلاح المنجد / ٢٣ .

(٣) لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٩٢ .

(٤) هو : أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان ، من أشهر مؤلفاته : الكشاف في التفسير . توفي سنة ٥٣٨هـ . انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ١٦٨ رقم ٧١١ ، والأعلام للزركلي ٧/ ١٧٨ .

(٥) ص ٤٦ .

المعاني السابقة وأكثر استعمالها فيها، ولكنها أيضاً تستعمل في معان يقرب منها مصطلح الثقافة المعاصر ولعلها أصله:

١ ـ تطلق على إدراك العلم والإلمام بما يحتاج إليه منه مع ضبطه. جاء في معجم مقاييس اللغة: (ورجل ثقف لقف، وذلك أن يصيب علم ما، يسمعه على استواء)[١] بمعنى: الإمساك بما يظفر به من علم. ويؤيد هذا المعنى قول ابن السكّيت[٢]: (رجل ثقف لقف) إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به[٣]، ومنه حديث الهجرة (يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر [٤] وهو غلام شاب ثقف لقف)[٥]، والمراد: أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه. وفي حديث أم حكيم[٦] بنت عبد المطلب: (إني حصان فما أكلم وثقاف فما أعلم)[٧] أي: واسعة المعرفة فيما تحتاجه.

٢ ـ كذلك يوصف بها المسلم بعدد من المعارف والفنون. ويؤيد هذ المعنى قول أبي زياد[٨]: (رجل ثقف لقف رام راو)[٩]، وهو قول الليث[١٠] مع زيادة

---

(١) لابن فارس ١/ ٣٨٢.

(٢) إمام في اللغة والأدب، ومن علماء النحو الكوفي، توفي سنة ٢٤٦هـ. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٦/ ٣٩٥ رقم ٨٢٧، والفهرست للنديم/ ٧٩.

(٣) لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٩٢.

(٤) عبد الله بن أبي بكر الصديق، شهد الفتح، وحنيناً، والطائف. استشهد في أول خلافة أبيه على أثر جُرح سهم رمي به في غزوة الطائف. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٦/ ١١٩ رقم ١٤٨٤، والإصابة لابن حجر ٦/ ٢٦ رقم ٤٥٥٩.

(٥) جزء من حديث طويل رواه البخاري بسنده إلى عائشة رضي الله عنها ٣/ ١٤١٩ رقم ٣٦٩٢، كتاب فضائل الصحابة، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

(٦) هي: البيضاء بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ، لم يثبت إسلامها. انظر: السيرة لابن هشام ١/ ١٨٣، وزاد المعاد لابن القيم ١/ ١٠٤.

(٧) لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٩٢.

(٨) في الفهرست للنديم/ ٥٠، هو: يزيد بن عبد الله الكلابي، عالم بالأدب، له شعر جيد من سكان بادية الشام، قدم بغداد أيام المهدي العباسي، أقام بها إلى أن مات.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٩٢.

(١٠) هو: الليث بن المظفر، من ولد نصر بن سيار، صحب الخليل بن أحمد مدة يسيرة، برع في=

شاعر (راو شاعر رام)[1] ، والرماية والشعر والرواية من أشرف العلوم عند العرب .

ثانياً: مفهوم الثقافة في العصور الماضية:

يبدو أن كلمة ثقافة لم تستعمل مصطلحاً علميًا إلا في العصر الحديث، حين واجه المسلمون تحديات حضارية معادية، وثقافات مسمومة، ومفاهيم دخيلة مغلوطة، دخلت في فترة ضعف الأمة الإسلامية، وبعد وقوعها تحت سيطرة الكفار في صورة مناهج ملتوية في الفكر ، والاقتصاد، والسلوك، والتربية، والاجتماع[2] . ولذا كان لزاماً على علماء المسلمين ومفكريهم أن يعالجوا ما طرأ على هذه المناهج من التواء مسخ صورتها المشرقة أو شوّه وضاءة وجهها بالتأصيل والعودة بها إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وما كان عليه صحابته وعلماء الأمة الأبرار، الذين كانت حياتهم تجسيماً حيًّا للصورة، وهذا هو دور الثقافة ، ووظيفة المهتمين بها، إلى جانب دورهم في إبراز المفاهيم الإسلامية، التي تعالج ما ينجم عن تفاعل مع معترك الحياة من مواقف وقضايا وفق القيم والمبادئ والآمال التي تربط أفراد هذا المجتمع، وتنبع من عقيدته التي يؤمن بها أفراده، لعل هذه الظروف وغيرها ساعدت أو كانت السب في ظهور هذا المفهوم وتداوله في الأوساط العلمية وفي لغة الكتابة، لكن هل كانت كلمة (ثقافة) معروفة مصطلحاً قبل هذا العصر؟

١ ـ الواقع أني لم أقف على مستند علمي يثبت أو ينفي استعمال هذه الكلمة مصطلحاً علمياً، وما بين أيدينا من معاجم وقواميس قديمة لم تزد على ذكر

= الأدب والشعر والغريب والنحو. انظر: الفهرست للنديم / ٤٨ ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ١٧/ ٤٣ .

(١) تاج العروس للزبيدي ٦/ ٥١ .

(٢) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، للأستاذ عمر عودة الخطيب/ ٢٠ .

معانيها في اللغة العربية، وهي معان ذات صلة وارتباط واضحين بالمدلول الشائع للثقافة، فإدراك إنسان ما قدراً كافياً من فروع العلم وإلمامه بعدد من المهارات التي يحتاجها في مواقف الحياة يؤهله أن يوصف بأنه ثَقِف، بمعنى: مثقف عن طريق الاقتضاء.

٢ ـ لعل كلمة (ثقافة) قبل نشأة العلوم وتحديدها بأسماء اصطلاحاتها كانت تستعمل مضافة إلى معنى الأدب التعليمي، ويمكن أن يتلمس هذا المعنى من شواهد كثيرة، منها:

حديث عمرو بن سعيد بن العاص[(١)] أن رسول الله ﷺ قال: «**ما نحل[(٢)] والد ولداً أفضل من أدب حسن**»[(٣)].

وحديث عبد الله بن مسعود[(٤)] أنه كان يقول: «**عليكم بهذا القرآن فإنه مأدبة الله، فمن استطاع منكم أن يأخذ من مأدبة الله فليفعل**»[(٥)].

والمأدبة: اسم مكان من الأدب على التشبيه، فالقرآن يجمع الآداب التي يدعو الله تعالى إليها من خلق كريم، وحكم صالحة، ومواعظ نافعة،

---

(١) تابعي، وأبوه من صغار الصحابة، جاءت عنه هذه الرواية من طريق حفيدة، أيوب بن موسى. انظر: الإصابة لابن حجر ٨/ ٣٣ رقم ٦٨٤٢.

(٢) النحل: العطية والهبة ابتداءً من غير عوض ولا استحقاق. انظر: النهاية لابن الأثير ٥/ ٢٩.

(٣) رواه أحمد والترمذي. أحمد ٤/ ٧٨، والترمذي ٣/ ٢٢٧ رقم ٢٠١٨ أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في أدب الولد. وقال: غريب لا نعرفه إلا من حيث عامر بن أبي عامر الخزاز، وهو حديث مرسل. قال ابن حجر في الإصابة ٨/ ٣٣ رقم ٦٨٤٢: أن أباه سعيد كان له عند موت النبي ﷺ ثمان سنين أو نحوها فكيف يولد له.

(٤) هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي، من أوائل الصحابة إسلاماً، وهاجر الهجرتين، شهد بدراً والمشاهد بعدها. وشهد فتوح الشام، من قرّاء الصحابة، شهد له رسول الله ﷺ بالجنة. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٧/ ٢٠ رقم ١٦٥٩، الإصابة لابن حجر ٦/ ٢١٤ رقم ٤٩٤٥.

(٥) رواه البزار: مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ١٢٨، كتاب العلم، باب: العلم بالتعلم، وقال الهيثمي: رجاله ثقات. ووافقه السخاوي في المقاصد الحسنة ١٠٨ رقم ٢١٠.

وتصور صحيح، وكل ما يستعمل بمعنىٰ التهذيب[١]، وإطلاق لفظة المؤدبين منذ عصور الدولة الأموية علىٰ الذين يقومون بوظيفة تعليم أولاد الخلفاء والأعيان وتثقيفهم بأهم العلوم ، وهذا الاستعمال يتفق مع معنىٰ الثقافة مجازاً ـ كما سبق الإشارة إليه ـ وهو التهذيب والتأديب والتقويم، ومع المعنىٰ الأصلي : وهو الإدراك العلمي ـ كما تقدم ـ .

٣ ـ وردت لفظة (ثقافة) معطوفة علىٰ لفظة (صناعة) في مقدمة طبقات الشعراء لأبي عبد الله بن سلام الجمحي[٢] : (وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان)[٣] . وقد فهم بعض الباحثين في النقد الأدبي أن لفظة صناعة تعني لدىٰ ابن سلام : ميزان نقد الشعر، لكن يبقىٰ معنىٰ كلمة (ثقاف) التي عطفها علىٰ كلمة (صناعة)، فإذا كان ينفي الترادف، فإن مدلول لفظة (ثقافة) كما فهم من كلامه يعني : الحِذْقَ والفَهْمَ والقُدْرَة أو ما يمكن أن نعبر عنه بما يسمىٰ (الملكة) . . . فإذا أضيفت الكلمة إلىٰ الشعر كانت ملكة الشعر، وإذا أطلقت دون أن تضاف إلىٰ علم أو فن فليس ثمة ما يمنع أن تدل علىٰ ما نطلق عليه اليوم اسم الثقافة العامة بمعناها الخاص، وهي الثقافة الأدبية، وهكذا يتوسع المدلول ، ويتنوع، كلما أضيفت إلىٰ علم ، أو فن خاص، كأن تقول : الثقافة الشعرية، والثقافة التاريخية . . . وهكذا . وهذا ما يدل عليه لفظة (المثقف)

---

(١) انظر : أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب/ ٧٠٤.

(٢) هو : محمد بن سلام الجمحي بالولاء، إمام في الأدب ، وأحد الإخباريين والرواة، كان يقول بالقدر، من أهل البصرة، مات ببغداد . انظر : الفهرست للنديم/ ١٢٦، والأعلام للزركلي ١٤٦/٦.

(٣) طبقات الشعراء لابن سلام، قرأه وشرحه محمود شاكر/ ٥ .

في الاستعمال الشائع[١] .

ولكن هذا الوجه ـ فيما أرىٰ ـ لا يخرج عن دائرة الاحتمال، ولا يتعدىٰ الاستعمال القليل، أو هو اصطلاح ابن سلام وحده ، ولم يكتب له الشيوع والانتشار، ويعضد هذا أن ابن خلدون قد تناول في الباب السادس من (المقدمة) الكلام علىٰ كل أنواع العلوم وأصنافها، والتعليم وطرقه. . . وقد عقد واحداً وستين فصلاً عالج فيها مختلف أنواع الثقافة في عصره، ولم يذكر الثقافة بين العلوم إلا إن أردنا التصيد أو تفسير المصطلحات ، كأن نفسر ما أطلق عليه ابن خلدون عبارة (الملكة) بالثقافة ممزوجة بالموهبة[٢] ، وهذا محتمل مبرره سعة معنىٰ كلمة (ثقافة) في استعمال العصر الحاضر، بل لا نجد لكلمة ثقافة بالمعنىٰ الاصطلاحي استعمالاً في العصر الأموي والعباسي ولا أثر لها في اللغة الأدبية أو اللغة الرسمية لذلك العصر[٣] .

ثالثاً: مفهوم الثقافة في العصر الحاضر:

تقرر فيما مضىٰ أن الثقافة في مصطلح حديث لم يعرف في العصور الماضية بمعناه الواسع اليوم، فهو وليد هذا العصر وقد استعمل استعمالاً واسعاً شمل جميع أوجه الحياة وطرائقها، والمتأمّل للتعاريف الموضوعة لهذا المصطلح يلحظ تقاربها في الفكرة وتباعدها في الصياغة والدلالة ، فهي بين العموم بحيث تشمل أكثر أجزاء المدلول العام لكلمة ثقافة، وبين النوعية بحيث تنم عن تأثرها

---

(١) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية ، عمر عودة الخطيب/ ٢٥ .

(٢) انظر: المرجع نفسه/ ٢٥ ، ومن عبارات ابن خلدون القريبة إلىٰ معنىٰ الثقافة قوله: (. . . وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنَّما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف علىٰ مسائله واستنباط فروعه من أصوله. . . والملكة إنَّما هي للعالم أو الشادي في الفنون دون سواهما) . مقدمة ابن خلدون، بتحقيق د. علي عبد الواحد وافي ٣/ ١٠١٩ .

(٣) انظر: مشكلة الثقافة ، مالك بن نبي/ ٢٠ .

بتخصصات واضعيها وتنبئ عن التركيز على بعض جوانب المعنى العام، ومهما تكن من الكثرة فبعضها يكمل بعضاً عند اجتماعها ولا تتعارض مع المفهوم الشائع للثقافة عند تفرقها(١) .

ولعل السبب في تعدد التعريفات والصيغ لكلمة (ثقافة) يعود إلى صعوبة الوصول إلى تعريف جامع مانع يفي بالدلالة على جميع خصائص المعرّف(٢) . هذه الصعوبة هي (صعوبة التوفيق إلى حدود منطقية دقيقة لأكثر المصطلحات التي تجرى على الألسن دون أن تتضح مدلولاتها في أذهان مستعمليها ، أو يكونوا مثقفين على ما بها يعنون ، من ذلك كلمات الجمال، والشعر، والأدب، والمثالية، وغيرها كثير(٣) . ويؤكد هذه الصعوبة أن كلمة (ثقافة) ذات أبعاد كبرى، ودلالات كثيرة، وإيحاءات متعددة ، وتعني ـ في إطارها العام ـ آفاقاً ومستويات يضيق المدلول اللغوي عن ضبطها أو حصرها ـ أو بتعبير آخر ـ عن احتوائها . فلا بد إذاً من تجاوز النطاق اللغوي ـ من حيث أصل الكلمة أو استعمالاتها ـ إلى النطاق الفكري العام عند محاولة تعريف الثقافة تعريفاً يشمل جوانبها المتعددة وآفاقها المتنوعة(٤) .

وقد عرّفها مجمع اللغة العربية بالقاهرة بأنها : (العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها ، وأشار إليها برمز محدثة)(٥) ، وهو تعريف واسع

---

(١) انظر : أضواء على الثقافة الإسلامية، د. نادية شريف العمري/ ١٦ .

(٢) انظر : النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه، للأستاذ سيد قطب/ ٧ .

(٣) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب/ ١٦ .

(٤) لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب/ ٢٢ .

(٥) المعجم الوسيط ١/ ٩٨، وكلمة (محدثة) اصطلح المعجم المذكور على وضعها أمام اللفظ الحديث استعماله ، وقد عرّفها المنجد في اللغة/ ٧١ بمعنى قريب منه وهو المتمكن من العلوم والمعارف، والآداب. وقد ذكر صاحبا الصحاح في اللغة والعلوم ، إعداد نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي/ ١٢٢، تعريفاً آخر نسباه إلى مجمع اللغة وهو : (كل ما فيه استنارة للذهن أو تهذيب للذوق، وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع).

قريب من المعنى اللغوي ، دالّ على الصلة الوثيقة بين الثقافة والعلم والمعرفة ، ولكنه أغفل ذاتية الثقافة وأخفى شخصيتها وهما الجانب المميز للثقافة ذات الصفة القومية المرتبطة بعقيدة المجتمع التي تتبعها ، متميزة عن العلم والمعرفة على اعتبار أن العلم والمعرفة عالميان ، فهما حق مشاع بين الشعوب والمجتمعات[١] .

ومن التعريفات الواسعة للثقافة أنها(الحاصل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقوانين والتقاليد وجميع القابليات والعادات التي يكتسبها الإنسان وهو عضو في المجتمع ، وهذا يعني أن الثقافة ليست سجلاً لآثار الماضي وتراثه بقدر ما هي عماد الحاضر وأساس المستقبل ؛ لأنها طريق حياة المجتمع وهي في ـ نفس الوقت[٢] ـــ أداة لتطوير الحياة)[٣] .

ولعل أقرب التعريفات دلالة على ما يتوارد في الذهن عن كلمة (ثقافة) ويتفق مع واقع إطلاقها في المجتمعات ويتلاءم مع النظرة الإسلامية لها أنها : تطلق في هذا العصر على مجموعة القيم ، والأفكار ، والمفاهيم ، والتطلعات ، وقواعد السلوك ؛ لكونها الروابط المشتركة بين أفراد المجتمع ذات القدرة على توجيه قراراتهم ، وتصرفاتهم ، وتصوراتهم ، وأنماط سلوكهم والتي تترابط في إطار مذهبي يبنى على العقيدة أو الفلسفة التي يؤمن بها المجتمع

(١) يجدو التنبيه على (المزاعم القائلة بأن الثقافة تراث إنساني لا وطن له ولا دين ولا جنس . فهذه الدعوة ـ تكون صحيحة عندما تتعلق بالعلوم التجريبية ، وبالتطبيقات العملية ، ولكنها فيما عدا ذلك قد تكون خدعة يقصد من ورائها تمييع الحواجز كلها وفي مقدمتها العقيدة والتصورات المنبثقة عنها والتي تصبح بها الثقافة تراثاً ذاتيًا مميزاً) . انظر : كتاب في ضوء القرآن والسنة ، د . التهامي نقرة/ ٢٣٤ .

(٢) كذا في المطبوع ، والصواب : (في الوقت نفسه) .

(٣) الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال ، من محاضرة أدب الأطفال ومراحل النمو ، صبيحة فارس/ ٧٨ .

ويدين لها أفراده .

وقد يؤخذ على هذا التعريف إغفاله للجانب المادي الحضاري مع أن الاستعمال الكثير يشمله ، والصلة بينهما وثيقة ، بل ثقافة كل أمة هي أساس حضارتها، فمنشأ الإنتاج المادي إعمال الفكر ، والاستفادة من تراث الماضي . والثقافة هي فكر الحضارة والعامل الأول في تطويرها وجمودها ، وتقدمها ، وتأخرها ، وهذا كله صواب لكن التعبير الدقيق يقتضي التفريق بينهما ، والفرق بينهما هو الفرق نفسه بين العلم والحضارة وبين الثقافة والمعرفة، ومهما يكن بينهما من تداخل وترابط فإن التمييزبينهما أمر يقتضيه التعريف ، ثم إن الثقافة هي شخصية الأمة، ومجمع ذاتيتها، وليس الأمر كذلك في الحضارة والمعرفة والعلم ، فهي نتاج ثقافات مختلفة، وتراث أمم متعددة ، وبالتالي هي حق مشاع بين الأمم ، وعلى العكس الثقافة .

المبحث الثاني

طبيعة الثقافة الإسلامية

الثقافة الإسلامية إطار فريد ذات مصادر وخصائص تميزها عن سائر الثقافات في مكوناتها ومجالاتها المتعددة التي تشمل أمور الدنيا وتمتد لتعم أمور الآخرة، وهي:

١ ـ كونها ربانية المصدر:

تعتمد الثقافة الإسلامية على العقيدة الإسلامية، فهي محور ارتكازها وقاعدتها الصلبة . فمنها تستمد شخصيتها ومكوناتها ومقوماتها، ومجالاتها، والعقيدة تعني الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له ، وخضوع ما في الكون له سبحانه دون سواه، فيلزم من هذا الإيمان، وهذا الخضوع أن تكون جميع القرارات التي يصدرها الإنسان في حياته ، وجميع التصرفات التي تقتضيها استجابته لسنّة الحركة في هذا الكون الفسيح، وجميع التصورات التي تنتج عن نظر الإنسان وإعمال الفكر، وجميع أنماط السلوك التي يمارسها في حياته على اختلاف أحوالها خاضعة لرب العالمين مراعي فيها شرعه مبتغي فيها رضاه، وعلى هذا ، فالثقافة الإسلامية تمثل شخصية الأمة الإسلامية التي تقوم على عقيدة التوحيد، وعلى تطبيق الشريعة الإسلامية والأخلاق الإيمانية المستقاة من مصادر الإسلام الأساسية : الكتاب والسنّة[1] واجتهادات أئمة المسلمين ، ومفكريهم ، المتّسقة مع قواعد الإسلام وروحه، والمستمدة من مصدري الإسلام الأساسين: الكتاب والسنة، فمردّ مصادر الثقافة الإسلامية (الوحي المنزّل على

---

(١) أضواء على الثقافة الإسلامية، د. نادية العمري/ ١٧ .

محمد ﷺ برهاناً ونوراً وموعظة وشفاء ورحمة للمؤمنين . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾(١) ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢) .

ثانياً: كونها أصيلة ثابتة:

وميزة الإسلام بين المناهج القائمة في العالم اليوم أنه المنهج الوحيد الذي يكون مصدره كلمات الله وحده غير محرّفة ولا مبدّلة ولا مخلوطة بأوهام البشر وأغلاطهم وانحرافاتهم .

أما المناهج والأنظمة الأخرى ـ سواء كانت نظماً مدنية من وضع البشر أو نظماً دينية لا يعرف لها أصل إلهي مثل : البوذية أو أدياناً محرفة مثل : اليهودية والنصرانية ـ فإن فكر البشر يعد مصدرها جميعاً، سواء من أصل الوضع أو بعد التبديل والتحريف مثل اليهودية والنصرانية، فإنه لم تبق ثقة بربانية مصدرها بسبب ما طرأ عليها من تحريف غيّر حقيقتها وأزال قداستها(٣) .

وبهذا يتبين أن الثقافة الإسلامية وحدها ربانية المصدر، لذا كتب لها الخلود والبقاء، وهي كذلك تختلف عن الثقافات الغربية أو الشرقية الحديثة التي قامت حضارتها وثقافتها على بقية من دين محرف أو على فلسفة إلحادية تنكر وجود الله تعالى، أو على تصور علماني يتجاهل دور الدين ويعزله في جزء يسير من أمور الحياة، مما جعل هذه الثقافات معرّضة للتغير والتناقض والانحسار .

ثالثاً: كونها واقعية ومرنة:

إن الإسلام صيغ في مبادئ عامة وقواعد شاملة اتسمت بالواقعية الملائمة

---

(١) النساء : ١٧٤ .

(٢) يونس : ٥٧ .

(٣) انظر : الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي/ ٣٥ .

لحال البشر أينما كانوا؟ ومتى كانوا؟ وكيف كانوا؟ [١] واستوعبت جميع مراحل التطور الحضاري في كل العصور والمجتمعات مع إعطاء الاجتهادات البشرية مجالاً تبذل فيه قصارى جهدها في ظل هذا الإطار الشامل العام، وإن كان الإسلام قد تكفّل ببيان أمور لا يستطيع إدراك البشر أن يصل إليها أو يحيط بها، وهي مسائل لا تتغير ولا يؤثر عليها مرور الزمن مثل: العقائد، وأصول العبادات[٢]، والمعاملات.

رابعاً: كونها شاملة ومتّزنة:

تمتاز الثقافة الإسلامية بأنها ثقافة شاملة يتجلى شمولها وتوازنها في أنها تناولت الإنسان والكون والحياة، ثم تناولت الإنسان في جوانبه الروحية الداخلية، وحاجاته المادية الخارجية وربطت بينهما بتوازن دقيق دون أن يطغى جانب على جانب، ودون إهمال للدنيا وطيباتها على حساب الآخرة. يقول الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٣].

وهكذا وقفت الثقافة الإسلامية بين روح الإنسان وجسده، وبين فرديته وجماعيته، وبين دنياه وآخرته، فلا تنشطر سريرته وحياته أشطاراً مختلفة كما هو الحال في واقع الثقافات الأخرى[٤].

خامساً: كونها قولية وعملية:

الثقافة الإسلامية لا يفترق فيها القول عن العمل؛ لأن القول دون العمل

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي/ ١٥٢.

(٢) انظر: مفاهيم تربوية في الإسلام، د. محمود السيد سلطان/ ٢٥.

(٣) القصص: ٧٧.

(٤) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، مجموعة من المؤلفين، وهذا النص من إعداد د. رجب سعيد شهوان/ ٢٣.

خروج عن رضا الله تعالىٰ يستحق فاعله غضب الباري سبحانه ومقته : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾(١) ، وهذا يعني الامتثال التام لله تعالىٰ والخضوع الدائم له سبحانه ؛ لأن الثقافة الإسلامية من جوانبها (السلوك الحسن، والعمل الصالح، والخلق الكريم القائم علىٰ التشريع الإسلامي، والمنهج الرباني، . . . في جميع شئون الحياة)(٢) . فشمول الثقافة الإسلامية للسلوك من الخصائص التي تميزها عن الثقافات الغربية التي ماتت فيها حاسة الرقي الأخلاقي وافتتنت بالعلم والعقل(٣) فأصبحت تمجد كل ما يثبت عن طريق الحس والتجربة، ونسيت ـ وهي في زحام الماديات ـ أصول الأخلاق ، ومبادئ السلوك إلا ما تقتضيه مصلحتها المادية والدعائية مثل أساليب المعاملة المهذبة التي تروج التجارة، وينشأ عنها رابطة مؤقتة لا تلبث أن تزول بمجرد زوال سببها، وهذا ما نبَّه عليه الأستاذ سيد قطب بقوله : (إننا نحب أن ننبه . . . إلىٰ حقيقة أساسية كبيرة . . إننا لا نبغي بالتماس حقائق التصور الإسلامي، مجرد المعرفة الثقافية ، لا نبغي إنشاء فصل من المكتبة الإسلامية يضاف إلىٰ ما عُرف من قبل باسم الفلسفة الإسلامية، كلا إننا لا نهدف إلىٰ مجرد المعرفة الباردة التي تتعامل مع الأذهان، وتحسب في رصيد الثقافة إن هذا الهدف في اعتبارنا لا يستحق عناء الجهد فيه ، إنه هدف تافه رخيص، إنَّما نحن نبتغي الحركة من وراء المعرفة، نبتغي أن تستحيل هذه المعرفة قوة دافعة، لتحقيق مدلولها في عالم الواقع، نبتغي أن ترجع البشريه إلىٰ ربها ، وإلىٰ منهجه الذي أراده لها ، وإلىٰ الحياة الكريمة الرفيعة التي تتفق مع الكرامة التي كتبها الله للإنسان)(٤) .

---

(١) الصف : ٢ ـ ٣.

(٢) تبسيط العقائد الإسلامية، حسن أيوب/ ٢ .

(٣) انظر : دراسات في الثقافة الإسلامية، مجموعة من المؤلفين/ ٢٣ .

(٤) خصائص التصور الإسلامي، للأستاذ سيد قطب / ١٠ .

هذه الصفات والخصائص التي انفردت بها الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات الأخرى[١] تؤكد ذاتية الثقافة الإسلامية وارتباطها التام بالعقيدة المحور الرئيس الذي تنبثق عنه تصوراتها وأحكامها؛ لأن لكل أمة ذات فلسفة أو دين خاصة ثقافة خاصة، وهذا ما يكاد يتفق عليه الباحثون والمفكرون أن لكل مجتمع ثقافته، ولكل ثقافة مميزاتها وطابعها الخاص اللذان يحددان شخصيتها[٢].

---

(١) للاستزادة في الموضوع يمكن مراجعة كتاب الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، وكتاب خصائص التصور الإسلامي ومقوماته للأستاذ سيد قطب.

(٢) التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، أنور الجندي/ ٢٢٢.

الباب الثاني

مَفهُوم

ثقافة الطِّفْلُ الْمُسْلِم

ويحتوي على ثلاثة فصول :

الفصل الأول: المقصود بتثقيف الطفل المسلم.

الفصل الثاني: الضوابط التي يلزم مراعاتها في عملية التثقيف.

الفصل الثالث: العوامل المؤثرة في ثقافة الطفل المسلم بناءً وهدماً.



الفصل الأول

المقصود بتثقيف الطفل المسلم

المقصود بتثقيف الطفل المسلم

عرفنا في الباب التمهيدي أن مرحلة الطفولة في الإنسان مرحلة طويلة إذا ما قورنت بمثيلتها في الكائنات الحية الأخرى، وأنها تحتاج بصفة مستمرة إلى عناية الوالدين ورعاية المجتمع، وأن الطفل يولد ساذجاً مع قابليته للتكوين والنماء؛ لكونه يولد مزوداً بالطاقات والقدرات والميول التي تؤهله للتفاعل مع مجتمعه الذي يولد فيه وينشأ.

على هذا، فإنه إذا أحسن إعداده، وأتقن بناؤه يمكنه أن يكون الإنسان الصالح النافع في هذه الحياة، وأن المجتمع الذي يولد فيه يعد البوتقة التي ينصهر فيها هذا الكائن الإنساني الناشئ فينمو تدريجيًا[1] متأثراً بما يحتويه المجتمع من قيم ومفاهيم تعكس على عقله ووجدانه وسلوكه طابعها وصفاتها قوة وضعفاً، وضوحاً وبهوتاً حسب توافر هذه العوامل وقوة تأثيرها، وهذا التفاعل الحادث بين الطفل ومبادئ المجتمع هو حقيقة التثقيف؛ فالطفل لا يتمثل هذه الثقافة في الكبر حتى يمتص أصولها مع لبانه وهو رضيع، ويتربى عليها وهو حضين، ثم يلقنها حين يستطيع التمييز بين الأشياء سقماً وصحة، نفعاً وضرراً، ويعود عليها حتى تصبح عقيدته التي يؤمن بها، وفكره الذي يفسر من خلاله الأمور، ومبادئه التي تحكم تصرفاته وسلوكه، وشعاره الذي يواجه به معترك الحياة الشاق، فالثقافة الإسلامية سنده الحقيقي في جميع هذه الأمور، تضيء له الطريق، وتحدد له المعالم، وترسم له المنهج. ولا شك أن مرحلة الطفولة هي أكثر مرونة وقابلية للميل إلى هذا الأمر من بقية مراحل العمر الإنساني وأكثرها تلقيا وامتزاجاً مع ثقافة المجتمع؛ لكون الطفل يولد جاهلاً بأمور الحياة، محتاجاً

---

(١) انظر: كيف نربي أطفالنا، د. محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون/ ١٧.

لمعرفتها ، قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾[١] .

ومن خلال هذه المرحلة يعمل التثقيف على غرس أجزاء الثقافة ومعطياتها في نفس الطفل تدريجيًّا[٢] وبصورة متكاملة وشاملة تعمل على صياغة الطفل وفق ما يؤمن به المجتمع من مبادئ وقيم، وما يرنو إليه من أهداف وغايات في تفاعل يتم بشكل شعوري مرة وغير شعوري مرة أخرى[٣] بين أركان عملية التفاعل الثلاثة : الثقافة والمجتمع والطفل، حتى يصير إنساناً صالحاً للمشاركة في الحياة الثقافية :

١ ــ **فالثقافة** ـ باعتبارها مجموعة من القيم والمبادئ والأخلاق التي يؤمن بها المجتمع ـ تؤثر في الفرد منذ ولادته ، وهي الوسيلة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهذا المفهوم للثقافة شامل لمقومات الإنسان، ومقومات المجتمع، وعملية التفاعل أو الصياغة الثقافية للفرد ، وتحدث انسجاماً تامًّا بين هذه المقومات جميعاً في كيان واحد[٤] يتمثله الطفل منذ نشأته . ومما يساعد على امتصاص جزئياتها أنها مكتسبة يتعلمها الأفراد، وينقلونها من جيل إلى جيل[٥] . (وإن كانت تقوم على أسس فطرية تتمثل في طبيعة التكوين المميز للإنسان كما أراده الله سبحانه وتعالى من أجل حمل الرسالة الكبرى وهي الخلافة ـ في الأرض ـ والعبادة وتعمير الكون والتعارف بين القبائل والشعوب)[٦] .

٢ ـ **والمجتمع** ـ باعتباره الركن الثاني في عملية التثقيف والمحيط البيئي الذي يولد

---

(١) النحل : ٧٨ .

(٢) انظر : الأصول الثقافية للتربية ، مقدمة في انثروبولوجيا التربية ، ج . ف . نيللر / ٥٦ .

(٣) انظر : معجم العلوم الاجتماعية ، مادة تنشئةثقافية ، إعداد حسن سعفان/ ١٨٤ .

(٤) انظر : مشكلة الثقافة ، مالك بن نبي / ٧١ .

(٥) انظر : في أصول التربية ـ الأصول الثقافية للتربية ، د . محمد الهادي عفيفي/ ١٥١ .

(٦) التنظيم المدرسي والتحديث التربوي، د . نبيل السمالوطي/ ١١٣ .

فيه الطفل ويترعرع - يؤثر في الطفل عن طريق قواه الاجتماعية المحيطة على اعتبار أن المجتمع كيان اعتباري لا وجود له إلا في علاقات الأفراد والجماعات وفي مواقف خاصة[(١)] ، أو في حيز الوسائل المؤثرة في حياة الطفل وتكوينه الثقافي، وهي العوامل الثقافية التي سأتعرض لها بشيء من التفصيل فيما بعد لكونها القوى الاجتماعية البانية أو الهادمة لثقافة الطفل وهي الأسرة والمسجد والمدرسة ووسائل الإعلام. ذلك أن الإنسان لا يبدأ حياته الاجتماعية الثقافية من العدم ، وإنَّما يبدأ من حيث انتهت الأجيال الراشدة الحية التي ينتمي إليها ، ومن التراث الاجتماعي الذي يعبر عن خيرات الأجيال السابقة. فالثقافة عبارة عن خلاصة التجارب والخبرات التي عاشها الأفراد في الماضي على اختلاف ظروفهم وأهدافهم ووسائلهم، وما تمسكوا به من قيم ومعايير سماوية، وما نظموه من علاقات فيما بينهم[(٢)] .

٣ - **والطفل** - باعتباره محور عملية التثقيف - كائن ساذج في أول نشأته محتاج إلى رعاية من حوله ، حاجة متدرجة إلى صفة الاستقلال بعد مدة طويلة، وهو محكوم بصفة مخصوصة من جهة النمو ، وذو حاجات وميول وغرائز تسيطر عليه وتمنعه من أن يشارك بنفسه مع الآخرين في الحياة[(٣)] وهو - مع جهله واعتماده على غيره - مزود بالقدرات النامية والاستعدادات المتطورة والقابلية للنضج والرشد، وقد اتضح فيما سبق أهمية مرحلة الطفولة التي يجمع الباحثون في علم النفس على أهميتها وبالذات السنوات الأولى منها، ومن هنا تظهر أهمية الاتجاهات والقيم والعلائق السائدة في مجتمع الطفل،

---

(١) انظر: كيف نربي أطفالنا، د. محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون/ ١٩ .

(٢) انظر: في أصول التربية ، الأصول الثقافية للتربية ، د. محمد الهادي عفيفي / ١٥٢ .

(٣) انظر: معجم العلوم الاجتماعية، مادة تنشئة ثقافية ، إعداد حسن سعفان/ ١٨٤ .

وأثرها على تشكيل شخصيته وتوجيه نموه[١] .

ولا غرابة، فإن الطفل يتأثر بعملية التفاعل التي نحن بصددها تأثراً أكبر نسبياً من تأثر الراشد الذي نما وشب وتكونت عنده عادات ذات درجة من الثبات تميز شخصيته، فصغر السن وقلة الخبرات الاجتماعية التي مرَّ بها الطفل تجعله أكثر تأثراً بالقوى المحيطة من الشخص الراشد، وتجعل عملية التفاعل هذه على غاية من الأهمية بالقياس إلى تكوين شخصيته وهو راشد[٢] ، ولا يعني هذا أن الطفل في تفاعله الثقافي يقف موقفاً سلبياً يتلقى فيه عن الآخرين أو عن مصادر المؤثرات الثقافية المحيطة به حسب، دون أن يكون له دور إيجابي كما قد يُفهم من معنى سذاجته، بل إن الطفل فاعل ومنفعل في الوقت نفسه، فهو يقوم بعملية انتقاء لا شعورية من جهة، وشعورية وعن وعي وإدراك من جهة أخرى[٣] ويمكن تحديد المقصود من عملية الصياغة الثقافية بأنها رعاية الطفل الناشئ في التعبير عن شخصيته النامية، وحفز طاقاته الكامنة بحيث تتلاحم مع واقع[٤] المبادئ والقيم التي يؤمن بها المجتمع بواسطة العوامل المؤثرة في تثقيفه والتي تصل في النهاية إلى بناء شخصية الطفل السليمة ـ إنسان المستقبل الراشد.

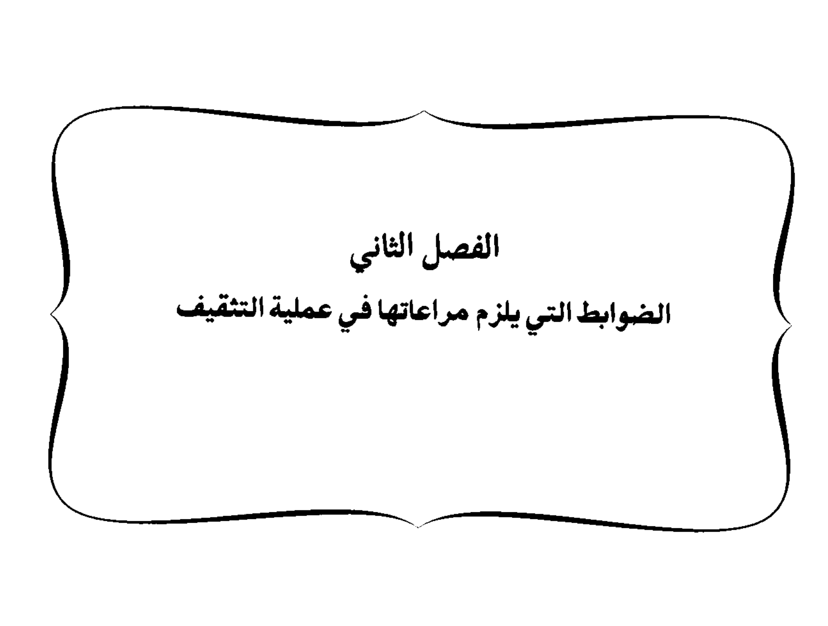
---

(١) انظر: كيف نربي أطفالنا، د. محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون/ ٢٠.

(٢) انظر: كيف نربي أطفالنا، د. محمد عماد الدين وآخرون/ ١٩.

(٣) انظر: رعاية الطفولة، يوسف ميخائيل أسعد/ ٥٩.

(٤) انظر: علم النفس وثقافة الطفل، سمية أحمد فهمي/ ٢٦.



الفصل الثاني

الضوابط التي يلزم مراعاتها في عملية التثقيف

الضوابط التي يلزم مراعاتها
في عملية التثقيف

الصياغة الثقافية من منظور إسلامي لا تتم بصورة سويّة تتناسب مع الأثر الذي تتركه على الناشئة وتتوافق مع تطلعات المجتمع الإسلامي في مستقبل أطفاله إلا إذا التزمت بالضوابط التالية أثناء عملية التثقيف:

أولاً: الخضوع لظاهرة النمو، ومراعاة الفروق الفردية بين الأطفال:

ذلك أن حياة الإنسان وحدة واحدة، غير أن نموه يسير وفق مراحل لها سماتها الخاصة، وصفاتها المتميزة، تحكمها قواعد عامة، وسنن ثابتة، تأخذ صفة الاستمرار والتدرج في جميع النواحي، وهذا ما تم تقريره في التمهيد. والذي يهمنا هنا ما تفرضه هذه القواعد والسنن من ضرورة تنوع الأساليب وتعدد الوسائل أثناء تثقيف الطفل تمشياً مع طبيعة كل مرحلة وخصائصها المتفردة، فمرحلة الحضانة لها ميزاتها التي تخصها وكذلك مرحلة التمييز مثلاً:

فالأولى يظهر فيها على الطفل صفة التلقي لما حوله من مفاهيم وقيم عن طريق التقليد والمحاكاة، بينما يبدأ الطفل في الاستقلال الشخصي من المرحلة الثانية نتيجة نموه العقلي الذي يؤهله للتمييز بين الأشياء المحسوسة ليختار الأصلح والأفضل إلى نفسه على نحو ما تعلمه من مبادئ وقيم، فإنه ليس في الوسع تعليم الطفل كل شيء في أي مكان، وليس في الطاقة مطالبته بسلوك لم يتهيأ له، إذ من الضروري مسايرة النمو الطبيعي للطفل[1]، ومن الضروري

(١) انظر: الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، محمود محمد الجوهري، ومحمد عبد الحكيم خيّال/ ٤١٦.

أيضاً أن نلحظ ما بين الأطفال من فروق فردية في الذكاء والقدرات والمواهب والخبرات أثناء عملية البناء الثقافي[١] .

فالرعاية العقلية للطفل وتثقيفه تحتاج التعرف علىٰ طبيعة الطفولة وتكوينها النفسي والاجتماعي، وهذه الرعاية لا يتحقق مقتضاها إلا إذا كانت مرسومة عن علم دقيق يجمع جوانب شخصية الطفل، ولا تتحقق أهدافها إلا إذا كان القائمون عليها ملمين بخصائص مراحل النمو الجسمي والنفسي والعقلي منذ الولادة حتىٰ بلوغ الرشد ، وبالظروف التي يجب توافرها لتسير عملية النمو والترقي في السبيل السوي، وبالأمور التي يتعين علىٰ الطفل أن يتعلمها ويتقنها في كل مرحلة من مراحل نموه قبل الانتقال للمرحلة التي تليها، وبالعقبات التي تعترض سبيل الطفل ، وكيف يمكن التغلب عليها؟ وبالحاجات الجسمية والنفسية التي يسعىٰ الكائن البشري إلىٰ إشباعها[٢] .

إن التعرف علىٰ هذه الأمور يعد الأرضية التي تبث فيها بذور الثقافة ، ويتعهدها المجتمع ـ وعلىٰ الخصوص القائمون علىٰ التثقيف ـ بالري والمخصبات الضرورية[٣] .

ويجدر بالعملية التثقيفيةأن تراعي ما بين الجنسين الذكر والأنثىٰ من فروق طبعية ناشئة عن اختلافهما الفطري في التكوين العضوي والنفسي والعقلي، والذي يترك تبايناً في الوظيفة (فهذا علم الأحياء قد أثبتت بحوثه وتحقيقاته أن المرأة تختلف عن الرجل في كل شيء من الصورة والسمت والأعضاء الخارجية إلىٰ ذرات الجسم والجواهر الهيلونية والبروتينية ـ لخلاياه النسيجية .

فمن لدن حصول التكوين الجنسي في الجنين ـ يرتقي التركيب الجسدي في

---

(١) انظر : رعاية الطفولة، يوسف ميخائيل/ ٥٩ .
(٢) انظر : علم النفس وثقافة الطفل، سميه فهمي/ ٤١ .
(٣) انظر : مستقبل العالم في صحة الطفل، د. نجيب الكيلاني/ ٣٣ .

الصنفين في صورة مختلفة، فهيكل المرأة، ونظام جسمها يركب كله تركيباً تستعد به لولادة الولد وتربيته، ومن التكوين البدائي في الرحم إلىٰ سن البلوغ ينمو جسم المرأة، وينشأ لتكميل ذلك الاستعداد منها، وهذا هو الذي يحدد لها طريقها في أيامها المستقبلة)(١) .

وهذا الاختلاف الجوهري بين الجنسين يؤكده ألكسيس كاريل (٢) عالم الأجنة بقوله: (والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها، والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها. وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي، فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة كلياً للإحلال مثل قوانين العالم الكوكبي فليس في الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها ومن ثم فنحن مضطرون إلىٰ قبولها كما هي، فعلىٰ النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور، فإن دورهن في تقديم الحضارة أسمىٰ من دور الرجال، فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحدودة)(٣) .

وكان عدلاً كذلك أن يمنح الذكر من الخصائص في تكوينه العضوي والعقلي والنفسي ما يعينه علىٰ أداء وظيفته وأن يزود بالخصائص الملائمة لذلك من صلابة وترو وإعمال للعقل قبل الحركة والاستجابة بخلاف الأنثىٰ التي زودت بالرقة وسرعة الانفعال وشفافية العاطفة، هذه الخصائص غائرة في تكوين كل منهما، فهي تمنح كل جنس القدرة علىٰ ممارسة وظيفته في الحياة(٤) ، وإلىٰ هذا الاختلاف يشير القرآن الكريم بقوله: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ

---

(١) الحجاب، لأبي الأعلىٰ المودودي/ ١٨٥ .

(٢) طبيب جراح، وفيزيولوجي فرنسي، أحدث اكتشافات في طريقة تطعيم العضلات وبقائها حيَّة خارج البدن، نال جائزة نوبل عام ١٩١٢م، مات سنة ١٩٤٤م . انظر: المنجد للأعلام/ ٤٢٦ .

(٣) الإنسان ذلك المجهول، ألكسيس كاريل، ترجمة شفيق أسعد فريد/ ١٠٩ .

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب/ ٢ ـ ٦٥٠ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(١) . فالذكر ليس مثل الأنثىٰ في القدرة علىٰ تحمل أعباء الحياة لاختلاف تكوينهما .

والذي أصل إليه، أن التمايز الفطري بين الجنسين في التركيب اقتضىٰ تغايراً في الوظيفة والاختصاصات مردّه إلىٰ التكامل العادل بين بني الإنسان في الحياة المتمثل في التعاون بين الجنسين لعمارة الأرض وتحمل الخلافة، طبقاً لمفهوم قوله تعالىٰ : ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(٢) .

هذا التباين الوظيفي بين الجنسين لا بد أن يسبقه بناء ثقافي متكامل يتلاءم مع طبيعة خلق كل جنس وتركيبه النفسي والعقلي يبدأ من ولادة الطفل وإحساسه بالحياة .

ثانياً: عاملي الوراثة والبيئة في عملية البناء الثقافي:

تتأثر عملية البناء الثقافي للطفل بعاملي الوراثة والبيئة ، فالاستعداد الشخصي لدىٰ الطفل ـ الكامن في موروثاته التكوينية والعوامل البيئية المحيطة ـ تتضافر جميعاً في صياغة حياة الطفل، وتشكيل شخصيته ثقافيًا وخلقيًا، حسب نقاء الموروثات ، وسلامة العوامل ، ويحدث العكس إذا كانت المرورثات ضعيفة والقوىٰ الاجتماعية المحيطة منحرفة ، ويمكن تحديد مفهومي الوراثة والبيئة وأثرهما علىٰ تكوين الطفل علىٰ النحو التالي :

أ ـ الوراثة:

هي انتقال الصفات أو الخصائص الوراثية إلىٰ الولد من أصوله المباشرة «أبيه

---

(١) آل عمران : ٣٥ـ٣٦ .

(٢) النساء : ٣٢ .

وأمه» أو أصوله البعيدة ، وتظهر فيما يشبه فيه الطفل أحد أجداده أو إحدىٰ جداته من جهة أبويه أو أحد أقاربه مثل عمه وخالته[1] ، وذلك علىٰ طريق الموروثات (الجينات) التي تحملها الصبغيات «الكروموزمات» التي تحتويها البويضة الأنثوية المخصبة من الحيوان المنوي الذكري بعد عملية الجماع الجنسي[2] . وتمثل الوراثة كل العوامل الداخلية التي كانت موجودة عند بدء الحياة، أي عند الإخصاب.

وتُعد الوراثة عاملاً مهمًّا يؤثر في النمو من حيث صفاته ومظاهره ونوعه ومداه وزيادته ونقصانه ونضجه وقصوره . . . وهكذا [3] . وفي السنَّة المطهرة نصوص كثيرة تشير إلىٰ أهمية الوراثة وأثرها علىٰ الطفل ، منها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه : **«الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»**[4] .

وقد تكون الوراثة في الصفات الجسمية للأصول المباشرة كما في حديث أنس[5] ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : **«أبصروها فإن جاءت به أبيض سَبطا قضئ العينين فهو لهلال بن أمية[6] ، وإن جاءت به أكحَل جعداً خمش الساقين فهو**

---

(١) انظر : عوامل التربية ، بحوث في علم الاجتماع التربوي والأخلاقي، د. علي عبد الواحد وافي/ ٣٦.

(٢) انظر : علم نفس النمو ، د. حامد زهران/ ٣٦.

(٣) انظر : المرجع نفسه / ٣٥.

(٤) رواه مسلم وأحمد. مسلم ٤/ ٢٠٣١ رقم ٢٦٣٨ ، كتاب البر والصلة والآداب، باب : الأرواح جنود مجندة، وأحمد ٢/ ٢٦٠.

(٥) هو : أبو حمزة الأنصاري النجاري البصري، غزا الغزوات ، وشهد الفتوح ، من المكثرين في رواية الحديث ، قطن بالبصرة، ومات فيها سنة ٩١هـ . انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٢٠٥ رقم ٨٤ ، والإصابة لابن حجر ١/ ١١٢ رقم ٣٧٥.

(٦) الأنصاري الواقفي، شهد بدراً وما بعدها ، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ١٠/ ٤٠٢ رقم ٢٦٦٩ ، والإصابة لابن حجر ١٠/ ٢٥٢ رقم ٨٩٧٩.

لشريك بن سحماء[١] »[٢] ، فالنبي ﷺ أمر في هذا الحديث بملاحظة الشبه بين الولد وبين من رميت به .

والوراثة قد تنزع إلىٰ سلالة بعيدة عن أصوله ، يدلّ له حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه رجلاً أتىٰ النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ولد لي غلام أسود ، فقال : «**هل لك من إبلٍ؟**» . قال : نعم ، قال : «**ما ألوانها؟**» . قال : حمر . قال : «**هل فيها من أورق ؟**» قال : نعم . قال : «**فأنّى ذلك؟**» . قال : لعله نزعه عرق . قال : «**فلعل ابنك هذا نزعه**»[٣] .

وقد تكون الوراثة في الصفات العقلية والخلقية ، يشهد له حديث ابن عمر أنه قال : «**اللبن يشبه عليه**»[٤] .

---

(١) سحماء : أمه ، وأبوه عبدة بن مغيث البلوي ، حليف الأنصار ، يقال : شهد أحداً ، وكان أحد الأمراء بالشام في خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ، انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ٦٥/ ٧٦ رقم ١١٨٣ ، والإصابة لابن حجر ٥/ ٧٤ رقم ٣٨٩٣ .

(٢) رواه مسلم والنسائي . مسلم ٢/ ١١٣٤ رقم ١٤٩٧ ، كتاب اللعان ، والنسائي ٦/ ١٧١ ، كتاب الطلاق ، باب : اللعان في قذف الرجل زوجته برجل بعينه .

وغريبه : سبطاً . بفتح السين وكسر الباء أي : (ممتد الأعضاء ، تام الخَلْق) النهاية لابن الأثير ٢/ ٣٣٤ .

أكحل : بفتح الهمزة وسكون الكاف : والكحل بفتحتين (سواد أجفان العين خلقة) النهاية ٤/ ٥٤ .

جعداً : بفتح الجيم وسكون العين وهو من الرجال : القصير الضعيف في الجسم ، أو القوي في الجسم . انظر : النهاية ١/ ٢٧٥ .

خمش الساقين : أي دقيقهما . انظر : النهاية ١/ ٤٤٠ .

(٣) متفق عليه . البخاري ٥/ ٢٠٣٢ رقم ٤٩٩٩ ، كتاب الطلاق ، باب : إذا عرض بنفي الولد . مسلم ٢/ ١١٣٧ رقم ١٥٠٠ ، كتاب اللعان .

وغريبه : أن رجلاً : حاصل بعض الروايات أنه أعرابي اسمه ضمضم بن قتادة . انظر : فتح الباري لابن حجر ٩/ ٤٤٣ .

الأورق : الأسمر والورقة السمرة . انظر : النهاية لابن الأثير ٥/ ١٧٥ ، نزعة : أي جذبة إليه . انظر : جامع الأصول لابن الأثير (شرح الغريب) ١٠/ ٧٣٥ .

(٤) رواه البيهقي في السنن ٧/ ٤٦٤ ، كتاب الرضاع ، باب : ما ورد في اللبن يشبه عليه . =

وهذا يدلُّ على أن للرضاع تأثيراً في الطباع فيختار من لا حماقة فيها ونحوها[١] ، وهو ما قرره الإمام الغزالي[٢] بقوله: (فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبث، فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث)[٣] .

ومن شواهده أيضاً: ما روي عن عبد الرحمن [٤] بن أبي بكر الصديق[٥] قال: لقي أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ رجلاً من العرب يقال له: عفير. فقال له أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الود والعداوة يتوارثان**»[٦] ، أي: يرثها الأبناء عن الآباء. وهكذا استمر في السلاسل جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن[٧] .

= معناه: (أن المرضعة إذا أرضعت غلاماً فإنه ينزع إلى أخلاقها فَيُشبِهُها) . النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٤٢ .

(١) سبل السلام، لمحمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني ٣/ ٤١٢ .

(٢) أبو حامد الطوسي، الفقيه الشافعي، حجة الإسلام، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس بخراسان) . انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ٢١٦ رقم ٥٨٨ ، والأعلام للزركلي ٧/ ٢٢ .

(٣) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد ، محمد بن محمد الغزالي ٣/ ٧٠ .

(٤) شقيق عائشة أم المؤمنين ، تأخر إسلامه إلى قبيل الفتح ، وشهد (اليمامة) من الفتوح ، مات سنة ٥٣هـ في طريق مكة فجأة. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ١/ ٤٧٤ رقم ٨٨٠ .

(٥) هو: عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي، خير من طلعت عليه الشمس بعد النبيين ، توفي سنة ١٣هـ . انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٦/ ٣٦١ رقم ١٦٣٣ ، والإصابة لابن حجر ٦/ ١٥٥ رقم ٤٨٠٨ .

(٦) رواه البخاري في أدبه ، والحاكم في مستدركه . البخاري من طريق أخرى في الأدب المفرد ١/ ١١٨ وفي سنده مجهول، والحاكم ٤/ ١٧٦ كتاب البر والصلة، وقال الذهبي في التلخيص: في سنده المليكي واهٍ، وفي الخبر انقطاع . ا.هـ. ورمز السيوطي له بالصحة. انظر: فيض القدير للمناوي ٦/ ٣٧٣ رقم ٩٦٦٨ .

(٧) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للعلامة فضل الله الجيلاني ١/ ١١٩ .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**غربوا لا تضووا**»(١) ، أي : تزوجوا الغرائب دون القرائب . فإن ولد الغريبة أنجب وأقوىٰ من ولد القريبة ، وقد أضوت المرأة إذا ولدت ضعيفاً)(٢) .

وروي عن عمر بن الخطاب (٣) ـ رضي الله عنه ـ قال : «**يا بني السائب قد أضويتم فانكحوا في النوابغ**»(٤) .

فهذه النصوص تلفت نظر القائمين علىٰ التثقيف والتربية والتعليم إلىٰ أثر الوراثة في بناء الطفل جسميًّا وعقليًّا وخلقيًّا ليكونوا علىٰ بينة منها ومن إلىٰ العامل الثاني في التأثير علىٰ حياة الطفل ، فالوراثة وحدها لا تستطيع أن تصل إلىٰ الأثر المقصود وبالذات الموروثات الخلقية والعقلية ، فلا بد من توافر ظروف وطاقات تكشف وتظهر هذه الموروثات الكامنة في جوانب النفس الإنسانية وهو دور البيئة وما تحتوي عليه من قوىٰ اجتماعية .

ب ـ البيئة:

وهي كما حددها علماء النفس والاجتماع تمثل كل العوامل الخارجية التي يستجيب لها الفرد ، وتؤثر فيه تأثيراً مباشراً أو غير مباشر ، وتشارك في تشكيل شخصيته منذ تمام الإخصاب وتحدد العوامل الوراثية وهو جنين ، وبعد أن يكون طفلاً ثم كهلاً إلىٰ أن يموت ، وتشمل البيئة بهذا المعنىٰ العوامل الجغرافية

---

(١) أورده ابن حجر في تلخيص الحبير ولم يتعرض لتخريجه ٣/ ١٦٧ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣/ ١٠٦ .

(٣) هو : أبو حفص القرشي العدوي ، أعز الله بإسلامه الإسلام ، شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، فتح الله في خلافته الفتوح بالشام والعراق ومصر ، توفي مقتولاً بالمدينة سنة ٢٣هـ . انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ٨/ ٢٤٢ رقم ١٨٧٨ ، والإصابة لابن حجر ٧/ ٧٤ رقم ٥٧٣١ .

(٤) رواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث ، وقال : معناه : تزوجوا الغرائب . انظر : المغني عن حمل الأسفار في الإسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار للحافظ العراقي ، مطبوع في حاشية إحياء علوم الدين ٢/ ٤٢ .

والاجتماعية والثقافية والحضارية[١] .

ولعلَّ من أوضح هذه العوامل تأثيراً العامل الثقافي الذي يسود المجتمع ، لما يتركه من أثر بالغ في حياة الفرد وبناء شخصيته من خلال أسرته ، والتعليم الذي يتلقاه في سنى الدراسة ، وما يصاحبه من تهذيب وتربية ، والوعي الفكري الذي يشحذ عقله ، وينمي حواسه ، أثناء تأدية العبادة في المسجد أو بواسطة وسائل الإعلام المختلفة وما تعكسه من آثار فكرية وخلقية على عقلية الطفل وسلوكه ويصل تأثيرها إلى منزله .

هذه القوى الثقافية والظروف الاجتماعية التي تكتنف محيط الطفل يتعدى أثرها سلوك الطفل إلى تهذيب موروثاته وهو ما يؤكد علماء النفس والتربية على نحو ما أشار إليه يوسف ميخائيل أسعد ، فقد وضح موقف هؤلاء العلماء الذين ينحون بصفة دائمة أو في الغالب إلى تأكيد الأثر البعيد الذي يمكن أن تلعبه البيئة بكافة أنحائها في شخصية الإنسان وأن هناك أملاً في التغلب على المقومات الوراثية عن طريق المؤثرات البيئية المنتقاة للتأثير في الشخصية الإنسانية ، وأن باب الأمل مفتوح أمام المهتمين ببناء الطفل وتكوينه لبذل الجهود المثمرة للعمل على استقامة الشخصية الإنسانية وتوجيهها الوجهة الصحيحة أو تعديل مسارها نحو الأهداف العليا التي تحدد حقيقة وجود الإنسان ودوره[٢] .

هذا الأمل الذي أشار إليه يوسف ميخائيل يُعد حقيقة أثبت واقعها الإسلام حين اعتنقه المسلمون في الصدر الأول ، وأنشأ لهم وسطاً جديداً ومناخاً فكرياً جديداً كان قادراً بقيمه على تغيير الموروثات جميعاً وتشكيل الشخصية الفردية تشكيلاً مختلفاً غاية الاختلاف من حيث الأخلاق والسلوك والتكوين النفسي

---

(١) انظر : علم نفس النمو ، د. حامد زهران / ٣٨ ، ومعجم العلوم الاجتماعية ، مادة بيئة ، إعداد حسن سعفان/ ١٠٣ .
(٢) انظر : رعاية الطفولة / ١٦ .

والاجتماعي)[1] . فالمؤثرات البيئية ـ وعلى وجه الخصوص الفكرية منها ـ لها أثر ملموس في توجيه الطفل وصياغة فكره على وجه الخصوص، والإنسان في مراحل نموه على وجه العموم ومما يشهد له حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يحدث: قال النبي ﷺ: «**ما من مولود على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[2] . وكذلك قول الإمام الغزالي: (... رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام)[3] .

هذه النصوص توضح أثر المحيط القريب في التأثير على أفكار الطفل ومعتقداته، وبالذات فكر الوالدين وعقيدتهما فإن فسادهما سبب في تشويه فطرته التي ولد عليها وهي الإيمان الحق بالله تعالى وبشريعته الغرَّاء، وكذلك يتأثر الطفل بفكر الأقارب والقوى الاجتماعية الأخرى مثل المسجد والمدرسة ووسائل الإعلام، فهذه القوى تلعب دوراً فعَّالاً في بناء فكر الطفل وثقافته وهدمها.

ويمكن الإشارة إلى بعض الأمور التي يحسن بالقائمين على تثقيف الطفل الأخذ بها فيما يتعلق بالوراثة والبيئة:

١ ـ أهمية اختار الزوجة الصالحة ذات السلالة النجيبة المعروفة بالذكاء والصلاح، ونقاء السريرة، فإن صلاح الآباء يدرك الأبناء وحسن الاختيار له أثر فعَّال في إنجاب الأولاد ذوي الاستعداد الوراثي الخصب الذي ما يلبث أن ينكشف

---

(١) مفاهيم العلوم الاجتماعية، أنور الجندي/ ٧٦.

(٢) متفق عليه. البخاري ١/ ٤٥٦ رقم ١٢٩٢ ـ ١٢٩٣، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، ومسلم ٤/ ٢٠٤٧ رقم ٢٦٥٨، كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة.

(٣) المنقذ من الضلال للإمام أبي حامد محمد الغزالي/ ٨٩.

بسبب تأثير العوامل الاجتماعية المتاحة والتي تعمل على تنميته إلى أكبر قدر ممكن .

٢ ـ العناية التَّامة بدراسة نفسية الطفل المراد تثقيفه والتعرف على استعداداته الوراثية ، إلى جانب الاطلاع على ظروف البيئة المحيطة لنتمكن من رسم أمثل الطرق وأكثرها تلازماً مع طبيعته وفطرته ؛ لأن من لوزام التثقيف الصحيح السير على منهج سليم ينهض بالصالح من صفاته الوراثية ، ويميت الفاسد منها أو يوجهها الوجهة القويمة[١] .

٣ ـ بذل قصارى الجهد في تشجيع ما يكون بارزاً وقويًّا من ميول الأطفال الوراثية التي تكشفها عوامل البيئة المحيطة بالتدرج إلى أقصى شأوٍ يمكن أن تبلغه دون مصادمة هذه الميول ، ومع التأني في الحكم عليها ، فإن كثيراً منها يكون كامناً لا يظهر إلا في مناسبات خاصة وبعضها يتأخر ظهوره إلى ما دون المراهقة أو البلوغ[٢] .

٤ ـ مضاعفة الاهتمام بالطفل وتنمية استعداداته الوراثية وخاصة قبيل المراهقة في مرحلة التمييز حيث تظهر الصفات الوراثية العقلية والخلقية أوضح ما يكون[٣] .

٥ ـ أهمية الارتقاء بالبيئة الاجتماعية بعناصرها الثقافية والاجتماعية والحضارية والجغرافية لتيسير فرصة نمو الاستعداد الوراثي والمكتسب للأطفال إلى أقصى حد ممكن وبذلك نصل إلى تحسين النوع البشري[٤] ، ولا شك أن هذا الأمر أمكن في التنفيذ من تحسين النوع البشري عن طريق السلالات

---

(١) انظر : عوامل التربية ، د. علي وافي/ ٧٥ .

(٢)انظر : عوامل التربية ، د. علي وافي/ ٧٦ .

(٣) انظر : عوامل التربية ، د. علي وافي/ ٧٧ .

(٤) انظر : الأسرة والطفولة ، د. زيدان عبد الباقي / ١٢٥ .

الوراثية، فالقوىٰ الاجتماعية خاضعة في الغالب لسلطة الدولة والمجتمع وفق ما يرسمانه من سياسة ثقافية وتعليمية وإعلامية وما يتبعانه من وسائل أثناء التنفيذ.

٦ ـ ومع إقرار أهمية الوراثة والبيئة باعتبارهما عاملين قويين في التأثير علىٰ حياة الطفل وتوجيهه وهو ما تم تقريره سابقاً، فإنه ينبغي ألا يفوت علينا أن تأثيرهما وعدمه لا يتحقق ولا يتعثر إلا وفق إرادة الله ومشيئته النافذة، فكم من طفل انحدر من نسل كريم وتربىٰ في بيئة صالحة فلم تجديا في استقامته، فالأمر محكوم بهداية الله وتوفيقه فهذا ابن نوح عليه السلام ينشأ في بيت النبوة والرسالة ومن أصل نبيل فلم يحولا دون كفره، قال تعالىٰ: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[١]. فالآية تشير إلىٰ أن تحقق الأسباب المبذولة وجدواها مرتهن بتوفيق الهادي سبحانه، فمهما بذلت من جهود في تحسين وضع طفل من الناس علم الله سوء خاتمته فأضله فلن تفلح هذه الجهود وفقاً لقاعدة: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾[٢] فهو سبحانه خالق الأسباب وهو الهادي إلىٰ الاستقامة ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٣].

وصفوة القول: أن الوراثة النقيّة والبيئة الصالحة من الأسباب الظاهرة في الوصول إلىٰ تحسين الوضع البشري، وهي محكومة بتوفيق الله وقبوله، فكل شيء عنده بقدر، وجماع ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ

(١) هود: ٤٢ ـ ٤٣.
(٢) النساء: ٨٨.
(٣) طه: ٥٠.

﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾(١) . قال قتادة(٢) : (كانت ـ مريم ـ من أهل بيت يعرفون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به و كان هارون مصلحاً محبباً إلىٰ عشيرته وليس بهارون أخي موسىٰ ولكنه هارون آخر)(٣) . فالسلالة المعروفة بالصلاح والبيئة الصالحة تورث أبناء صالحين مستقيمين وعكس ذلك أمر مستغرب مخالف للغالب .

ثالثاً: النظرة الثقافية المتكاملة لطبيعة الإنسان وعنايتها الشاملة بمكوناته الجسمية والعقلية والروحانية:

الحديث عن الإنسان وطبيعة مكوناته له تاريخ قديم قِدَم المعرفة نفسها، كثر حوله النقاش ، وطال فيه البحث بين العلماء والمهتمين بحقيقته، فإن الجميع يؤمن بأهميته في هذا الوجود، بين غال فيه إلىٰ حد الألوهية والتعظيم، وبين واقف منه وقفة المتعجب الحائر في حقيقته وسر خلقه ووجوده ، ومهما امتدت أيام البحث والمناقشة وما تمخضت عنه من ركام النظريات وأكدس المعلومات عن هذا الكائن المتسود من بين الكائنات الأخرىٰ، فإن النتائج جاءت محدودة الجدوي ناقصة الفائدة ، مما يدلُّ علىٰ بُعْدِ الفارق بين هذه النتائج وبين ما وصل إليه الإنسان من نتائج في علوم الطبيعة والفلك وما شابهها من العلوم التي تخدم المادة وجزئياتها، وهذا ما يكشفه الأستاذ ألكسيس كاريل بقوله : (هناك تفاوت عجيب بين علوم الجماد وعلوم الحياة ـ فعلوم الفلك والميكانيكا والطبيعة تقوم علىٰ آراء يمكن التعبير عنها بسداد وفصاحة باللغة الحسابية . . وقد أنشأت هذه العلوم عالماً رائعاً من الإحصاءات والنظريات . . . بيد أن موقف علوم الحياة

---

(١) مريم : ٢٨ .

(٢) أبو الخطاب الدوسي البصري الضرير الأكمه المفسر ، ثقة، ثبت ، مات بواسط سنة ١١٨هـ. انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ١٢٢ رقم ١٠٧ ، وتقريب التهذيب لابن حجر ١/ ١٢٣ رقم ٨١.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٧٧ .

يختلف عن ذلك كل الاختلاف حتى ليبدو كأن أولئك الذين يدرسون الحياة قد ضلوا طريقهم في غاب متشابك الأشجار . . . فهم يرزحون تحت عبء أكداس الحقائق التي يستطيعون أن يصفوها ولكنهم يعجزون عن تعرفها[١] أو تحديدها في معادلات جبرية)[٢] . ثم يمضي الأستاذ كاريل في توضيح سبب بطء علم الإنسان فيقول : (ولكن علم الكائنات الحية بصفة عامة والإنسان بصفة خاصة ، لم يصب مثل هذا التقدم ، وأنه لا يزال في المرحلة الوصفية ـ فالإنسان كلٌّ لا يتجزأ في غاية التعقيد ومن غير الميسور الحصول على عرض بسيط[٣] له وليس هناك طريقة لفهمه في مجموعه . . . ولكي نحلل أنفسنا فإننا مضطرون إلى الاستعانة بفنون مختلفة ، وإلى استخدام علوم عديدة . ومن الطبيعي [٤] أن تصل كل هذه العلوم إلى رأي مختلف في غايتها المشتركة فإنها تستخلص من الإنسان ما تمكنها وسائلها الخاصة من بلوغه فقط . و بعد أن تضاف هذه المستخلصات إلى بعضها فإنها تبقى أقل غناء من الحقيقة الصلبة)[٥] .

الإنسان كلٌّ لا يتجزأ والعلماء الماديون نظروا إليه على أنه أجزاء مبعثرة ، كل نظرة حسب ما يلائمها ، ووفق اهتماماتها على اتفاق فيما بين النظريات في اقتصار النظرة على الجانب المادي منه ، وعدم الإيمان بالجانب الروحي لقطع الصلة بالله تعالى ، هذه النظرة الجزئية امتداد مخالف للنظرة النصرانية التي تدعو إلى إنكار الغرائز والتعالي عليها ، وتعد ذلك من الإيمان والتقوى ؛ فالزواج دنس

---

(١) لعله يقصد تعريفها .

(٢) الإنسان ذلك المجهول ، الأستاذ/ ألكسيس كاريل ، تعريب : شفيق أسعد فريد/ ١٥ .

(٣) كذا في المطبوع ، والصواب : (موجز) .

(٤) كذا في الأصل ، والصواب : (الطبعي) .

(٥) الإنسان ذلك المجهول ، الأستاذ / ألكسيس كاريل ، تعريب : شفيق أسعد فريد/ ١٦ . هذه الأقوال صادرة من أستاذ كبير في علم الأجنة مكّنه مركزه العلمي أن يدرس ظواهر الحياة وملاحظة وجوه النشاط البشري بصفة عملية ، كما أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه : الإنسان ذلك المجهول/ ٧ .

يزري بالموحد ، والتمتع بالطيبات انهماك في الدنيا يبعد عن الآخرة ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[١] . هذا الابتعاد عن شهوات الحياة المباحة لم يكتب عليهم ابتداءً، وإنَّما ألزموا أنفسهم به بغية رضوان الله ، وابتعاداً عن أوضار الحياة قاصدين الترفع والتطهر بما يحقق التجرد لله، لكن الأمر لم يستمر على هذا ، بل تحول إلى طقوس شكلية وشعائر خالية من الروح والله لا يأخذ الناس بالمظاهر والأشكال إنَّما يأخذهم بالعمل والنّيّة ويحاسبهم على حقيقة الشعور والسلوك وهو الذي يعلم خبايا القلوب وأسرار الصدور[٢] .

وهاتان نظريتا دارون[٣] وفرويد[٤] تعطيان صورة مزورة للإنسان خلاصتها مسخ كرامته ومساواته بالحيوان البهيم في الخلق والرقي على اعتبار أن الطبيعة خالقة لهما وما نحتهما الأعضاء والغرائز ـ مع أن هذا الإله الجديد لا يستطيعون تحديد ما هيته وحقيقته ـ لكن لجأوا إليه للتخلص من سلطان الكنيسة المرهق، والفارق بين الإنسان والحيوان مع أن غرائز الإنسان في نظرهما امتداد طبيعي لغرائز الحيوان ، هو ذلك القدر من التطور الذي نتج عن الظروف التي صادفت الجد الأعلى للإنسان فأثّرت فيه وأنتجت منه الكائن البشري على مرّ الأيام[٥] ، وهذا ما يرفضه الإسلام جملة وتفصيلاً بنص آيات القرآن الكريم حيث يقرر القرآن أن الإنسان خلق من العدم فلم يكن مرحلة تطور وصل إليها نتيجة

---

(١) الحديد : ٢٧ .

(٢) انظر : في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/ ٣٤٩٥ .

(٣) هو : تشارلس روبرت (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢م) عالم طبعي ، وانجليزي وصاحب نظرية التطور المعروفة بالدارونية . انظر : الموسوعة العربية الميسّرة ، بإشراف محمد شفيق غربال ١/ ٧٧٤ .

(٤) هو : سيجموند (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩م) طبيب نمسوي ومؤسس مدرسة التحليل النفسي وصاحب نظرية : تطور الغريزة الجنسية منذ الطفولة . انظر : الموسوعة العربية الميسرة بإشراف : محمد شفيق غربال ٢/ ١٢٩٧ .

(٥) الإنسان بين المادية والإسلام ، للأستاذ محمد قطب / ٢٤ .

للظروف التي مرَّت بالحيوان ، فيقول سبحانه : ﴿أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[١] ، ويقول سبحانه : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾[٢] ، وتحدَّث القرآن عن مراحل نمو الإنسان حديثاً يكشف عن خلقه إنساناً من العدم إلى أن تكوَّن ونشأ في أحسن صورة وأكملها بعد أن مرَّ بمراحل متعددة نصَّت عليها سورة المؤمنون : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٣] . قال الإمام الرازي[٤] : (أي : خلقاً مبايناً للخلق الأول ، مباينة ما أبعدها حيث جعله حيواناً وكان جماداً، وناطقاً وكان أبكم، وسميعاً وكان أصم، وبصيراً وكان أكمه، وأودع باطنه وظاهره بكل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطره، وغرائب حكمه، لا يحيط بها وصف الواصفين ولا شرح الشارحين)[٥] .

فانظر الفارق بين نظرة النصرانية إلى الإنسان المغالية في الروح إلى حد تناسي مطالب حياة الجسم وحفظه، وإهمال الغرائز الفطرية المودعة في خلقه دون استجابة لداعيها أو تهذيب لدواعيها، وإلى درجة الإفراط في جانب الروح على حساب الجسم، وبين تخبط دارون وفرويد في تصوير الإنسان والهبوط به إلى درجة الحيوان في الإيمان بالمحسوس دون الروح، لقصد قطع صلة الإنسان

---

(١) مريم : ٦٧ .

(٢) السجدة : ٧ ـ ٩ .

(٣) المؤمنون : ١٢ ـ ١٤ .

(٤) أبو عبدالله محمد بن عمر التيمي البكري الطبرستاني ، فخر الدين ، المعروف بابن الخطيب، الفقيه، الشافعي، الإمام المفسّر، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل. انظر : وفيات الأعيان لابن خلّكان ٤/ ٢٤٨ رقم ٦٠٠ ، والأعلام للزركلي ٦/ ٣١٣ .

(٥) تفسير الرازي ٢٣/ ٨٥.

بالله تعالىٰ، وبين علو المنزلة وكمال التصوير في نظرة الإسلام للإنسان علىٰ أنه الخليفة في الأرض، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(١) كرَّمه الله بالعقل والبصيرة والإرادة من بين سائر المخلوقات، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(٢) حتىٰ استحق أن ينفرد بالمسئولية والتكليف دون سائر المخلوقات.

إن نظرة الإسلام للإنسان تتصف بالتكامل، فهو كلٌّ لا يتجزء، تتصل أجزاؤه بعضها ببعض بحيث يصدق عليها مجتمعه اسم الإنسان؛ فالنظرة الصحيحة هي الناتجة عن دراسة الإنسان وهو مجتمع الجزئيات لا النتائج المنبثقة عن دراسة أجزائه متفرقة كما وقع في ذلك التجريبيون الذين درسوا جسم الإنسان وحده، لكونه الجزء المادي الخاضع للتجربة وما نتج عن هذه الدراسة من أحكام وصفوا بها الإنسان، وهي في حقيقة الأمر صفات لذلك الجزء المدروس(٣).

الإنسان في نظر الإسلام جسم وعقل وروح، فالجسم هو ذلك الجزء المادي المحسوس من الإنسان المشتمل علىٰ اللحم والدم والعظم، والمخلوق في صورة جميلة سوية معتدلة، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾(٤). فسبحان الخالق الذي عدله في هذه الصورة الجميلة، وركَّب فيه عدداً من الأجهزة والغرائز التي تكفل حياته وحيويته.

---

(١) البقرة: ٣٠.
(٢) الإسراء: ٧٠.
(٣) انظر: كتاب الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب/ ٥٢.
(٤) الانفطار: ٦ـ٨.

والعقل ذلك الجهاز الدقيق الخلق العظيم الوظيفة الذي انفرد به الإنسان وحده دون الكائنات الحيَّة الأخرىٰ فكان سبب رقي الإنسان وهدايته في الدنيا ونجاته في الآخرة ، قال تعالىٰ : **﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾**(١) ، وبسببه أُنيط بالإنسان التكليف والمسئولية . عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**رُفِعَ القَلَمُ عن النَّائم حتَّى يستيقظ، وعن الصبيّ حتى يشبّ، وعن الغلام حتَّى يَحْتَلِمْ**»(٢) . وهو القائد للجسم يعينه في تحقيق دواعي حفظه وإشباع مطالبه .

والروح ذلك الجوهر الخفي الذي طال الجدل في حقيقته دونما نتيجة تذكر ، قال تعالىٰ : **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**(٣) . وأيا كان فلا سبيل إلىٰ إنكار وجود الروح ؛ لأن الإنكار لا يقوم علىٰ أساس علمي صحيح(٤) ، فهي الطاقة الكبرىٰ التي تعمل علىٰ رقي الحياة والارتفاع عن الهبوط وتحكم الغرائز والشهوات . ولكن هذا الارتفاع في حدود الطاقة البشرية ودونما مجافاة لأصول الفطرة ودواعيها . والاعتراف بالروح يجعل الإنسان مخلوقاً يختلف عن الحيوان ـ وإن كان بينهما وجه شبه في بعض أجزاء التركيب ووظائفها ـ وبذلك تختلف الوظيفة والمكانة في الحياة، قال تعالىٰ : **﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾**(٥) .

---

(١) الفرقان : ٤٤ .

(٢) رواه الترمذي وأبو داود : سبق تخريجه/ ٤٥ .

(٣) الإسراء : ٨٥ .

(٤) يمكن مراجعة كتاب الإنسان بين المادية والإسلام ، للأستاذ محمد قطب للوقوف علىٰ وجه النقاش وأنه لا سبيل لإنكار وجود الروح ، هذه الطاقة الكبرىٰ في الإنسان وأن هناك أموراً كثيرة لا تفسير لوجودها مع إنكار الروح كالتليباثي (التخاطر عن بعد) والأحلام التنبؤية مما أقرَّ به العلم الحديث . راجع / ٣٦ـ٣٨ .

(٥) ص : ٧١ـ٧٢ .

مع تكامل النظرة الثقافية للإنسان في الإسلام يأتي شمول العناية بهذه الجوانب جميعاً دون إفراط ولا تفريط، فيحقق الإسلام رغبات جسد الإنسان وعقله وروحه في توازن دقيق بينهما، وبالقدر المناسب [١] (وما من نظام آخر يعالج النفس البشرية بهذه الدقّة وذلك الشمول. هناك نظم آمنت بجانب واحد من الكيان البشري فراحت تعمل على تغذيته بما تراه صالحاً له، ونظم آمنت بالجانب المحسوس من الإنسان والحياة ومن ثم راحت . . . تهتم بكل محسوس على الأرض، الزراعة والصناعة والبناء والتشييد والإنتاج المادي على أوسع نطاق، وتهتم بكل محسوس من الكيان البشري، فحاولت أن تيسر له مأكله وملبسه ومسكنه ويسّرت له قضاء الشهوات، ثم أغفلت من كيانه جانب الروح . . . أهملت الله والعقيدة وما يشع من العقيدة من مُثُلٍ وأخلاق فكانت النتيجة أن استمتع الناس بحياتهم الأرضية أعظم متاع . . . ثم انهار المتاع كله نتيجة خواء الروح من الإيمان، وخواء الحياة من العقيدة، وانقلب المتاع السهل الحلو إلى تكالب على شهوات الأرض يقضّ المضجع، ويكدر الحياة، ويجعلها سباقاً دائماً لا ينقطع ولا يترك فرصة للراحة: راحة الجسد، أو النفس، أو الضمير) [٢].

انحراف النظرة استلزم قصر العناية على الجزء المنظور وإهمال الأجزاء الباقية مما كان سبباً في سوء العاقبة، وتضييع ما كان يهدف إليه الإنسان من متعة واستقرار، فالإنسان ليس مادة حسب، بل هو مجموعة أجزاء متداخلة عناصرها الرئيسة: جسم وروح وعقل. انظر إلى النتائج التي وصلت إليها نظم أخرى آمنت بالجانب الروحي من الإنسان وعدّت ما عداه خداعاً لا يثبت حقيقة،

---

(١) انظر: منهج الاتساق من كتاب الأصالة والمعارصة، د. محمد رأفت سعيد / ٢٩، للوقوف على توجيهات الإسلام المؤيدة لذلك.

(٢) منهج التربية الإسلامية، لمحمد قطب ١/ ١٩.

(راحت تغذي الروح بما ترىٰ أنه غذاؤها الحق، وراحت تتعبد وتتنسك وترفع الإنسان علىٰ ضرورات جسده كلها، وتقهر هذا الجسد ؛ لأنه دنس لا ينبغي طاعته، ورجس لا ينبغي له أن يكون، واستمتع الناس بحياة الروح . . . وحلَّقُوا في آفاق عليا من الأفكار والمشاعر الجميلة كالأحلام . . . النتيجة . . . تمرد الجسد المكبوت علىٰ خلق الفطرة، وكفر الناس بمتاع الروح . . . وأصابتهم السلبية الخاملة التي لا تنتج شيئاً في واقع الأرض ، لا تنشئ ، ولا تعمر، ولا تهدم ، ولا تبني، ولا تغير الباطل، ولا تقيم الصحيح من الأوضاع)[1] . هذه النظرة تنتهي إلىٰ طرف مناقض للنظرة السابقة كلاهما انحراف واضح في فهم طبيعة الإنسان، لذا كانت النتائج خسارة ودماراً ما بعده دمار للإنسان للإنسان والحياة.

لكن انظر إلىٰ عناية الإسلام بالإنسان، إنها عناية تنمي كل عناصر تكوينه، تعتني بغذائه، وغرائزه باعتباره جسماً ترابياً، وتعتني كذلك بمتطلبات حواسه وعقله وروحه السامية. فلا يطغىٰ جانب علىٰ جانب، ولا يعني بجانب ويهمل آخر، ففي الجانب المادي يعني بغذائه وقوة جسمه، ويعترف بغرائزه مع تنظيم دقيق ومعقول في إشباع هذه المطالب يما يحقق حفظ جياته ونوعه، عناية تبلغ به غاية ما تؤهله قدرته وإمكاناته من القوة الجسمية والصحية، وفي الجانب العقلي ينمي إدراكه وتفكيره إلىٰ أقصىٰ ما تبلغه قدرته من استيعاب العلوم واكتشاف الآفاق والحقائق التي تعود بالمنفعة لعزة دينه ورفعة حياته ورقي مجتمعه، وفي الجانب الروحي يربىٰ علىٰ التدرج في الرقي الروحي ليصل إلىٰ مرحلة تدفعه إلىٰ الخير، وتنطلق به في مجالات الإيثار والتعاون ومحبة الآخرين من إخوانه المؤمنين أثراً من آثار القوة الإيمانية بخالقه تعالىٰ التي ترتفع به إلىٰ أعلىٰ المستويات الروحية كأنه ملك يعيش في صورة إنسان[2] .

---

(١) منهج التربية الإسلامية، لمحمد قطب ١/ ٢٠.

(٢) انظر : نظام الإسلام ، العقيدة والعبادة، محمد المبارك/ ٥٦ .

هذه نظرة الإسلام نظرة متكاملة غير مجزئة لطبيعة تكوينه وغير مهملة لبعضها، بل عناية تامة، دقيقة، ومقبولة بهذه الأجزاء؛ لأنها جميعاً هي الإنسان، والعناية بها جميعاً هي العناية بالإنسان. وفقدان هذه النظرة وهذا المنهج هو سبب حيرة العلماء والباحثين في فهم الإنسان. لذا تعددت النظريات والأبحاث وكلها تشير إلىٰ الحيرة والاستغراب من عناوينها، وفي مقدمتها أبحاث تشارلز فريكل في كتابه (أزمة الإنسان الحديث) وكارل باسبرز في كتابه (مستقبل الإنسانية) وأدرتين كوخ (أزمة العصر) وكلها تدور حول الإنسان تبحثه من خلال مفاهيم العلوم الاجتماعية والسلوكية، ولكن ما يلفت النظر حقاً، ويستدعي العجب أن هذه النظريات كلها علىٰ اختلاف تياراتها ومذاهبها الاجتماعية تصدر من قاعدة واحدة، فهي تقوّم الإنسان علىٰ أساس واحد هو الأساس المادي[1]. ولعلَّ أكثر هؤلاء الباحثين إنصافاً وأهداهم إلىٰ الحق في نزاهة المنهج، وصحة النظرة الأستاذ ألكسيس كاريل في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) والذي مرَّت بنا بعض وجهات نظره في بداية الحديث عن هذه المسألة.

إن مسألة سلامة التصور لهذا الإنسان تؤدي إلىٰ صحة النتائج لأية دراسة من الدراسات التي تتناوله بالبحث والاستقصاء، فسلامة النظرة (هي الضمان الوحيد لعدم الوقوع في العيوب المنهجية التي وقعت فيها أبحاث الغرب، ففيها الوقاية من تجزئة الإنسان إلىٰ مزق متفرقة تخالف الواقع المتكامل للإنسان الحقيقي الذي يعيش في الأرض، وفيها الضمان أن تؤدي الجزئيات دلالتها الحقيقية الصادقة حين توضع في مكانها الصحيح... كما أن فيها الضمان كذلك لتصور الصورة الحقيقية لمكان الإنسان في الكون ومكانته في الحياة)[2].

---

(١) مفاهيم العلوم الاجتماعية، أنور الجندي/ ٢٧، ٢٨.

(٢) دراسات في النفس الإنسانية، للأستاذ محمد قطب/ ٢٧، لدراسات الأستاذ محمد قطب الفضل في تجليّة هذه المسالة، وبحق فإنها خير ما قرات حول هذا الموضوع، ولقد تتبعها الأستاذ في عدد من كتبه، منها: الإنسان بين المادية والإسلام، ودراسات في النفس الإنسانية، ومنهج=

ولعلّ هذا التكامل في النظرة ، والشمول في العناية هو ما يميز الثقافة الإسلامية عن سائر الثقافات المادية التي تحدد أهدافها في العناية بالجانب المادي من الإنسان كما هو واضح في تعريف شاس مونتاجو للثقافة بأنها : (استجابة الإنسان لإشباع حاجاته، فهي الوسائل التي يلجأ إليها لإشباع تلك الحاجات، وتقوم الحياة الإنسانية على حاجات ضرورية مثل المأكل والمشرب والملبس والمعيشة في طمأنينة وانتفاء الأمراض وإشباع الدوافع الجنسية. . . والرغبة في التعلم والمعرفة . . . ويستطيع الإنسان بعقله وقدرته على التعلم أن ينشئ . . . الوسائل التي تشبع هذه الحاجات وهذه الوسائل. . . والطرق والنظم هي ما نسميها باسم النماذج الثقافية)[١] ، فأين نصيب التثقيف الروحي من هذا التعريف الذي يحدد حاجات الإنسان ومطالبه في الغذاء والملبس والطمأنينة والصحة؟؟!!

فالتثقيف ووسائل تحقيقه مرتبط بالنظرة للإنسان ، لذا نجد فارقاً واضحاً بين تثقيف الإنسان ـ والطفل أحد مراحل نموه ـ من وجه نظر الإسلام وبين تثقيفه من وجه نظر الغرب، من أصحاب المذاهب التي تنظر إلى الإنسان من أحد جوانبه، فالتثقيف في النظرة الإسلامية يستهدف جميع جوانب الإنسان وإن كانت عنايته بالجوانب الفكرية منه أخص، لكن دون إنكار للجوانب الأخرى، ودون إهمال لها؛ لأن اختصاص العناية بالجوانب الفكرية أكثر من غيرها هو المقصود من معنى الثقافة ، والجانب الفكري هو المعني في مجال التطبيق والتنفيذ.

رابعاً: الذاتية في بناء ثقافة الطفل على قواعد الإسلام وهديه:

الفكر الإسلامي نسيج وحده، لا يطابقه فكر آخر ولا يضاهيه، فإن وُجد تشابه بين الفكر الإسلامي وبين فكر آخر سواء كان سماوياً طرأ عليه التحريف

= التربية الإسلامية ويقع في جزأين.

(١) معجم العلوم الاجتماعية ، مادة ثقافة ، إعداد حسن سعفان/ ١٩٩ .

وعبث به الإنسان فغيّر حقيقته، وكدر صفاءه، أو وضعيًا من اختراع البشر ونسجه، فإن وجه الشبه عارض وجزئي، وسر الاختلاف بين المفكرين يعود إلى اختلاف القاعدة التي ينبثق عنها الفكران. فقاعدة الفكر الإسلامي تمتاز بتفردها عن بقية القواعد فهي من تشريع العليم الخبير، وتنفرد كذلك باستقرارها وثبوتها، فهي لا تعرف التغير أو التبدل؛ لأنَّ مصادرها ثابتة قطعيّة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١] وهذان المصدران يلزم طاعتهما ولا يسع أحد الخروج عن هديهما، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢] لكن هذا الثبات لا يقتضي الجمود والسكون بل ثبوت يقتضي الخلود والملاءمة ويتجلى هذا في مرونة المصدر واتساعه لعطاء العقل المنضبط الذي لا يصادم نصًا بل يوافقه فإن العقل الصحيح لا يصادم النص الصريح، ويتمثل هذا في باب الاجتهاد المفتوح، وفي الدعوة إلى التفكير واختراق الآفاق والنظر في ملكوت السموات والأرض دون تقييد ولا حدود إلا حد النفع والقدرة. عن عبد الله بن سلاَّم[٣] قال: خرج رسول الله ﷺ على ناس من أصحابه وهم يتفكرون في خلق الله. فقال رسول الله ﷺ: «**فيمَ تتفكرون؟**». قالوا: نتفكر في الله. قال: «**لا تفكروا في الله وتفكروا في خلق الله...**»[٤].

ويمكن التعرف على استقلالية الفكر الإسلامي عن غيره من الأفكار والفلسفات الحديثة بالنظر إلى قضيتين رئيستين من وجهة نظر الإسلام، هما:

(١) الحجر: ٩. وانظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي/ ٢٠٧.

(٢) النور: ٥١.

(٣) أبو يوسف الإسرائيلي ثم الأنصاري، حبر من أحبار اليهود، أسلم أول ما قدم النبي ﷺ المدينة، مات بها سنة ٤٣هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٦/ ٢٢٨ رقم ١٥٦١، والإصابة لابن حجر ٦/ ١٠٨ رقم ٤٧١٦.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٦٦ ـ ٦٧، قال الألباني: إسناده حسن في الشواهد. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣٩٦ رقم ١٧٨٨.

أداة التقويم ، وطريق الموازنة بين الإسلام والمذاهب الأخرىٰ . هاتان القضيتان هما : عقيدة الألوهية وتحديد طبيعة الإنسان وتكوينه(١) .

أما ما يتعلق بطبيعة الإنسان فقد اتضح فيما سبق(٢) وجه تفرد الإسلام من بين المذاهب والفلسفات في بناء تشريعاته وأحكامه المتعلقة بالإنسان علىٰ النظرة المتكاملة وأنه مكوّن من جسم وعقل وروح وكيف أن الفلسفات الحديثة أنكرت الجانب الروحي خشية الإيمان بالقضية الأولىٰ قضية الألوهية ، بينما تقوم قاعدة الإسلام التي تتفرع عنها جميع جوانب الحياة علىٰ الإيمان بالله تعالىٰ وحده وأنه لا معبود سواه متفرد بالربوبية والألوهية ، ومتصف بصفات الكمال ، متنزه عن صفات النقص ، يقول الأستاذ محمد قطب : (قضية من المعبود؟ هي أهم قضية بالنسبة للحياة البشرية كلها في تاريخها كله ، وأن كل شيء في الحياة الدنيا ـ فضلاً عن الآخرة ـ يتوقف علىٰ جوانب هذه القضية ، وهي كون المعبود هو الله ، أم شيئاً آخر مع الله أو من دون الله)(٣) . هذا الاختلاف في القاعدة دالٌّ علىٰ اختلاف ما يتفرع من القاعدتين : قاعدة الإيمان وقاعدة الكفر ـ من فلسفات ونظم وأهداف .

فالإسلام له ذاتيته المستقلة في الجانب الفكري وفي بقية الجوانب ، وله أسلوبه الخاص في بناء هذا الجانب وغيره ، وهو وحده القادر علىٰ بناء الإنسان الواعي المدرك لدوره في هذه الحياة ، والإنسان غير مستغن عن توجيهه ورعايته لحظة واحدة إذا أراد الاستواء والكرامة ـ وهو لن يجد ذاته الضائعة إلا في المفاهيم الأصيلة التي قدّمها المنهج الرباني الواعي بطبيعة الإنسان وستظل المفاهيم البشرية عاجزة عن أن تهديه ـ وإن كانت تستطيع أن تضله ـ لقد طرحت مذاهب ونظريات

---

(١) انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، للأستاذ محمد قطب/ ٢٢١ .

(٢) ص/ ١١٩ ـ ١٢٦ .

(٣) انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، للأستاذ محمد قطب/ ٢٢١ .

في آفاق المجتمع الإسلامي جرت مع الأهواء والرغبات في صورة علمية فلسفية كانت السبب في ضياع الإنسان المسلم، وتمزقه الروحي ومسخ إنسانيته [١].

﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٢]، تعجز هذه النظريات البشرية، والمفاهيم الوضعية أن تهدي الإنسان أو تسعده؛ لأنها نابعة عن جهل بحقيقته وحاجاته فجاءت حضارتها غير ملائمة لطبيعة الإنسان كما وصفها الأستاذ ألكسيس كاريل إذ يقول: (إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب؛ لأنها لا تلائمنا فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية إذ إنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا)[٣]. وهي كذلك تتجاهل حقيقة من حقائق الوجود وهي حاجة الإنسان الفطرية إلى الإيمان بالله تعالى وحده وإفراده بالعبودية، الإيمان بهذه البدهية هو مصدر سعادة الإنسان في هذه الحياة، وهو السبيل الوحيد لإنقاذه من حمأة الحيوانية الغريزية التي تنكّرت لكرامته وإنسانيته، ومن الجبرية الاقتصادية التي سلبت حريته الذاتية وإرداته الشخصية، إن الحياة البشرية اليوم في حاجة ماسّة إلى أن ترجع إلى فطرتها التي فطرها الله عليها، وهي لا يمكن أن ترجع إلى هذه الفطرة بمبادئ ونظريات أو وسائل تنبع من تصور لا يدرك طبيعة هذا الإنسان، ولا يلبي حاجاته الروحية، وهنا يكمن الخطر لكونها قامت على أصول معادية لينابيع الفطرة، ومجافية لتكامل النظرة لطبيعة الإنسان وتكوينه، ونشأت في ظل دراسات للنفس الإنسانية هي أبعد ما تكون عن خالق هذه النفس

---

(١) انظر: مفاهيم العلوم الاجتماعية، أنور الجندي/ ٢٧٣.

(٢) النحل: ١٠٦ ـ ١٠٨.

(٣) الإنسان ذلك المجهول/ ٣٧.

ومركبها، هذه الظروف كافية لرفض هذه النظريات وشاهدة لعدم أهليتها في وضع (تصميم) أساس لحياة هذا الكائن، فجهل أحدنا بجهاز مادي صغير يحول دون القدرة على إصلاحه - فضلاً عن تركيبه - ، فكيف مع الجهل بحقيقة هذا الإنسان نتصدى لإقامة نظام يوجه حياة أعز وأثمن ما في هذه الحياة؟ ! قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(١) . هذا هو الحق فلا يدركنا الغرور ونحن نرى العقل البشري يبدع في عالم المادة، ويأتي بما يشبه الخوارق، فالعقل جهز لإدراك قوانين المادة ولم يجهز لإدراك عالم الإنسان الهائل الغامض(٢) .

هذه المفاهيم والفلسفات هي التي بنت عليها الحضارة الغربية جميع علومها المتعلقة بحياة الإنسان المادية والمعنوية، الفردية والاجتماعية ، فعلم النفس بني على تصور للإنسان خلاصته أنه حيوان ذو غرائز وميول مادية بحتة، وعلم الاجتماع بني على أساس أن الدين ظاهرة اجتماعية حسيّة مثل غيرها وأن الإله فكرة تعللها كل نظرية اجتماعية على طريقتها وعلى أساس أنها فكرة طارئة في حياة البشر الاجتماعية لا على أساس أنها تتضمن حقيقة خارجية، كما بني على أساس نسبية الأخلاق وواقعيتها. فلا مثالية ولا فضائل إلا باعتبارهما وقائع، والتربية وجميع نظرياتها في الثقافة الحديثة مبنية على التصور المادي للإنسان إجمالاً، أما الجانبان الخلقي والروحي من الإنسان فلا مكان لهما في التربية في إطار الثقافة الغربية(٣) .

على ضوء نظريات هذه العلوم صيغت الخطط التنفيذية والبرامج العلمية والوسائل الثقافية في البلاد الإسلامية إلا ما عصم ربك فأدّى ذلك إلى نشأة

---

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) المستقبل لهذا الدين ، للأستاذ سيد قطب/ ٨٢.

(٣) العوامل التي تنخر في الكيان الإسلامي، بحث سلطان الثقافة الغربية على الفكر الإسلامي، الأستاذ محمد المبارك/ ١٢٦.

أجيال من أطفال المسلمين على غير فكر الإسلام وهديه تربت على موائد الغرب وفكره، وصيغت حياتهم وعاداتهم بعادات ونظم حياة الأجنبي، هذه الصياغة استهدفت الطفل منذ بدء حياته وهو في المهد، ثم وهو حضين إلى أن شبّ عن الطوق، وسخّرت لتحقيق هذا الأمر جميع إمكاناتها وطاقاتها، وأصبح الأمر هيِّناً عليهم حين تحكموا في جميع الوسائل الثقافية المؤثرة وقد نجحوا في تحقيق مرادهم وكان الأثر بالغاً على الأجيال الناشئة، والطفل إذا ما بدأ (يدرك ما حوله فإن ذهنه وحياته كلها تتشكل في القالب الذي صاغته الحضارة الأوروبية؛ لأن علوم أوروبا ومعارفها تنصبُّ في عقله وتهيمن على أفكاره، ولا يوجد منظاراً غير منظارها يستخدمه في الملاحظة والتجربة، ويتبع نفس الوسائل التي تستخدمها في استنباط الحقائق والبراهين ثم يتعلم كيف يستعمل عين مقاييسها لكي يميز بين الخطأ والصواب والحقيقة والزيف وما هو جدير بالقبول)[1].

ولقد نجح الغرب المستعمر في كثير من البلاد الإسلامية في صياغة هذه الأجيال على فكره واستطاع أن يخفي عليها معالم دينها، وأن ينسيها ماضيها، وأن يعجم لسانها، وإذا كان المستعمر قد حقق هذا النجاح فإنه ما لبث أن زال ظله بعد أن غيَّر معالم هذه البلاد ومسخ شخصيتها المتميزة واستبدل نظامه بنظام الإسلام وفكره بفكر الإسلام فورث المسلمون ديارهم بعد زواله فكان الإرث تبعة ثقيلة والعودة إلى نقاء الإسلام وتراثه يحتاج حكمة وصبراً.

ومن البدهي أن معنى الحرية يعني أن يتنشق المسلمون عليل الإيمان، وأن يعودوا إلى دينهم الحنيف، وأن يتحرروا من أغلال المستعمر وآثاره الفاسدة، في جميع أنظمة حياتهم مستبدلين بذلك أنظمة الإسلام وحكمه، ومتخلين عن تبعيتهم للفكر الغربي الذي هو رأس الداء، والحق أن الحرية الإسلامية الشاملة ـ وإن تأخرت ـ إلا أن مؤشراتها بدأت تلوح في الأفق وتظهر ملامحها في كثير من

---

(١) منهج جديد للتربية والتعليم للأستاذ أبي الأعلى المودودي/ ٢٦.

القطاعات والمجالات الحيوية، وسبقها ظهور الأبحاث والمؤلفات التي تؤكد تمايز هذا الدين وانفراده عن الديانات السماوية المحرفة والمذاهب البشرية الأخرىٰ، هذه الحرية يرىٰ الأستاذ محمد المبارك[١] ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أن خطوات تحققها تتمثل فيما يلي:

١ ـ (التحرر من الثقافة الغربية من ناحية فلسفتها وتصورها. . . للإنسان وللكون وللحياة وسائر أسسها العقائدية ونظرياتها، ذلك أنها تنطلق من تصور ضيق للوجود؛ إذ تحصره في العالم المادي، وتنفي ما لا يقع تحت الحس، وتستند إلىٰ العقل وحده وتنفي ما لا يضبطه أو يدركه وإن كان لا يعارضه).

٢ ـ إحلال الثقافة الإسلامية بفلسفتها وتصورها للوجود وسائر عقائدها والمفاهيم المنبثقة عنها محل الثقافة الغربية بحث تغطي الثقافة الإسلامية الساحة الثقافية تغطية كاملة، فتكون العلوم الكونية والتطبيقية تابعة وخادمة لها، وتكون العلوم الإنسانية النظرية بفروعها المختلفة منبثقة من فلسفة الثقافة الإسلامية وتصوراتها عن الإنسان الفرد والمجتمع والحياة والكون والله الخالق لها جميعاً والمهيمن والحاكم والمشرع لها[٢].

٣ ـ (بناء العلوم الإنسانية بناءً جديداً انطلاقاً من التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والعلاقات الاجتماعية والحياة والكون والخالق المدبّر لها والمهيمن عليها وبذلك تتغير الأسس التي ستبنىٰ عليها علوم النفس والاجتماع

---

(١) ولد ونشأ في دمشق، حاز شهادتي كلية الحقوق من جامعة دمشق عام ١٩٣٥م، وكلية الآداب من جامعة باريس عام ١٩٣٨م، كان عضواً في مجمع اللغة العربية، له نشاط فكري دائب تمثّل في كثير من المؤتمرات، والمحاضرات، والمؤلفات، توفي بالحجاز سنة ١٤٠٢هـ. انظر: الغلاف الثاني من كتابه نظام الإسلام: الحكم والدولة.

(٢) العوامل التي تنخر في الكيان الإسلامي، بحث سلطان الثقافة الغربية علىٰ الفكر الإسلامي، الأستاذ محمد المبارك/ ١٤٦.

والتربية والتاريخ والحقوق والعلوم السياسية بل الأدب والفن)[١] .

هذه الخطوات المنقذة إذا رسمت لها مراحل ووسائل لتنفيذها على مستوى العالم الإسلامي ستؤدي إلى ظهور ثقافة متميزة هي الثقافة الإسلامية في صياغتها وصورتها الأصيلة وإلى بناء حضارة جديدة غير الحضارة الصناعية الغربية المادية وستؤدي إلى التحرر الحقيقي من التبعية لأصحاب الفكر الغربي وتقرير ذاتية هذا الدين ـ على حد قول ربعي بن عامر [٢] ـ رضي الله عنها : **(الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام)**[٣] .

وإذا كنا بصدد تثقيف الطفل ورعايته فكريًا ، فإنه بات من المؤكد إذا أردنا العودة الحقَّة إلى الإسلام والتحرر من الفكر الأجنبي ، أن تسعى جميع القطاعات ذات العلاقة بتربية الطفل وتكوينه إلى رعاية الأجيال الناشئة وتثقيفهم وفق منهاج الإسلام وهديه ، وأن تسخر في سبيل ذلك جميع الطاقات والإمكانات والقدرات المادية والبشرية لتتمكن من تنشئة الأجيال الجديدة تنشئة إسلامية وتكوينها تكويناً متكاملاً جسميًا وعقليًا وروحيًا وفق هدي الإسلام ونظامه في الحياة ، وهذا الأمر يتطلب أن يتعاون المختصّون في علم النفس والاجتماع والتربية لكونها العلوم المتخصصة في العناية بالطفل وتنميته ـ من المؤمنين بالإسلام والمزودين بالثقافة الإسلامية الكافية ـ على إقامة نظرية إسلامية للتربية والتثقيف تستقي جميع عناصرها من هدي الإسلام[٤] وعلى وضع الخطط

---

(١) العوامل التي تنخر في الكيان الإسلامي، بحث سلطان الثقافة الغربية على الفكر الإسلامي، الأستاذ محمد المبارك/ ١٤٧ .

(٢) من قواد فتوحات العراق ، له ذكر في معركة نهاوند ، وولي إمارة طخارستان، انظر : الإصابة لابن حجر ٣/ ٢٥٣ رقم ١٨٤٩ .

(٣) البداية والنهاية ، لابن كثير ٧/ ٣٩ .

(٤) انظر : الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية ، للأستاذ محمد المبارك/ ١٥٩ .

المدروسة والكافية لتثقيف هذه الأجيال بثقافة الأمة الإسلامية وفكرها الأصيل، مع ملاحظة المحافظة على هذه الأجيال من أضرار الفكر الوافد، ووقايتها من شرور كل دخيل وغريب يخالف فكر الأمة ويجافي عقيدتها ـ عندئذ تنشأ الأجيال المؤمنة والمثقفة التي تجمع بين العقيدة والعلم وتؤمن بخلود هذا الدين وصلاحيته لكل عصر ومصر، وتدرك دورها في هذه الحياة وأنها المنقذ للعالم من النهاية الأليمة التي ترتقبه ومن المستنقع الذي يتردَّىٰ فيه [1]، بسبب البعد عن منهج الله تعالىٰ والاعتماد علىٰ النظريات البشرية المتولدة عن الشهوات والمنافع المتّصفة بالأنانية الفرديّة.

---

(١) انظر: التربية الإسلامية الحرة لأبي الحسن الندوي/ ٤١.

الفصل الثالث

العوامل المؤثرة في ثَقَافَةِ الطِّفْل المُسْلِم

بناءً وهَدْماً

العوامل المؤثرة في ثَقَافَة الطِّفْلِ المُسْلِم بِناءً وهَدْماً

الشروط التي يلزم توفرها في عوامل التثقيف:

تثقيف الطفل المسلم وفقاً للتصور الإسلامي السابق عملية دقيقة تحتاج إلى تضافر جهود القوى الاجتماعية ذات التأثير الثقافي والقدرة على نقل عناصر الثقافة الإسلامية إلى الأجيال الناشئة نقلاً أميناً ودقيقاً وملائماً لمستواهم النفسي والعقلي ، وعلى صياغة حياتهم بما يتوافق مع فكر الإسلام وهديه ، سواء أكانت طاقات بشرية تعي دورها في عملية البناء الثقافي للطفل المسلم من حيث طبيعة هذه المرحلة وحساسية تكوينها ، أو من حيث نوعية الثقافة الملائمة وسلامتها من الانحراف ، أم كانت قوى مادية ذات قدرة على احتضان الأطفال أو جذب ميولهم ورغباتهم ، ومن ثم استغلال هذا الميل واستثمار هذه الرغبة في إملاء فكر الإسلام على عقولهم وأسماعهم وأبصارهم ، وهذا الأمر لا يتحقق على الوجه المطلوب إلا إذا توافرت الشروط التالية في جميع العوامل الاجتماعية المشاركة في عملية تثقيف الطفل منذ ولادته وأثناء نموه ، وهي :

١ ـ التخطيط السليم لجميع برامج تثقيف الطفل وأنشطته مع مراعاة الأمرين التاليين :

أ ـ مواكبة هذا التخطيط لطبيعة تكوين الطفل بحيث تغطي برامجه جميع حاجات الطفل الأساسية وترضي جميع ميوله الخيّرة .

ب ـ ملاءمته لروح الثقافة الإسلامية ومبادئها وقيَمِها ومراعاته للشمول في النظرة والتكامل في العطاء بما يحقق الهدف المرجو من وراء عملية

التثقيف، ويزيل كل أوجه الازدواجية[1] ، التي تجمع بين فكر الإسلام وما يناقضه بحيث تتآزر كل العوامل الاجتماعية مجتمعة في بناء ثقافة الطفل المسلم وفق منهج الإسلام وهديه.

٢ ـ الأهلية الكافية لجميع المشاركين في عملية البناء الثقافي بحيث تتوافر فيهم المواصفات المطلوبة للقيام بهذه المهمة كأن يكون لديهم إلمام بطبيعة تدرج نمو الطفل[2] ووعي لمفهوم ثقافة الطفل وأسس بنائها وطرق تكوين هذه الأسس؛ إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه، مما يقتضي أن يكون شعورهم وشخصياتهم ترجمة حيَّة لما يعملون في بنائه وتكوينه في نفوس أطفالهم.

٣ ـ سلامة الأهداف ووضوحها لتتوافق مع الإسلام، ولبناء شخصية راشدة ومتكاملة، مهيّأة لحمل أمانة الخلافة في الأرض، وممارسة الإسلام معتقداً وفكراً وعبادةً. وهذا الشرط يُعدّ نقطة الافتراق بين تثقيف الطفل في المجتمع الإسلامي والمجتمعات الأخرىٰ، فإن الشرطين السابقين ـ التخطيط السليم ومواكبة طبيعة الطفل ـ، معتبران في أي مجتمع متقدم من المجتمعات البشرية، والهدف هو نقطةالاختلاف بينها، فالمجتمعات الماركسية مثلاً تتخذ من النظرية الشيوعية الماركسية هدفاً تسعىٰ إليه وتعمل علىٰ تشجيع كل الوسائل المؤدية إليه، وإضعاف كل الوسائل المعيقة عن تحقيقه، وكذلك الأمر نفسه في المجتمعات العلمانية، مما يستدعي اهتمام قادة الفكر والتوجيه الثقافي في المجتمع الإسلامي للتدقيق الفاحص والمتابعة المستمرة

---

(١) الازدواجية في عوامل التأثير الثقافي من أخطر العوامل المعيقة لبناء ثقافة مستقرة وصحيحة للطفل المسلم، فإذا كانت الأسرة والمدرسة مثلاً يلتزمان بتعليم أطفال المجتمع قيم الإسلام ومبادئه والإعلام بوسائله يرفض هذه القيم والمبادئ ويبث ما يناقضها من برامج، فإن نتيجة الازدواج في التأثير الثقافي نشأة جيل مشتت في الفكر مضطرب في السلوك يعيش حياة الفوضىٰ وعدم الاستقرار.

(٢) انظر: علم النفس وثقافة الطفل، د. سمية فهمي / ٤٠.

لعوامل التثقيف من وسائل وطاقات بشرية، ومحاربة كل العناصر الهدَّامة التي تعرقل عملية تثقيف الناشئة المسلمة بثقافة الإسلام وفكره، أو تشوه من صورته بحزم وصرامة، مع السعي الحثيث لوقاية المجتمع من أضرارها وتجلية ذلك لأفراد المجتمع ليكونوا على وعي تام بخطرها، وليأخذوا حذرهم من أمثالها.

ومفهوم ثقافة الطفل المسلم يبقى رهين النظرية، لا ينتقل إلى واقع الحياة إلا إذا نهض المفكرون والمربون بمسئولياتهم نحو الأجيال الناشئة فعملوا على وصل حياة الأطفال بالثقافة الإسلامية بحيث تكون مصدر إيمانهم وفكرهم وشعورهم وطابع سلوكهم وسمة حياتهم العملية وحافظوا على سلامتها وحيوتها كلما طرأ عليها انحراف أو ضعف[١] وسخَّروا في سبيل ذلك جميع ما يمتلكه المجتمع من عوامل مؤثرة، وقوى ممكنة؛ لتتم صياغة شخصية الطفل المسلم على وجه الكمال، ولتتأهل فكرياً لتمارس دورها ومسئولياتها في الحياة بكفاءة وجدارة وإبداع.

والعوامل الاجتماعية ـ كما تؤدي دوراً مهماً في البناء ـ فإن بإمكانها أن تؤدي دوراً خطيراً في الهدم إذا أدركنا أن الإنسان في جميع مراحل نموه ـ وفي الطفولة على الخصوص ـ ذو تأثر سريع بقوى المجتمع؛ لأنها تمثل حقيقة المجتمع الذي يعيش فيه، والإنسان ابن مجتمعه، متأثر بمخالطة أفراده وبمعاملته مع قواه.

وخطورة هذه العوامل على ثقافة الطفل المسلم تكمن في استغلالها لإملاء فكر غريب على المجتمع الإسلامي، أو تشويه صورة الثقافة الإسلامية الأصيلة، والقضاء على مصادرها الثرة، ولقد ذاق المجتمع الإسلامي ذينك الفكر والتشويه ولا يزال يعاني من آثارهما إلى يومنا حين تحكّم الغزاة الكفّار في هذه القوى

---

(١) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب/ ١١.

الاجتماعية فحوّلوا وجهتها الإسلامية إلىٰ ما يتفق مع وجهتهم وضلالهم رامين إلىٰ أمرين :

الأول : جيل مجانس لهم في ثقافتهم ليسهل عليهم الاتصال به والتفاهم معه .

والثاني ـ وهو الأخطر ـ : العمل علىٰ إيجاد غربة بين الأجيال المقبلة والثقافة الإسلامية في الفكر والسلوك(١) .

ولقد استطاع هؤلاء الغزاة الحاقدون أن يستغلوا هذه العوامل لصالحهم وأن ينفّذوا عن طريقها خططهم الرهيبة التي تهدف إلىٰ مسخ شخصية المسلم وتشويه صورة الإسلام، وكان التأثير في الأطفال أفتك وأشنع، إذ نشأت أجيال تجهل حقيقة الإسلام، ولا تدرك منه إلا صوراً مشوهة أو رسوماً باهتة .

والحديث هنا سوف يقتصر علىٰ أقوىٰ العوامل الاجتماعية تأثيراً في بناء ثقافة الطفل المسلم وهدمها ؛ إذ الحديث عن جميعها صعب التناول لكثرتها وتعددها فقد غدا كل موقع من الأرض مجالاً من مجالات التثقيف العام وأمسىٰ باستطاعة موجهي التثقيف أن يرافقوا الطفل في كل لحظة من لحظات حياته، وأصبحت وسائلهم تنفث فكرها في كل موقع من مواقع مجتمعه(٢) .

ولعلّ أقوىٰ العوامل الاجتماعية تأثيراً وأقدرها علىٰ صياغة الطفل ثقافياً أربعة :

الأسرة، والمسجد، والمدرسة، والإعلام .

---

(١) انظر : الغزو الفكري، د. عبد الستار سعيد / ٦١ نقلاً عن التربية الدينية التي يحتاج إليها العالم الإسلامي ، د. اللبان .

(٢) انظر : غزو في الصميم ، الأستاذ عبد الرحمن حبنكه الميداني/ ١٢١ .

أولاً: الأسرة:

تُعدّ الأسرة أقوى العوامل الاجتماعية الآنفة تأثيراً في صياغة ثقافة الطفل المسلم، وتكوينه فكريًّا، فهي البيئة الأولى التي تستقبل الطفل منذ الولادة وتتولى إعداده وتأديبه وتثقيفه في سني حياته الأولى، وهي المحضن الأول الذي يمكث في كنفه وتحت رعايته أغلب مدة طفولته، وأسرعها تأثراً وتقبلاً لعناصر التثقيف السائدة في مجتمعه، وهي المدرسة الأولى التي يتلقى الطفل في مدارجها أصول ثقافته ومبادئ فكره ويتفيأ الطفل المسلم في ظلالها وتحت عنايتها مبادئ الإسلام وقيمه وتعاليمه، ويترقى بتوجيه منها في مدارج الكمال والنضج حتى يبلغ درجة من الرشد والأهلية.

فالأسرة مجتمع فطري مؤثر في عملية التنشئة الثقافية لأبناء المجتمع الجدد، ووسيط أمثل لنقل ثقافته إليهم، وغرس أصولها في نفسهم، وتعويدهم عليها منذ الميلاد، ففي ظلها يرث الطفل ثقافة آبائه وأجداده، وتحت رعايتها يتعلم أصولها، ويدرك تصوراتها ومواقفها من أمور الحياة.

والبيت المسلم هو الذي يؤدي هذا الدور الثقافي فيملأ قلب أطفاله بالإيمان الصادق، وعقولهم بالفكر الناضج، ويخلع على سلوكهم خلق الإسلام وادابه، فيشبّون على هدي الإسلام، ويتهيّأون لحمل أمانة الخلافة في الأرض بجدارة وكفاءة، فكم من أحداث عظيمة حققت للمجتمع الإسلامي رفعة وعزّاً كان باعثها يكمن في مؤثرات أسرية[1] نشأ عليها صانعو هذه الأحداث في زمن الطفولة.

ولقد شرع الإسلام كل التشريعات اللازمة التي كفلت للأسرة استقرارها ومكّنتها من أداء دورها في التثقيف بكل يسر وسهولة، وصانتها من الضياع أو

(١) انظر: السلام العالمي والإسلام، للأستاذ سيد قطب/ ٦٧.

الذبول وبدأت هذه العناية بالأسرة وهي فكرة في ذهن الرجل القادم على بناء بيت الزوجية فوضحت له أن القاعدة المكينة التي ينبغي أن يبني عليها بيت أسرته، ويجتمع عليها مع زوجه، وينشئ عليها أطفاله هي قاعدة الدين الحنيف، فمهما تعددت مرغبات النكاح فإن هذه القاعدة أولى بالظفر والملاحظة. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها. فاظفر بذات الدين تَرِبَت يَدَاكَ**»(١). وهي أولى الأوصاف التي ينبغي أن يلاحظها الولي في خاطب موليته، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذَا خطب إليكم من تَرْضَوْنَ دينَه وخُلُقَه فزوّجوه إلا تَفعَلوا تَكنْ فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريضٌ**»(٢). وإذا ما تبادل الطرفان الإيجاب والقبول وأبرم بينهما ميثاق النكاح الغليظ، فإن الشريعة رتبت بينهما حقوقاً وواجبات، عليهما أن يلتزما بها لما تحدثه من استقرار نفسي واجتماعي، ولما تهيئة من ظروف مواتية لنمو الأطفال وتكوينهم ثقافياً، فلا شيء يفسد التثقيف ويهدم محاولات بنائه مثل البيئة الفاسدة التي تحيا بلا نظام حياة الفوضى والاضطراب، ولا شيء يحكم بناء التثقيف ويتيح المجال لبنائه في نفوس الناشئة مثل الاستقرار الأسري القائم على منهج الإسلام ونظامه.

إن الأسرة المسلمة إذا توفر فيها جو صالح ومستقر يتيح لأفرادها - وعلى وجه الخصوص الأطفال - تلقي تعاليم الإسلام وتشرّب روحها، وممارستها ممارسة فعلية - تمكنت من أن تحقق لهؤلاء الناشئة رصيداً واقعياً عن الإسلام وفكره، وبغير ذلك تتكون لديهم صورة بغير واقع، فليس الإسلام دعوى فارغة أو أمنية تتمنى، قال تعالى: ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**

---

(١) متفق عليه: سبق تخريجه/ ٦٧.

(٢) رواه الترمذي ٢/ ٢٧٤ رقم ١٠٩٠، أبواب النكاح، باب: ما جاء في من ترضون دينه فزوجوه. قال الأرناؤوط: حديث حسن. انظر: حاشية جامع الأصول ١١/ ٤٦٥.

وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[١] . وليس الإسلام ميراثاً يورث بغير وعي ، قال تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[٢] ، إنَّما هو ميراث حيٌّ ينبغي أن يورث بالتربية الواقعية[٣] سمعاً وبصراً وتفكيراً عن طريق الاقتداء والمعاملة والحياة ، وإلا فلا .

وعلى الوالدين يقع أكبر قسط من مسئولية الأسرة في تثقيف أطفالها ؛ لكونهما ربّي الأسرة وراعييها وألصق أفرادها بالناشئة ، وأكثرهم تأثيراً في البناء والهدم . فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع علي أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم**»[٤] .

فالطفل متأثر بوالديه ومتطبع بثقافتهما صحيحة كانت أو سقيمة ومكتسب لها دون تفريق بين صحتها وسقمها ، بل الصحيح في نظر الطفل ـ وعلى الخصوص في مراحل نموه الأولى ـ ما حثّ عليه والداه وتمسكا به ، والسقيم ما نهيا عنه ونبذاه ، فالوالدان هما مثل الطفل الأعلى يأخذ من تصرفاتهما مقياساً له

---

(١) النساء : ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٢) الأعراف : ١٦٩ .

(٣) انظر : منهج التربية الإسلامية ، لمحمد قطب ٢/ ١٠٠ .

(٤) متفق عليه : البخاري ٦/ ٢٦١١ رقم ٦٧١٩ ، باب : قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء : ٥٩] . ومسلم ٣/ ١٤٥٩ ، كتاب الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل . . . إلخ .

في الحياة، ومن نظرتهما ومواقفهما تصوره ومواقفه[١] ، فلا عجب أن ينشأ الطفل على ما رباه عليه والداه من خير أو شر سواء كان معتقداً أو فكراً أو سلوكاً (من أشبه أباه فما ظلم)[٢] ، ولا غرابة أن يتمكن الوالدان بالتربية والتوجيه من إنماء فطرة الخير والتوحيد التي يولد عليها الطفل أو إضعافها والميل بها إلى فكر منحرف يتبناه الوالدان أو عقيدة يدينان بها يشهد لهذا حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه كان يحدث النبي ﷺ قال : «**ما من مولود إلا ولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[٣] .

فالطفل يتلقى عن والديه كل مبادئه وقيمه الدينية ونظراته وتصوراته الفكرية وما إلى ذلك من أمور تقع تحت سمعه وبصره أو يدركها عقله وفكره ، فبمقدار صلاح الوالدين والتزامهما بالإسلام في المعاملة والسلوك ومداومتهما على أداء شعائر الإسلام في منزلهما وخارجه ونضج فكرهما واستواء تصوراتهما للحياة وما بعدها تكون ثقافة أطفالهما واستقامتهم وكمال تصوراتهم[٤] ، وبقدر فسادهما في هذا كله تكون ثقافة أطفالهما وانحرافهم وضحالة ثقافتهم ، ففي كلا الحالين ينعكس أثرهما على الطفل بناءً وهدماً .

والأسرة هي العامل التربوي الأمثل ، والوعاء الثقافي الأول في تنشئة الطفل وتكوينه ثقافياً. فقد بات من المؤكد لدى أغلب الباحثين الاجتماعيين أن البيت يمارس دوراً حاسماً في التربية والتكوين الثقافي ، فيقول د. علي عبد الواحد وافي : (إن البيت هو العامل الوحيد للحضانة والتربية المقصودة في المراحل الأولى للطفولة ولا تستطيع أية مؤسسة عامة أن تسدّ مسد المنزل في هذه الشئون

(١) انظر : الطفل المثالي في الإسلام، عبد الغني الخطيب/ ١٢٢ .
(٢) مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسابوري الميداني ٢/ ٣٠٠ .
(٣) متفق عليه : سبق تخريجه .
(٤) انظر : رسالة دور المدرسة الابتدائية في إعداد الدّاعية، إعداد : يوسف عزت مرسي الصباغ/ ٢٤ .

ولا يقصد من دور الحضانة أو الكفالة التي تنشئها الدولة أو الهيئات لإيواء الأطفال في مراحلهم الأولى إلا تدارك الحالات التي يحرم فيها الطفل من الأسرة ، أو تحول فيها ظروف قاهرة بين الأسرة وقيامها بهذه الوظيفة ، ولا يُتاح لهذه المؤسسات مهما حرصت على تجويد أعمالها أن تحقق ما يحققه المنزل في هذه الأمور)[١] .

ويمكن القول : إن الأسرة المسلمة تؤدي دورها الثقافي إذا توفر لها أمران :

١ ـ الالتزام بالإسلام:

في الجو الأسري الملتزم يكتسب الطفل مبادئ الإسلام وقيمه وأخلاقه بالاقتداء والتعود، ويتشرب ثقافة الإسلام بصفائها ونقائها وبأدنى جهد وأقل عناء. ذلك أن صلاح الأسرة ييسّر على أطفالها انتهاج الطريق المستقيم ، والجادة السويّة، وأن مثالية أفرادها ـ وعلى الخصوص الوالدان ـ تؤدي إلى مثالية أطفالها، فالطفل في صغره صفحة بيضاء يتأثر بما يقع تحت حسّه ويحتذي بمن يشاهد ويؤمن بالفكر الذي يسمعه[٢] .

٢ ـ الرعاية الثقافية:

إن تثقيف الناشئة في حاجة إلى رعاية أسرية فاحصة تميز بين الأصيل من ثقافة الإسلام والدخيل عليها ، وتعي مسئوليتها تجاه ذلك فتعمل على غربلة ما يصل إلي جوها من أفكار ونقل ما هو صحيح موثوق من المعتقدات والقيم والخبرات، وينبغي أن يتضح أن إدماج الطفل في الإطار الثقافي العام للمجتمع وتوريثه ثقافته ليس هو معنى التثقيف من منظور إسلامي، إنَّما التثقيف ما غرس ثقافة الإسلام الصافية وفكرها الصحيح في نفوس الأجيال

---

(١) الأسرة والمجتمع/ ٢٢.

(٢) انظر : الأمومة والطفولة في الإسلام ، عبد الغني أحمد ناجي/ ٣٧.

الناشئة ورعي نبتها ونموها في حياته، وبهذا يتحقق التثقيف الذي يحمل هذه الأجيال إرث الإسلام الجليل بأمانة ووفاء لينقلوه إلىٰ من بعدهم عقيدة وفكراً وسلوكاً كما تسلموه.

وهذا لا يتم إلا إذا أحاطت الطفل رعاية أسريّة واعية تراقب مسموعاته ومبصراته التي ترد إلىٰ عقله عن طريق حواسه بحنان وحرص ، فالكلمة البذيئة، والمنظر الشاذ، والفكرة الفاسدة، تكفي تأثيراً في انحراف الطفل عن الصراط المستقيم [١] ، والميل به إلىٰ مهاوي الضلال والسقوط به في أوحال الفكر الفاسد.

وكيان الأسرة المسلمة من الصلابة والقوة بحيث لا تستطيع معاول الهدم أن تمسه أو تصيبه بالضعف والذبول إلا إذا فقد أحد الأمرين السابقين أو فقدهما جميعاً ، عندها لا عجب أن يتوقف دور الأسرة الثقافي أو يتحول إلىٰ معول هدم فكري، ولا غرابة أن ينشأ أطفال الأسرة بعيدين عن الإسلام؛ لأن الأسرة لم تتح لفطر الأطفال النقية أن تستقيم علىٰ طبيعتها السويّة، ولم تحطهم برعاية واعية تحفظهم من غوائل الفكر الوافد وإنَّما شاركت في انحرافهم بما يمارسه أفرادها من انحراف وسعت علىٰ إفساد أفكارهم بما سمحت بدخوله من فكر غريب[٢].

ولعل أهم العوامل التي ساعدت علىٰ إضعاف دور الأسرة المسلمة الثقافي تجاه الناشئة أو انهياره ما يلي:

١ ـ انحراف بعضها عن تعاليم الإسلام وهديه في معتقداتها وأفكارها وسلوكها علىٰ تفاوت في ذلك بلغ ببعض الأسر أن تنكب عن هدي الإسلام بالكلية ولم يبق من صلته به إلا الاسم والمكان مثل الأسر التي وقعت فريسة التنصير

---

(١) انظر: الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي فلسفي ٢/ ١٠.

(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ٢/ ٨٩.

في البلاد الإسلامية حين ألحقت بناتها ومربيات أجيالها في المستقبل إلى مدارس التنصير التي احتضنتهم وغذتهم بفكر غربي، وملأت قلوبهم بالمعتقد النصراني، ولكي نقف على فداحة هذا الأمر أسوق أقوال بعض كبار (المبشرين) من أمثال جب الذي يقول عن مدرسة البنات في بيروت: (إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني، لقد شعرت دائماً أن مستقبل سورية إنَّما هو بتعليم بناتها ونسائها، لقد بدأت مدرستنا ـ للبنات ـ ولكن ليس لها بعد بناء خاص بها، وها هي قد أثارت اهتماماً شديداً في أوساط الجميعات التبشيرية).

وتقول (المبشرة) آنا ميليغان: (في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشاوات وبكوات وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي، وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة)[1].

وبلغ ببعض الأسر أن انحرفت نسبياً في مفاهيمه متأثرة بما وفد على المجتمع الإسلامي من مفاهيم منحرفة جعلت هذا الصنف من الناس يدين بخليط من الإسلام والضلال.

فهذا الانحراف بنوعيه انعكس على الطفل الناشئ في بيئته تاركاً جروحاً عميقة في فكره وأسلوب حياته ومواقفه.

٢ ـ ضحالة ثقافة كثير من الأسر المسلمة أو تصورها نتيجة للأمية المتفشية في العالم الإسلامي وما رافقها من انتشار الخرافات والأساطير المنسوب بعضها إلى الإسلام كذباً وزوراً. أضف إلى هذا، ما أصاب الأسرة المسلمة من تغريب لفكرها، أو تشويه لمبادئها، أو تشكيك في تعاليم دينها على يد

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي وعمر فروخ/ ٨٦.

المستعمر الكافر الذي بذل في سبيل ذلك قصارىٰ جهده وسخّر ما يملك من وسائل مؤثرة من تعليم وإعلام. ولقد وقع بعض الأسر في شركه وانغر ببهرجه فانصرف عن العلوم الإسلامية ، وفي مقدمتها علوم الكتاب والسنة واللغة العربية وضعف اتصاله بمصادر الإسلام الثرية فأصيب بضحالة الفهم، وعجمة اللسان ، وانعكس أثره علىٰ تربية الناشئة وتثقيفهم فوقعوا فريسة جهل الآباء وانخداعهم بالتيارات المسمومة.

٣ ـ تخلي الوالدين عن دورهما الثقافي ، من المقرر أن الأسرة قلّ عبؤها الثقافي في العصر الحاضر حين شاركها في هذه المسئولية عدد من عوامل المجتمع مثل المدرسة ووسائل الإعلام ، إلا أن هذا لا يبرر ما وصل إليه حال بعض الأسر من تخلي الوالدين عن دورهما في بناء ثقافة طفلها وتقصيرهما في ذلك اكتفاءً بدورهما الاجتماعي والصحي واتّكالاً علىٰ عوامل التثقيف الأخرىٰ، وبهذا يكون الطفل المسلم خسر عطاء والديه الثقافي، وتوجيههما الفكري وإفادته بتجاربهما في الحياة، وخبراتهما الشخصية ، إن وجود الأب الملتزم بتعاليم الإسلام ولو قدوة صامتة يساعد علىٰ بناء شخصية طفله وتكوينها ثقافياً بطريق الاقتداء ، فكيف لو أدّىٰ الأب دوره المطلوب تجاه طفله[1] .

ومما زاد الأمر فداحة وألماً ، تخلّي الأم عن دورها التربوي والثقافي فخرجت من منزلها إلىٰ العمل بحجة التطور وتحرر المرأة، وقد غاب عن حس المخلصين للمجتمع أن تخلي الأم عن وظيفتها الأصيلة يحرم طفلها من أهم عناصر تكوينه الجسمية والنفسية والعقلية، وأنه مهما توفرت في البديل من صفات التربية والثقافة اللازمتين للطفل ، فإنه لا يستطيع بحال سدّ الفراغ الذي تركته الأم في

---

(١) انظر : معالم في التربية، د. عجيل النشمي/ ٥٩.

حياة الطفل[١] أو تفادي الأضرار النفسية والفكرية التي تنعكس على الطفل من جرَّاء بُعْدها عنه وانشغالها عن تثقيفه.

ومهما يكون ما تعرضت له الأسرة المسلمة من انحراف أو قصور أو عداء مقصود يريد القضاء على دورها الثقافي أو إضعافه فإن الأسرة المسلمة ستبقى المعقل الأول الحافظ لمقومات الثقافة الإسلامية، والمحضن الأمثل في تنشئة الأجيال، وإن أصاب بعضها ضعف فإنه ما يلبث أن يستعيد قوته، ويمارس دوره في غرس الإيمان الصحيح، والسلوك الإسلامي الحميد في نفوس أفراده منذ طفولتهم الباكرة، وتربيتهم على حب الفضائل وبغض الرذائل ويرشدهم إلى الخير، ويباعد بينهم وبين الشرّ، فالأسرة معين الأطفال الأول الذي يمدهم بالقيم الثقافية التي يحترمونها ويعملون وفق هداها ويذودون عنها بكل مايملكون، فهذا هو دورها الطبيعي الذي لن تتخلى عنه مهما ادلهمّت المصائب وطما الخطب.

ثانياً: المسجد[٢]:

المسجد في الإسلام دعامة قوية في بناء المجتمع الإسلامي، وقاعدة مكيفة في نشر الإسلام وتبليغ دعوته، ومعقل حصين في حفظ الدين والذب عن شريعته، ومنارة هداية لإيقاظ الغافلين وإرشاد التائهين، ووسيلة مؤثرة في توعية المسلمين وتقويم اعوجاجهم ومعالجة مشكلاتهم، وإلى جانب هذا فله دور مهم في تكوين الشخصية الإسلامية وتثقيفها: يتجلى هذا في رسالته الثقافية التي يعمل من خلالها على بناء الشخصية المؤمنة المتكاملة، وتغذية روحها وفكرها بالإيمان، وتقوية رابطتها بالله تعالى محبة ومراقبة وخشية، وتربيتها على معنى الوحدة الإسلامية، وإشعارها بحقيقة الأخوة الإسلامية، وتهذيبها

---

(١) انظر: الأمومة في القرآن الكريم والسنَّة النبوية، محمد الزعبلاوي/ ١٨٤.

(٢) انظر: المسجد وأثره في المجتمع، د. علي عبد الحليم محمود/ ٢٨.

بخلق الإسلام، وأدب القرآن، وشمائل المصطفىٰ ﷺ، ومدّها بصنوف العلم والمعرفة.

ولقد تمكّن المسجد من خلال رسالته هذه في عصور الإسلام الأولىٰ من أن يحول رعاة الإبل والغنم إلىٰ علماء حكماء، وخلفاء رحماء، وقادة أكفّاء استطاعوا أن يقيموا أكبر دولة عرفها التاريخ البشري، وأن يبلغوا في ميادين العلم والمعرفة شأواً بعيداً برُّوا فيه أساطين الفكر والفلسفة في كل العلوم والفنون المباحة، ولم يكن هذا إلا بقوة الإيمان، وصدق اليقين، ورجاحة الفكر، وسعة العلم، وبُعْد النظر . . . وغيرها من خصال التأهيل التي استمدوها من هدي الإسلام وعطائه الثقافي[١] ، فهل يعلم أحد أن عاملاً اجتماعياً في أي المجتمعات أدَّىٰ دوراً مثل المسجد في البناء الثقافي، والعطاء الفكري، والتغيير الاجتماعي؟ .

وإذا كان الإسلام وَكَلَ إلىٰ الأسرة الاضطلاع بمهمة تنشئة الأطفال وتثقيفهم، فإنه ناط بالمسجد مسئولية المشاركة في البناء والتكوين ووظيفة التسديد والتعميق لما تلقاه الطفل من مبادئ وقيم ومعتقدات في محيط أسرته ، فالمسجد يتعاون مع الأسرة وبقية العوامل الاجتماعية الأخرىٰ في بناء المجتمع الراشد الذي يعد الطفل نواته ، فالأسرة تنجب وتغرس في نفوس أطفالها عناصر الثقافة الإسلامية الأولىٰ، والمسجد يشارك في رعاية هذا الغرس فينميه ويمده بماء الثقافة الإسلامية، ويتيح لهؤلاء الأطفال فرصة الممارسة العملية لما تعلموه في بيوتهم من قيم إسلامية، ويصقلهم بالعبادة والخشوع لله تعالىٰ، والتدبر والتفكر في ملكوته، ويغذي عقولهم بالعلم النافع، والفقه بأمور الدنيا والآخرة، ويحفظ فكرهم من الانحراف والانسياق وراء المذاهب السقيمة والتيارات الفاسدة[٢] .

---

(١) انظر : نحو علم الاجتماع الإسلامي، د. زكي محمد إسماعيل/ ٢٢٩ .

(٢) انظر : المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، د. علي عبد الحليم محمود/ ٢٠ ـ ٢٣ .

فالتنشئة الثقافية للأجيال الناشئة ذات علاقة وثيقة بالمسجد ورسالته ؛ ذلك أن المسجد يقدم للمصلين خمسة دروس في اليوم والليلة تتجلىٰ في الصلوات الخمس التي تغرس في نفوسهم قيم الإسلام وفضائله، وتعمق في نفوسهم معنىٰ العبوديةلله تعالىٰ واستشعار آثارها الذي ينشأ عن مظهر أداء الصلاة جماعة[١] وما فيه من تنظيم للصفوف وتعميق لمعنىٰ المساواة بين الناس والخشوع بين يدي الله تعالىٰ يستوي في ذلك الكبير والصغير[٢] والغني والفقير وكافية لشعور المصلي بوحدة المسلمين [٣] وضرورة تضامنهم واتحادهم .

وإلىٰ جانب ذلك ، فالمسجد مركز إشعاع عملي للثقافة في المجتمع الإسلامي يتمثل في صلاة الجمعة التي تجمع أهل البلد قاطبة في حال من التهيؤ والخشوع فيشهدون خطبتها التي يعالج فيها الخطيب غالباً واقع الأمة، وأخطاء

---

(١) مظهر الصلاة جماعة وما يحتوي عليه من معاني سامية لفت أنظار كثير من المستشرقين فأبدوا إعجابهم بالصلاة وبتأثيرها العميق في النفوس، من ذلك: ما قاله السير توماس أرنولد: (هذا الفرض المنظم من عبادة الله هو من أعظم الأمارات المميزة للمسلمين عن غيرهم في حياتهم الدينية، فكثيراً ما لا حظ السائحون وغيرهم في بلاد الشرق ما لكيفية أدائه من التأثير في النفوس). يقول عن صلاة الجماعة: (إنه لا يتأتىٰ لأحد يكون قد رأىٰ مرة في حياته ما يقرب من خمسة عشر الف مصل في وسط المسجد الجامع بمدينة دلهي بالهند يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان . . . وكلهم مستغرقون في صلاتهم ، وقد بدت عليهم أكبر شعائر التعظيم والخشية في كل حركة من حركاتهم). نقول: (إنه لا يتأتىٰ لأحد قد رأىٰ المشهد الا يبلغ تأثره به أعماق قلبه، والا يلحظ القوة التي تمتاز بها هذه الطريقة من العبادة عن غيرها) . العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي / ١٩٣ .

(٢) انظر : نحو علم الاجتماع الإسلامي، د. زكي إسماعيل / ٢٢٦ .

(٣) يقول د. محمد إقبال: (إن اختيار قبلة واحدة لصلاة المسلمين أريد به أن يكفل وحدة الشعور للجماعة، وعلىٰ هذا فإن صلاة الجماعة ذات قيمة فكرية تشير إلىٰ الأمل في تحقيق الوحدة الضرورية للبشر ، وأنها حقيقة من حقائق الحياة. وذلك بالقضاء علىٰ جميع الفوارق التي ميَّزت بين إنسان وآخر) ا.هـ. انظر: تجديد التفكير الديني، ترجمة عباس محمود العقاد/ ١٠٨ .

المجتمع، أو يعرض فيها ما يمسّ حاجة الحاضرين من أحكام الإسلام وتعاليمه، وينتفعون بصلاتها التي تجسد وحدة الأمة ومعاني الأخوة، ويتمثل كذلك في حِلَق العلم والتلاوة وما تمنح حاضريها من معرفة وثقافة. . . إلىٰ غير ذلك من جوانب رسالة المسجد في التثقيف العام.

أما دور المسجد في تثقيف أطفال المجتمع ـ وهو الذي نحن بصدده ـ فيمكن القول بأنه ينحو منحيين:

الأول: يتمثل في مد الطفل مباشرة بعناصر التثقيف التي ينالها عن طريق اصطحابه إلىٰ المسجد وانتفاعه برسالته حين يؤدي الصلاة في المسجد برفقة والديه، ويسمع خطبة الجمعة، فقد أباح الإسلام للأطفال الدخول في المسجد، وكان رسول الله ﷺ يترفق بهم ويشفق عليهم فحمل أمامة بنت أبي العاص[1] علىٰ عاتقه وهي يصلي، أطال سجوده حين ارتحله ابنه الحسن[2] ـ رضي الله عنه ـ وخفف الصلاة شفقة علىٰ أم حين سمع بكاء صبيها وقطع خطبته حين رأىٰ الحسن والحسين[3] يعثران في قميصهما. فعن أبي قتادة[4] ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ،

---

(١) أمها: زينب بنت رسول الله ﷺ ليس لها عقب. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١٢/ ٢١١ رقم ٣٢٣٦، والإصابة لابن حجر ١٢/ ١٢٧ رقم ٧٠.

(٢) سيد شباب أهل الجنة، ولي الخلافة بعد مقتل أبيه علي رضي الله عنه، ثم تنازل عنها لمعاوية سنة ٤١هـ، مؤثراً إصلاح المسلمين وحقن دمائهم، مات بالمدينة سنة ٥٠هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ٩٩ رقم ٥٥٥، والإصابة لان حجر ٢/ ٢٤٢ رقم ١٧١٥.

(٣) أخو الحسن، سيد شباب أهل الجنة، ولد سنة ٤هـ، وقتل بكربلاء (بناحية الكوفة) يوم عاشوراً سنة ٦١هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ١١٤، والإصابة لابن حجر ٢/ ٢٤٨ رقم ١٧٢٠.

(٤) المشهور أن اسمه الحارث بن ربعي، شهد أحداً وما بعدها، يقال له: فارس رسول الله ﷺ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١٢/ ٨٨ رقم ٣١٣٠، والإصابة لابن حجر ١١/ ٣٠٢ رقم٩١٣.

ولأبي العاص بني الربيع بن عبد شمس[(١)] ، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها[(٢)] .

وعن شدّاد بن الهاد[(٣)] قال : خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدىٰ صلاتي العشي الظهر أو العصر ، وهو حامل الحسن ـ أو الحسين ـ فتقدم النبي ﷺ فوضعه ، ثم كبّر للصلاة فصلّىٰ ، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها ، فقال : إني رفعت رأسي ، فإذا الصبي علىٰ ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد فرجعت إلىٰ سجودي ، فلما قضىٰ رسول الله ﷺ قال الناس : يا رسول الله ! إنك سجدت بين ظهراني صلاتك هذه سجدة قد أطلتها فظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحىٰ إليك ، قال : «**فكل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني ، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**»[(٤)] .

وعن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال : «**إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه**»[(٥)] ، عن

(١) القرشي ، العبشمي صهر رسول الله ﷺ وزوج أكبر بناته زينب ، أسلم بعد الهجرة ومات في خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنة ١٢هـ . انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ١٢/ ٢٤ رقم ٣٠٦١ ، والإصابة لابن حجر ١١/ ٢٣١ رقم ٦٨٥ .

(٢) متفق عليه : البخاري ١/ ١٩٣ رقم ٤٩٤ ، أبواب : سترة المصلي ، باب : إذا حمل جارية صغيرة علىٰ عنقه في الصلاة . ومسلم ١/ ٣٨٥ رقم ٥٤٣ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : جواز حمل الصبيان في الصلاة .

(٣) هو : الليثي ، حليف بني هاشم ، قال البخاري : له صحبة ، وقال ابن سعد : شهد الخندق ، وسكن المدينة ، وتحول إلىٰ الكوفة . انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ٥/ ٥٤ رقم ١١٦١ ، والإصابة لابن حجر ٥/ ٥٦ رقم ٣٨٥٢ .

(٤) رواه أحمد والنسائي والحاكم : أحمد ٣/ ٤٩٣ ، والنسائي ٢/ ٢٢٩ ، كتاب الافتتاح ، باب : هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة ، والحاكم ١/ ٢٨٧ كتاب الجمعة ، فضيلة الحسنين ـ رضي الله عنهما ـ وقال : حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ، ووافقه الذهبي في التلخيص .

(٥) رواه البخاري ١/ ٢٥٠ رقم ٦٧٥ ، كتاب الجماعة والإمامة ، باب : من أخف الصلاة عند بكاء الصبي .

بـريـدة[١] ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ يخطب إذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال : « **صدق الله** ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [٢] **نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**»[٣] .

وجملة هذه النصوص تدلّ على حرص الإسلام على رعاية الطفل وتنشئته على مبادئه وتعاليمه ، التي يعد المسجد من أهم العوامل المضطلعة بمسئولية بثها بين صفوف المسلمين وغرس مبادئها في نفوس أطفالهم بصفة خاصة .

قد يخطر ببال بعضهم أن جو المسجد الإيماني ورسالته السامية ومكانته المقدسة لا تتلاءم مع صخب الأطفال، وميلهم إلى اللعب ، وحبهم للحركة التي قد تصل أحياناً إلى حد العبث ومع ما قد ينشأ عن وجودهم من إحداث نجاسة لا تليق بكرامة المسجد وتنزيهه من القاذورات والنجاسات .

أقـــول : إن الأدلّة المتقدمة تكفي دلالة على جواز دخول الأطفال المسجد ومكثهم فيه، وزيادة في البيان ، فإن احتضان المسجد لعدد كاف من وسائل التثقيف الملائمة لسنهم تدفع الاحتجاج بالصخب، وتزيل كل مظاهر العبث

---

(١) هو : بريدة بن الحصيب الأسلمي ، غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة، تحول في آخر حياته إلى مرو إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين . انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٤١ رقم ٢١٨ ، والإصابة لابن حجر ١/ ٢٤١ رقم ٦٢٩ .

(٢) التغابن : ١٥ .

(٣) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي : الترمذي ٥/ ٣٢٣ رقم ٣٨٦٣ أبواب المناقب، باب : ١٠٩ . وقال : حديث حسن غريب إنَّما نعرفه من حديث الحسين بن واقد . وأبو داود ١/ ٢٩٠ رقم ١١٠٩ كتاب الصلاة، باب : الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث . والنسائي ٣/ ١٠٨ كتاب الجمعة، باب : نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة . . . إلخ . قال الأرناؤوط : إسناده حسن، انظر : جامع الأصول ٩/ ٣٣ .

البريء وما تبقىٰ بعد ذلك وهو قليل وبريء لا يصح أن يكون سبباً في حرمان أطفالنا من نعمة المسجد وعطائه الفكري النافع . يقول الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ في هذا الشأن : (لا بأس بدخول الصبي المسجد إذا لم يلعب ولا يَحْرُمُ عليه اللعبُ في المسجد، ولا السكوت علىٰ لعبه إلا إذا اتخذ المسجد ملعباً، وصار ذلك معتاداً، فيجب المنعُ منه، فهذا مما يحل قليله دون كثيره. ودليل حله ما روي في الصحيحين : أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضي الله عنها حتىٰ نظرت إلىٰ الحبشة يزفون[1] ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد. ولا شك في أن الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعباً لمنعوا ولم ير ذلك علىٰ الندرة والقلة منكراً حتىٰ نظر إليه بل أمرهم به رسول الله ﷺ لتبصرهم عائشة تطييباً لقلبها إذ قال : «**دونكم يا بني أرفدة**[2] »[3] ، وقد يحتج بعضهم بما رواه واثلة [4] مرفوعاً : «**جنبوا مساجدكم صبيانكم**»[5] وهو حديث لا يصح الاحتجاج به ؛ لكونه ضعيفاً

---

(١) يزفون : يسرعون. انظر : مختار الصحاح للرازي / ٢٧٢ .

(٢) نصّ الحديث : عن عائشة رضي الله عنها قالت : (أو كان يوم عيد، يلعب السودان بالدروق والحراب، فإما سألت رسول الله ﷺ، وإما قال : تشتهين تنظرين. قالت : نعم، فأقامني وراءه خدي علىٰ خده ، ويقول : «دونك بني أرفدة.» حتىٰ إذا مللت قال : «حسبك». قلت : نعم. قال : «فاذهبي». رواه البخاري ومسلم : البخاري ٣/ ١٠٦٤ رقم ٢٧٥٠ كتاب الجهاد، باب : الدرق . ومسلم ٢/ ٦٠٩ رقم ٨٩٢ كتاب صلاة العيدين ، باب : الرخصة في اللعب، الذي لا معصية فيه في أيام العيد.
غريبه : الدروق : ضرب من الترسة، انظر : أساس البلاغة للزمخشري / ١٢٩ . الحراب : حربة وهي آلة الحرب دون الرمح. انظر : تاج العروس للزبيدي / ٢٠٦ ، بنو أرفدة : جنس من الحبش يرقصون. انظر : جامع الأصول لابن الأثير (شرح الغريب) ٨/ ٤٥٦ .

(٣) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٣٢.

(٤) واثلة بن الأسقع الليثي، أسلم قبل تبوك، وشهدها ، نزل الشام، مات سنة ٨٣هـ، آخر من مات من الصحابة بدمشق . انظر : الإصابة لابن حجر ١٠/ ٢٩٠ رقم ٩٠٨٨ .

(٥) رواه ابن ماجه ١/ ٢٤٧ رقم ٧٥٠ ، كتاب المساجد والجماعات، باب : ما يكره في المساجد، وفي الزوائد : إسناده ضعيف ، فإنه فيه الحارث بن نبهان وهو متفق علىٰ ضعفه. ا.هـ. ووافقه علىٰ ضعفه السخاوي. انظر : المقاصد الحسنة / ١٧٥ رقم ٣٧٢ .

يعارض الأحاديث الصحيحة الكثيرة المتقدمة .

إن طفل اليوم أحوج ما يكون إلىٰ رعاية المسجد الثقافية، فعلىٰ القائمين علىٰ المساجد أن يتيحوا للطفل فرصة أداء الصلاة علىٰ مختلف مراحل عمره، وأن يهيئوا له حلقات علمية تناسب إدراكه ، وتغذي ميوله، وأن ينشئوا حلقات لحفظ القرآن والسنة النبوية يولون عليها معلمين أكفاء يدركون طبيعة هذه المرحلة، ومقومات تكوينها ، وأن يؤسسوا مكتبات تلائم الطفل تحتوي علىٰ القصص الإسلامية المستقاة من كتاب الله تعالىٰ ومن سيرة رسول الله ﷺ وسيرة أبطال الإسلام الأماجد من شخصيات الأمة الأسوة، وأن يتوفر في المساجد الكبيرة عدد من المختصين التربويين من ذوي الصلاة والثقافة الواسعة يشرفون علىٰ رعاية هؤلاء الأطفال، ويوجهونهم ويفهمونهم مبادئ الإسلام بأسلوب سهل جذّاب لينشأوا علىٰ محبة الإسلام، والتحرق لقضاياه منذ نعومة أظفارهم ، ويشبوا جنوداً مخلصين لهذا الدين ، يحملون رسالته، وينشرون فكره في العالمين[١] .

أما المنحى الثاني: فيتمثل في الأثر المنعكس علىٰ الطفل من والديه نتيجة انتفاعهما برسالة المسجد وتأثرهما بإشعاعه الثقافي، فالإسلام يربط والدي الطفل بالمسجد ربطاً وثيقاً لأداء صلاة الجماعة في اليوم خمس مرات ، مؤكداً علىٰ الرجل مُجْزئاً عن النساء، فعن أبي الدرداء [٢] ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنّما يأكل الذئب من الغنم**

---

(١) انظر: المسجد في الإسلام ونظام بنائه وأحكامه وآدابه وبدعه ، خير الدين وائلي/ ١٢٥ .

(٢) أسلم يوم بدر ، وشهد ما بعد أحد ، ولاه معاوية قضاء دمشق ، مات في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٣٢هـ بدمشق. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١١/ ٢٢٦ رقم ٢٩٤٠ ، والإصابة لابن حجر ٧/ ١٨٢ رقم ١١١٢ .

القاصية»[١] . عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال : **«لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن»**[٢] .

وضماناً لانتفاع جميع المسلمين من رسالة المسجد رغب الإسلام في التردد عليه في الغدوة والروحة ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : **«من غدا إلى المسجد أو راح ، أعدَّ الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح»**[٣] .

ورفع درجة المشاركين في إحياء رسالته إلى درجة المجاهد في سبيل الله تعالى . عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله»**[٤] .

ولم تحرم المرأة المسلمة ـ وهي مربية الأجيال ـ من الانتفاع برسالة المسجد الثقافية ، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ : قالت النساء للنبي ﷺ : غلبنا عليك الرجال! فاجعل لنا يوماً من نفسك . فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن . . . »[٥] وكن يشهدن صلاة الجمعة والعيدين .

---

(١) رواه أبو داود والنسائي : أبو داود ١/ ١٥٠ رقم ٥٤٧ ، كتاب الصلاة ، باب : في التشديد في ترك الجماعة . والنسائي ٢/ ١٠٦ كتاب الإمامة ، باب : التشديد في ترك الجماعة . قال النووي في رياض الصالحين ٣٢٧ باب فضل الجماعة : رواه أبو داود بإسناد حسن .

(٢) رواه أبو داود ١/ ١٥٥ رقم ٥٦٧ كتاب الصلاة ، باب : ما جاء في خروج النساء إلى المساجد ، والحديث له روايات بلفظ آخر في الصحيحين . انظرها في : جامع الأصول ١١/ ١٩٩ .

(٣) متفق عليه : البخاري ١/ ٢٣٥ رقم ٦٣١ كتاب الجماعة والإمامة ، باب : فضل من غدا إلى المسجد ومن راح . ومسلم ١/ ٤٦٣ رقم ٢٨٥ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا . . . إلخ .

(٤) رواه ابن ماجه ١/ ٨٢ رقم ٢٢٢٧ في المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، وفي الزوائد : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٥) متفق عليه : البخاري ١/ ٥٠ رقم ١٠١ كتاب العلم ، باب : هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم . ومسلم ٤/ ٢٠٢٨ رقم ٢٦٣٣ ، كتاب البر والصلة والآداب . باب : فضل من يموت له ولد فيحتسبه .

واليوم شارك المسجد في رسالته الثقافية تجاه الناشئة عدد من العوامل الاجتماعية فنيط التعليم بالمدرسة، وأنشئت وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها لتشارك في مهمة تثقيف الناشئة مما كان له أثره في تقليص رسالة المسجد، وانخفاف إشعاعها وانحسار وظائف المسجد في أداء الشعائر التعبدية[١] مما كان له بالغ الأثر على واقع الأمة الفكري والسلوكي وعلى تثقيف الطفل بصفة خاصة يصف ذلك سماحة أمين عام رابطة العالم الإسلام سابقاً الشيخ محمد صالح القزاز: (. . . إن دور المسجد أخذ يتضاءل مع عصور الانحطاط والتأخر وغفلة المسلمين عن المؤثرات الأجنبية التي استطاعت في ركود الحماس الديني أن تعمل على تعطيل منابع القوة والوحدة في كيان الأمة نتيجة لجهل المسلمين وانصرافهم عن القيام بالدور الرائد الذي خصّهم الله به كخير أمة أخرجت للناس ـ وبعد هذا الوصف لحال المسجد وحال القائمين عليه قال ـ لذا لم يعد مستغرباً وجود الحالة التي نشاهدها اليوم وهو انصراف الكثير من شبابنا عن المساجد إلى الأندية ودور اللهو والمؤسسات الترفيهية الأخرى التي عملت دون كلل على تجريد هذا الشباب من قيَمِه ومبادئه وتعاليمه الإسلامية حتى غدا لقمة سائغة لمخططات التخريب العقدي والأخلاقي . . .»[٢] .

ومهما بلغ الحال بالمسجد، فإن الأمل قائم في عودة رسالته إلى ما كانت عليه، منارة هداية، ودليل فلاح، ومركز إشعاع فكري، وإن غداً لناظره قريب.

---

(١) يبذل العالم الإسلامي اليوم جهوداً متوالية في العمل على إحياء رسالة المسجد من جديد تتمثل في جهود رابطة العالم الإسلامي والمؤتمر الإسلامي ومجمع البحوث الإسلامية من خلال المؤتمرات والندوات التي انعقدت لبحث وضع المساجد في العالم الإسلامي والعمل على وضع التوصيات الكفيلة بمعالجة الوضع. منها: مؤتمر إحياء رسالة المسجد، المنعقد في ١٥ رمضان ١٣٩٥هـ ـ ٢٠ سبتمبر ١٩٧٥م بمكة المكرمة. انظر: مجلة البحوث الإسلامية، المجلد الأول، العدد الثاني/ ٤٣٨.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، الرياض، المجلد الأول، العدد الثاني/ ٤٤٨.

ثالثاً: المدرسة:

المدرسة عامل اجتماعي مؤثر يحتضن الطفل في مرحلتي التمييز والمراهقة فيكمل دور الأسرة في التربية والتثقيف، ويشارك العوامل الاجتماعية الأخرىٰ في عمليتي البناء الثقافي والتكوين الفكري بشكل منظم ومدروس، يتلاءم مع طبيعة نمو الطفل واستعداده الفكري، ويؤدي دوراً مخصوصاً في نقل ثقافة المجتمع إلىٰ الناشئة وغرسها في نفوسهم وترسيخ مفاهيمها في أذهانهم وصياغة شخصياتهم وفق تصورها ونظرتها.

والمدرسة بوصفها عاملاً من عوامل التأثير الثقافي ليست بدعاً علىٰ المجتمع الإسلامي، فإن تاريخ التربية الإسلامية يزخر بأدلة الأصالة الثقافية التي حظي بها الطفل المسلم منذ عصر الإسلام الأول بدءاً بحِلَق العلم ومجالس العلماء التي اندس فيها عدد من أطفال الصحابة مثل عبد الله عبد بن عمر وعبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهم ـ. فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**أخبروني بشجرة تشبه، أو: كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا، ولا، ولا، تؤتي أكلها كل حين؟**». قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم[1]، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: «**هي النخلة**» فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة، فقال: ما منعك أن تكلم، قال: لم أركم تكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً. قال عمر: (**لأن تكون قلتها، أحب إليَّ من كذا وكذا**)[2].

---

(١) وذلك من باب توقير ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ لكبار الصحابة، وتقديم أبيه في القول. انظر: فتح الباري ١/ ١٤٧، وكان رضي الله عنه من فتيان المدينة، ولد سنة ثلاث من المبعث وهاجر ابن عشر سنين جزم بذلك الزبير بن بكار. تقدمت ترجمته/ ٤٧. انظر: الإصابة لابن حجر ٦/ ١٦٧.

(٢) متفق عليه: البخاري ٤/ ١٧٣٥ رقم ٤٤٢١ تفسير القرآن، باب: ١٨٨. ومسلم ٤/ ٢١٦٤ ـ ٢١٦٦ رقم ٢٨١١، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: مثل المؤمن مثل النخلة.

وروي أن عمرو بن العاص وقف على حلقة من قريش فقال: **(ما لكم قد طرحتم هذه الأغيلمة؟ لا تفعلوا، أوسعوا لهم في المجلس، وأسمعوهم الحديث، وأفهموهم إياه، فإنهم صغار قوم أوشك أن يكونوا كبار قوم، وقد كنتم صغار قوم فأنتم اليوم كبار قوم)**[١].

وإلى جانب هذه المشاركة التي حظي بها الطفل في حلق الكبار فإنه اختصّ بنوع من التعليم يناسب سنه وحاجته العلمية أطلق عليه قديماً الكتاتيب[٢] يعود تاريخ نشأتها إلى الصدر الأول من عصور الإسلام يدلّ له الأثر الذي ترجم به البخاري لأحد أبواب صحيحه بقوله: (باب من استعان عبداً أو صبياً ويذكر أن أم سلمة[٣] بعثت إلى معلم الكتّاب ابعث إليَّ غلماناً ينفشون صوفاً ولا تبعث إليَّ حراً)[٤]. وروى البخاري في أدبه عن عنبسة[٥] قال: (رأيت ابن عمر يسلم على الصبيان في الكتَّاب)[٦]. وكانت الكتاتيب ملحقة بالمساجد، ولعل بدء استقلالها عن المسجد حدث في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين كثرت الفتوحات وأسلمت الأعاجم وأهل البوادي وكثر الولدان مما دعا بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن يأمر ببناء المكاتب ونصب الرجال

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في كتابه شرف أصحاب الحديث، تحقيق: د. محمد سعيد أوغلي/ ٦٥.

(٢) الكتاتيب: جمع مفرده الكتّاب. وهو موضع تعليم الصبيان، وقال المبرد: الكتاب الصبيان ومن جعله لموضع الكتَّاب فقد أخطأ. انظر: لسان العرب لابن منظور ٥/ ٣٨١٧.

(٣) هي أم المؤمنين القرشية المخزومية، اسمها هند أسلمت قديماً، وهاجرت إلى الحبشة، توفيت سنة ٥٩هـ. انظر: الإصابة لابن حجر ١٣/ ٢٢١ رقم ١٣٠٤.

(٤) صحيح البخاري ٦/ ٢٥٣٢ كتاب الديات، باب: ٢٦، وقد وصل الثوري هذا الأثر في جامعه، عبد الرزاق في تصنيفه عنه عن محمد بن المنكدر عن أم سلمة. كأنه منقطع بين ابن المنكدر وأم سلمة، لذلك لم يجزم به البخاري. انظر: فتح الباري لابن حجر ١٢/ ٢٥٣.

(٥) هو: عنبسة بن عمار الدوسي، ويقال له: القرشي، حجازي، قدم الكوفة. ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٨/ ١٦٢ رقم ٢٨٩.

(٦) الأدب المفرد بتوضيح فضل الله الصمد، فضل الله الجيلاني ٢/ ٤٨٩.

لتعليم الصبيان وتأديبهم [١] ، وعلىٰ هذه السنة جرىٰ عمل المسلمين في الأمصار فكثرت الكتاتيب وانتشر التعليم .

ويرىٰ الأستاذ أحمد شلبي أن الكتاتيب كانت تنقسم في وظيفتها إلىٰ قسمين :

الأول : يعني بتعليم القراءة والكتابة . **والثاني** : يعني بتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي . واستشهد لذلك بعدة أدلة [٢] منها : ما ذكره أبو بكر ابن العربي حيث يقول : (وللقوم في التعليم سيرة بديعة وهي أن الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلىٰ المكتب فيتعلم الخط والحساب والدين ، فإذا حذقه كله أو حذق منه ما قُدّر له خرج إلىٰ المقرئ فلقنه كتاب الله ، فحفظ من كل يوم ربع حزب أو نصفه أو حزباً) [٣] .

واستمر تعليم الأطفال في عصور الإسلام الماضية علىٰ هذا النمط من التعليم حيث كانت الكتاتيب تستقبل الأطفال عامتهم ، ويقوم عليها جماعة ممن احترفوا التعليم علىٰ اختلاف في مستواهم العلمي والثقافي [٤] ، وقد رافق هذا الأسلوب من التعليم نوع آخر خصّ أولاد الخلفاء والأعيان في قصورهم وامتاز عن الكتاتيب بسعة ثقافة من يقوم به من المؤدبين وغزارة علمهم ، يختارهم الخلفاء والأعيان لتأديب أولادهم من بين سائر المعلمين وقد حفظت كتب الأدب جملة

(١) انظر : نظام الحكومة النبوية الموسوم بالتراتيب الإدارية ، للعلامة عبد الحي الكتاني ٢/ ٢٩٣ .
(٢) انظر : تاريخ التربية الإسلامية ـ نظمها ـ فلسفتها ـ تاريخها / ٤٦ ـ ٤٨ .
(٣) أحكام القرآن ٤/ ١٨٨٣ .
(٤) دافع الجاحظ في كتابه البيان والتبيين / ١٣٨ ، عما رمىٰ به المعلمون من حمق وغباء وضحالة علم يقول : (فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل علي بن حمزة الكسائي ومحمد بن المستنير الذي يقال : قطرب وأشباه هؤلاء يقال لهم : حمقىٰ؟ ولا يجوز هذا القول علىٰ هؤلاء ولا علىٰ الطبقة التي دونهم ، فإن ذهبوا إلىٰ معلمي كتاتيب القرىٰ فإن لكل قوم حاشية وسفلة فما هم في ذلك إلا كغيرهم ، وكيف تقول مثل ذلك في هؤلاء ، وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء مثل الكميت ابن زيد ، وعبد الحميد الكاتب ، وقيس بن سعد ، وعطاء بن أبي رباح) .

من وصايا هؤلاء الخلفاء والأعيان لمؤدبي أولادهم، فوقف الباحث على طبيعة التعليم في هذه العصور، وحرص هؤلاء الخلفاء والأعيان على تعليم أولادهم مبادئ الإسلام وتأديبهم على خصاله الكريمة وأخلاقه النبيلة، وترسم له صورة التثقيف الذي كان يتلقاه الطفل في هذه العصور أسوق اثنتين منها للدلالة على ذلك:

الأولى: وصيّة هشام [١] بن عبد الملك: (... إن أول ما آمرك به أن تأخذه بكتاب الله وتقرئه في كل يوم عشراً يحفظه حفظ رجل يريد التكسب به، ثم روه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب فخذ من صالح شعرهم هجاءً ومديحاً، وبصّره طرفاً من الحلال والحرام والخطب والمغازي، ثم أجلسه كل يوم للناس ليتذكر)[٢].

والأخرى: وصية عتبة بن أبي سفيان[٣]: (ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنيّ إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلّمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه فيملّوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مَضَلَّةٌ للفهم...)[٤].

ومع توسع التعليم وانتشاره في المدن والقرى، وازدياد عدد التلاميذ وكثرة

---

(١) هو: أبو الوليد الخليفة الأموي، كان حسن السياسة، يقظاً في أمره، توفي بالرصافة سنة ١٢٥هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير/ ٣٥١، والأعلام للزركلي ٨/ ٨٦.

(٢) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ١/ ٥٣.

(٣) أخو معاوية بن أبي سفيان لأبويه، قيل: ولاه عمر الطائف، ووليها في عهد أخيه، وحج بالناس سنة ٤١هـ. مات بالإسكندرية. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ١٦، والإصابة لابن حجر ٧/ ٢٢٨.

(٤) البيان والتبيين للجاحظ/ ٢٤٩، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ١/ ٥٣.

العلوم، وازدحام دور العلم بالتلاميذ ، وبطلاب العلم حيث حفلت كثير من المساجد أو الكتاتيب العديد من حلقات التعليم تكون جو من الضجيج حال دون أداء عملية التعليم على الوجه المطلوب، وفوّت على التلاميذ الفهم . مما سوغ للقائمين على التعليم في تلك العصور أن ينشئوا أماكن أخرى ذات بناء ونظام يتلاءم مع عملية التعليم والتربية المستجدة ويتفادى الظروف السابقة ، فكانت المدرسة النظامية ببغداد أول مدرسة عرفها العالم الإسلامي بدأ التعليم فيها سنة سبع وخمسين بعد الأربعمائة[1] من الهجرة، ثم ما لبثت الفكرة أن انتشرت في أصقاع العالم الإسلامي وتحملت المدرسة بصفة خاصة وظيفة تعليم الناشئة القراءة والكتابة وتلقينهم مبادئ دينهم القويم، والتعليم في الإسلام فرض على كل مسلم؛ لحديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[2] ، والطفولة هي مرحلة التأسيس العلمي والبناء الثقافي، فالتعليم حق من حقوق الطفل على والديه . قال البيهقي[3] : حقوق الأولاد والأهلين، وهي قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه إياهم من أمور دينهم، ما يحتاجون إليه ؛ لقوله تعالى : ﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[4]، قال الحسن: (أي : مروهم بطاعة الله وعلّموهم الخير) وقال علي: (علموهم : أدبوهم)[5] ، ويصرح الإمام أبو الحسن القابسي[6]، بوجوب

---

(١) تاريخ دولة آل سلجوق، للإمام محمد بن محمد الأصفهاني/ ٣٥ .

(٢) رواه ابن ماجه وابن عبد البر : ابن ماجه ١/ ٨١ رقم ٢٢٤ في المقدمة، وفي إسناده حفص بن سليمان : ضعيف ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم من عدة طرق / ٢٦ ـ ٣٠ صحح بعضها السيوطي في جامعه الصغير . انظر : فيض القدير ٤/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

(٣) هو : أحمد بن الحسين بن علي صاحب التصانيف ، بلغت زهاء ألف جزء ، منها : السنن الكبرى، وشعب الإيمان . انظر : تذكرة الحفاظ لذهبي ٣/ ١٣٢ رقم ١٠١٤ ، والأعلام للزركلي ١/ ١١٦ .

(٤) التحريم : ٦ .

(٥) مختصر شعب الإيمان ، لأبي جعفر القزويني/ ٢٠٥ .

(٦) هو : علي بن محمد المعاطري القروي الفقيه المالكي ، إمام في الحديث، ولد سنة ٣٢٤هـ ، =

تعليم الأولاد فيقول: (وقد أمر المسلمون أن يعلموا أولادهم الصلاة والوضوء لها ويدربوهم عليها ويؤدبوهم بها ليسكنوا إليها ويألفوها فتخف عليهم إذا انتهوا إلى وجوبها عليهم، وهم لا بد لهم إذا علموهم الصلاة أن يعلموهم القرآن ويأتوهم بالمعلمين ويجتهدوا في ذلك، وهذا مما لا يمتنع منه والد لولده وهو يجد سبيلاً إلا مداركة شح نفسه فلذلك لا حجة له...)[1].

وبهذا يتضح أن الإسلام أناط بالمدرسة مسئولية تعليم الأجيال الناشئة وتثقيفهم ثقافة الإسلام الأصيلة.

ويمكن تحديد وظيفة المدرسة الثقافية في الأمور التالية:

١ ـ البناء والتأسيس:

تُعد المدرسة من الوسائل الأولى في بناء عناصر الثقافة الإسلامية، وغرس مبادئها وتأسيس أصولها بالتعليم والتربية والتوجيه في نفوس الناشئة المسلمة، مما يقتضي أن يكون التعليم خاضعاً للثقافة الإسلامية في نظمه وأساليبه ومناهجه وأهدافه، متعاوناً مع وسائل التثقيف في عملية البناء الثقافي والتكوين الفكري، فإن لم يؤد التعليم هذاالواجب كان أداة عاطلة أو معول هدم يرزأ الأمة في مبادئها ورسالتها ومفاهيمها[2].

وإن المؤمل من المدرسة ـ وهي أداة التعليم في المجتمع الإسلامي ـ أن تكمل رسالة الأسرة المسلمة فترسخ عملها، وتسد نقصها، وأن تضطلع بوظيفتها الأساسية تجاه النشء، فتعلمهم أصول المعارف النافعة، ومبادئ الدين الواجبة وأن تسعى إلى تقريب ذلك إلى أفهامهم بالأساليب السهلة والوسائل المحببة،

= وتوفي بالقيروان سنة ٤٠٣هـ. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٣٢٠ رقم ٤٤٦.

(١) الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ملحقة بكتاب التربية في الإسلام، د. أحمد الأهواني/ ٢٨٧.

(٢) انظر: التربية الإسلامية الحرة، لأبي الحسن علي الندوي/ ٧.

وأن تعمل على تنمية طاقاتهم التكوينية وميولهم الخيرة وترقية استعداداتهم نحو الكمال والنضج .

ولا يخفى ما للتعليم الابتدائي ـ بمثابته التعليم الأول ـ من أهمية في صياغة شخصية الطفل المسلم، وبناء ثقافته ، فمنه يأخذ مبادئ علومه، ومنطلقات تفكيره، وأساس ثقافته وذلك يحتم على القائمين على هذا التعليم أن يولوه جل عنايتهم ، وبالغ اهتمامهم ، وأن يغلبوا فيه جانب التأسيس على التكميل ، وأن يجعلوه متجاوباً بصدق مع أهداف التعليم الإسلامي بحيث يكون وسيلة أمينة لغرس أصول الثقافة الإسلامية وتمكينها في نفوس الناشئة، وحبذا لو نهج التعليم الأبتدائي في البلاد الإسلامية اليوم نهج سلفنا الصالح فركز جهوده على تعليم الناشئة لكتاب الله تعالى وعلومه لكونها الأساس لما عداها، فقد ذكر ابن خلدون[١] أن تعلم القرآن ـ وهو شعار الدين ـ أخذ به المسلمون ودرجوا عليه في أمصارهم ، فكان أصلاً لما سواه من العلوم يبني عليه ما يحصل بعد من المعارف، ويعلل ذلك بقوله : (إن تعليم الصغر أشد رسوخاً، وهو أصل لما بعد؛ لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبني عليه)[٢] .

٢ ـ التأصيل والتجديد:

عملية التثقيف تجمع بين الأصيل من الثقافة وما هو جديد منها، فهي تمد الطفل بعناصر ثقافة مجتمعه التي تعد حصيلة متراكمة من القديم والحديث، فالمدرسة أداة متخصصة في التربية والتعليم تلي الأسرة مباشرة في عملية نقل التراث[٣] الثقافي إلى الناشئة ، وبهذه الوظيفة تحتل المدرسة مكانة مرموقة في

---

(١) هو : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي، توفي سنة ٨٠٨هـ . انظر : الضوء اللامع للسخاوي ٤/ ١٤٥، الأعلام للزركلي ٣/ ٣٣٠.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣/ ١٢٤٩ .

(٣) انظر : مقدمة في التربية ، د. محمود السيد سلطان/ ١٠٢ .

استمرار ثقافة المجتمع الإسلامي وتجديدها، ذلك أن كل جيل لا بد وأن يدرك ثقافة أجداده ليواصل سيره على هدي ما نقلوه من تعاليم هذا الدين وتشريعه، كما لا بد له من أن ينتفع بما وصلت إليه المدنية الحديثة من علوم مفيدة، ومعارف مثمرة لا يستطيع إدراكها مكدسة غامضة(١) .

وتصبح المدرسة في المجتمع الإسلامي حلقة وصل بين الأصيل من الثقافة الإسلامية والجديد منها، وأداة إعداد للناشئة ليعيشوا في الحاضر مقبلين على كل جديد نافع بمبادئ الإسلام الثابتة ومعطيات فكره النقيّة.

٣ ـ التنقية والاختيار:

يصيب بعض عناصر الثقافة الإسلامية أثناء مرورها على عقول أجيال متعاقبة من الناس والمجتمعات شيء من التغير (٢) في حقائقها، أو القصور في مفاهيمها، أو الجمود في معطياتها، وهو أمر طبيعي تصاب به كل ثقافة حيَّة من ثقافات الأمم، إلا أن الثقافة الإسلامية لما تتصف به من صفات الربانية في مصادرها، والثبات والمرونة في طبيعتها، تمتلك قوة ذاتية من المقاومة، تتمكن بها من العودة إلى أصالتها والانتفاع بالجديد دون أن تفقد شيئاً من عناصرها، أو يتأثر شيء من ملامح شخصيتها، مما يتوجب على المدرسة ـ وهي أداة تأثير ثقافي ـ أن تنهض بمسئوليتها في الحرص على نقاء عناصر الثقافة الإسلامية التي ترغب في تقديمها إلى الأطفال، وتصفيتها مما عَلُقَ بها من أكدار الفكر الموروث، وأوضار الفكر الوافد لتعارضها مع نقاء الثقافة الإسلامية وصفائها، وذلك حفظاً لفطرة هؤلاء الناشئة من التبدل أو الضعف، وصيانة للثقافة الإسلامية من التغير أو

(١) انظر: أصول التربية الأصول الثقافية للتربية، د. محمد الهادي عفيفي/ ١٩، وقد سبق ابن خلدون في تقرير أن العلم والتعليم طبعيان في العمران البشري، وأنه لا تستقيم حياة الفرد إلا بهما للوقوف على ما حصل عليه الفكر الإنساني من معارف وتجارب وما أفادته الإنسانية من رسالات الأنبياء وآراء المفكرين، المقدمة/ ١٠١٨.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، عبد الرحمن النحلاوي/ ١٣٧.

الاندثار، وعليها في الوقت نفسه أن تكون أداة أمينة في اختيار الأفكار والخبرات الجديدة التي يحتاج إليها الإنسان في حياته المعاصرة على أساس معايير الثقافة الإسلامية[١] وتطلعاتها المستقبلية.

وعملية التنقية والاختيار تتطلب جهوداً متواصلة، ودراسة ثاقبة لإدراك تراث الماضي واللحاق بخبرات المستقبل، ويستلزم أيضاً أن يقوم بها علماء متخصصون ذوو كفاءة عالية، وقدرة فاحصة في غربلة الأفكار والتخلص من شوائبها وإعادتها إلى صفائها ونقائها.

وحتى تتمكن المدرسة من أداء دورها الثقافي، لا بد من أن تتوفر فيها الشروط التالية:

١ ـ صياغة أهدافها وخطتها التعليمية بما يتوافق مع أهداف التعليم في الإسلام لتتمكن من تنشئة الأجيال وصياغتهم ثقافياً وفق رضا الله تعالى وهداه.

٢ ـ بناء الطرق التربوية على أسس علمية تتلاءم مع طبيعة الطفل ونظرة الإسلام إليه كلاً متكاملاً بحيث تتمكن من تنمية طاقات الطفل والرقي بميوله الخيرة والنهوض بمواهبه الكامنة.

٣ ـ بناء المناهج على صورة يتحقق بها هدف التعليم الإسلامي وتتوافق مع محتوى الثقافة الإسلامية بعد تيسيرها للنزول بها إلى مستوى الطفل على أيدي مختصين تربويين[٢].

٤ ـ انتقاء المعلمين التربويين الأكفّاء، الذين يحملون رسالة التعليم الإسلامي فكراً وسلوكاً ويؤدونها عن رغبة ومحبة بحيث تتوفر فيهم صفات القدوة

---

(١) انظر: المقدمة في التربية، د. محمود السيد سلطان/ ١٠٢.
(٢) انظر: المقدمة في التربية، د. محمود السيد سلطان/ ١٠٢.

الحسنة ذات التأثير الفكري.

ويجدر بنا بعد أن تعرفنا على دور المدرسة الثقافي تجاه الناشئة أن نتعرف على دورها المتقهقر في عصور الضعف الضمور التي عاشتها الأمة الإسلامية في القرون الثلاثة الماضية حين ضعف المسلمون وانكمش تأثيرهم الفكري ودبّ في كيانهم الفتور والهوان فغابت قيادتهم للعالم وتسلط عليهم عدوهم، فتحكم في وسائل التأثير الثقافي وحاول استغلالها لمصلحته فكان التعليم أحد الوسائل الأولى التي سخّرها لمحاربة الثقافة الإسلامية ولنشر فكره، ظهر ذلك واضحاً أيام الاحتلال الذي تعرضت له البلاد الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى.

ويمكن تصوير واقع المدرسة الثقافي المتقهقر في ثلاث مراحل:

١ ـ مرحلة الجمود والقصور:

وهي المرحلة الزمنية التي سبقت وصول الاستعمار بجيوشه إلى البلاد الإسلامية فقد انتشرت الأمية وقلّ عدد دور العلم وانكمش نشاط القائم منها، وتضاءل دورها الثقافي مقتصراً على تعليم الناشئة الكتابة والقراءة وبعض مبادئ الدين اليسيرة إلا ما ندر في العواصم الكبرى، وفي هذه الظروف فتحت مدارس التنصير في بعض البلاد الإسلامية أبوابها لتعليم أولاد المسلمين وعلى الخصوص في الشام ومصر، فكانت هذه المدارس توطئة للمرحلة التالية.

٢ ـ مرحلة التبعية الثقافية:

مهدت لهذه المرحلة مدارس التنصير التي انتشرت في كثير من العواصم الإسلامية ووطد لها انبهار كثير من المسلمين وإعجابهم بما وصلت إليه الحضارة الغربية من تقدم مادي لدى كثير من المسلمين مما يسّر للمستعمر مهمته في تغريب ناشئة المسلمين حين ألقى بثقله في البلاد الإسلامية، وسيطر على قطاع التعليم عموماً إلا ما ندر.

وبهذا يكون الطفل المسلم قد تعرض لنوعين من الغزو التعليمي :

الأول: عن طريق مدارس التنصير التي كانت تلقن أطفال المسلمين مبادئ النصرانية وتعاليمها ، يقول (هـ. دانتي) في كتابه عن مؤتمر المبشرين المنعقد في القدس سنة ١٩٣٥م : (كان التعليم وسيلة قيّمة إلىٰ طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية والعبادة المسيحية في نفوس الطلاب).

والآخر: عن طريق مدارس الاحتلال التي سارت في ركب سياسة المستعمر وسيطرت علىٰ القاعدة العريضة من أطفال العالم الإسلامي ، واستهدفت مسخ شخصيتهم الإسلامية وقطع صلتهم بها ، وسلكت في سبيل ذلك كل وسائل التضليل والتغريب والتشويه للثقافة الإسلامية وحضارتها ، وغرست في نفوسهم الاستخفاف بها والنفرة منها[١] وتبعاً لهذا فقد صاغ المستعمرون الخطط التعليمية والمناهج الدراسية لتأكيد احترام فكرهم وحضارتهم وإجلال مفكريهم وقادتهم في نفوس المتعلمين[٢] .

٣ ـ مرحلة الازدواجية الفكرية :

بعد رحيل المستعمر من البلاد الإسلامية واشتياق المسلمين إلىٰ عودة علوم الإسلام الشرعية إلىٰ المدرسة نشأت الازدواجية في التعليم حين أحدث نوع من التعديل علىٰ خطط التعليم تمثل في إدخال تعليم المواد الشرعية في حين بقيت المناهج الأخرىٰ علىٰ ما كانت عليه أيام الاستعمار أو أعيد صياغتها من جديد فنقلت مادتها من مصادر الفكر الغربي مما أدّىٰ إلىٰ تصادم الفكرين وفقدان الوحدة الثقافية في المناهج الدراسية وتسبب في خلق نوع من الاضطراب الفكري والتناقض الثقافي ، والانهزام النفسي لدىٰ الناشئة فكانت خسارة الأمة في هذا النظام المتناقض أكبر من ربحها وأصبح الجيل الذي صنعته علىٰ عينها كلاً علىٰ

(١) انظر : الغزو الفكري ، د. عبد الستار / ٦٨ ـ ٧٠.
(٢) انظر : الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر ، د. علي عبد الحليم محمود/ ١٢٨ .

الآباء وعلى الأمة ونقطة ضعف في كيانها ومركزها .

ذلك أن التعليم في كل أمة مثل اللباس يفصّل على قامتها وطبيعة ثقافتها وأهدافها التي تعيش لها، لباس يجب أن ينسجم مع فكرها وتصوراتها ومع تراثها.

والأمة الإسلامية بما تتصف به من طبيعة خاصة ، وتصور منفرد ، ورسالة متميزة تحتم أن تكون التعليم فيها متوافقاً مع طبيعتها خاضعاً في مناهجه الدراسية ووسائله التربوية لمبادئها وأهدافها، ومتناولاً ما تحتاجه من علوم ذات صبغة أجنبية في صياغة جديدة وفق حاجتنا ، مفرغة في قالبنا ، ومنقاة مما خالطها من عوامل لإلحاد والإفساد لنأخذها صافي مهذبة منقحة بل نطعمها بالإيمان بالله تعالى، ونجعلها وسيلة للعلم والحكمة وسبيلاً إلى الإيمان والمعرفة[١] .

وفي نطاق تدراك وضع المدرسة في العالم الإسلامي، وإحياء رسالتها الثقافية تجاه الناشئة، توالت صيحات المفكرين الغيورين تدعو إلى وضع نظام تعليمي ينطلق من ثقافة الإسلام وتصوراتها ، ذاتي الفكرة والصياغة يجمع بين الأصالة النقية، والمعاصرة النافعة، من بينها دعوة الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي إذ يقول : (والحاصل أننا في البلاد الإسلامية في حاجة ملحّة إلى نظام تعليمي إسلامي في الروح والوضع والسبك والترتيب. . . ـ هذا إذا أردنا أن ينشأ جيل جديد يفكر بالعقل الإسلامي، ويكتب بقلم مسلم، ويدير دفّة البلاد بسيرة المسلم وخلقه، ويدير سياسة التعليم والمالية بمقدرة مسلم وبصيرة مسلم، وتكون البلاد الإسلامية إسلامية حقًا في عقلها وتفكيرها وسياستها وماليتها وتعليمها[٢] .

ولقد لقيت هذه الدعوات استجابة من الهيئات التعليمية العليا في العالم

---

(١) انظر : التربية الإسلامية الحرة، أبو الحسن علي الندوي/ ٧٠ ـ ٧٣.

(٢) التربية الإسلامية الحرة/ ١١ .

الإسلامي فأوصت بإنشاء المركز العالمي للتعليم الإسلامي ليتبع منظمة المؤتمر الإسلامي بناء على قرار مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في رجب ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م[1] وربط به دراسة وضع التعليم في البلاد الإسلامية والنهوض بمستواه ، وقد عقد المركز أربعة مؤتمرات تعليمية ناقشت بعض قضايا التعليم في البلاد الإسلامية ، وخرجت بتوصيات مهمة أذكر منها : توصية المؤتمر الأول المنعقدة في الفترة من ١٢ ـ ٢٠/ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م بضرورة قيام نظام التعليم في البلاد الإسلامية على أساس التصور الإسلامي ، وأنه (لا يجوز أن تتخذ فلسفة أو سياسة تعليمية وتربوية مبنية على تصور مغاير للتصور الإسلامي ، وهو ما يحدث الآن حيث الأخذ بالنظم غير الإسلامية ؛ لأنها في النهاية تصادم التصور الإسلامي وتناقضه ، وفي الوقت ذاته فإن للإسلام تصوراً عاما وشاملاً تنبثق منه فلسفة تعليمية وتربوية قائمة بذاتها ومتميزة عن غيرها)[2] .

فهذه النشاطات المعالجة لوضع التعليم في البلاد الإسلامية تمنح الأمة الإسلامية الأمل في عودة صادقة وشاملة إلى الإسلام في نظام التعليم على مستوياته المختلفة بدءاً بالتعليم الابتدائي والإعدادي . ولقد شقت هذه النشاطات طريقها ، وشرع في ممارستها في بعض البلاد الإسلامية .

رابعاً: الإعلام:

الإعلام أداة تأثير فكري سريع ، استخدمها الإنسان منذ نزول الرسالات واستخدمها الرسل عليهم السلام في تبليغ ما أنزل إليهم من عقائد وأحكام

---

(١) انفصل المركز العالمي للتعليم الإسلامي عن المنظمة تبعاً لقرار جديد صدر عن المؤتمر الثالث عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية في ذي القعدة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، بناءً على رغبة حكومة المملكة في أن تتبنى الإشراف الكامل على المركز ودعمه ماديًا وإداريًا لتحقيق أهدافه السامية .
انظر : توصيات المؤتمرات التعليمية العالمية الأربعة / ٧ .

(٢) توصيات المؤتمرات التعليمية العالمية الأربعة ، إعداد المركز العالمي للتعليم الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة/ ١٤ .

وتعاليم في دائرة أقوامهم الذين أرسلوا إليهم ، واتسع استخدامها حين اتسعت دائرة الإبلاغ مع بزوغ شمس الإسلام لكونه الدين الخاتم والناسخ لما قبله من شرائع لتعم رسالته العالمين ، قال تعالىٰ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(١) ، وقال تعالىٰ : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾(٢) ، وعن جابر بن عبد الله (٣) ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»(٤) .

فلعالمية الدعوة في الإسلام تعددت وسائل الإعلام والدعوة، وتنوعت طرائقها، وهي ترجع إلىٰ القرآن الكريم والحديث النبوي اللذين يعدان مصدري الإعلام ومادته الأساسية وكانت خطب النبي ﷺ ورسائله التي بعثها إلىٰ الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلىٰ الإسلام ورسائله إلىٰ عماله يوجههم ويعلمهم فيها أحكام الإسلام، والشعر، من أبرز وسائل الإعلام في عهد النبي ﷺ ، وكان لهذه الوسائل تأثير فكري قوي في نفوس سامعيها يحملهم علىٰ الاستجابة للمؤثر لارتباطها بقوة الإسلام العلمية وهيمنته الفكرية وتأثيره العاطفي. وكلها أمور تدعو إلىٰ طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ .

والأمة الإسلامية أمة دعوة وبلاغ، قال تعالىٰ : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(٥) ، وقال تعالىٰ مثنياً علىٰ من تحمّل

---

(١) الأعراف : ١٥٨ .

(٢) الأنعام : ١٩ .

(٣) الأنصاري السلمي : أحد المكثرين في رواية الحديث، غزا من رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة ، توفي سنة ٧٨هـ. انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ١٠٩ رقم ٢٨٧ ، والإصابة لابن حجر ٢/ ٤٥ رقم ١٠٢٢ .

(٤) متفق عليه : البخاري ١/ ١٢٨ رقم ٣٢٨ كتاب التيمم ، فاتحته . ومسلم ١/ ٣٧٠ رقم ٥٢١ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، فاتحته .

(٥) آل عمران : ١٠٤ .

مهمة البلاغ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[١]. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص[٢] ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**بلِّغوا عني ولو آية**»[٣]، وعن أبي بكرة[٤] ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**فليبلغ الشاهد الغائب فربَّ مبلغ أوعى من سامع**»[٥].

وفي اللغة يتقارب معنىٰ الإعلام مع معنىٰ الدعوة والتعليم، فالدعوة لغة: النداء والإعلام والإبلاغ. والداعية: كل من يدعو الناس إلىٰ بدعة أو دين وأدخلت الهاء فيه للمبالغة[٦]، التعليم والإعلام أصلهما واحد إلا أن الإعلام اختصّ بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختصّ بما يكون بتكرير وتكثير حتىٰ يحصل منه أثر في نفس المتعلم[٧].

والحاصل أن مفهوم الإعلام كان تابعاً لوظيفتي الدعوة والتعليم، فالجميع يشترك في الدلالة علىٰ هدىً أو ضلالة مما يقع تأثيره في نفس المتلقي، واستغلّ هذا المفهوم اليوم بعد ظهور عدد من الوسائل ذي وظيفة إعلامية أنتجه التقدم الصناعي الحديث مثل المذياع والمرئي ودور النشر، وأصبح هذا المفهوم عند إطلاقه يختص بها ويدل عليها بالأولىٰ.

وإذا كنا بصدد بيان تأثير وسائل الإعلام في تثقيف الناشئة فإن الطفل المسلم

---

(١) الأحزاب: ٣٩.

(٢) من فضلاء الصحاة وعبادهم وحفّاظهم لحديث رسول الله ﷺ، قيل: مات في ولاية يزيد بن معاوية. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٦/ ٣٣٨ رقم ١٦١٨، والإصابة لابن حجر ٦/ ١٧٦ رقم ٤٨٣٨.

(٣) رواه البخاري ٣/ ١٢٧٥ رقم ٣٢٧٤ كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل.

(٤) نفيع بن الحارث، ويقال: ابن مسروح، وبه جزم ابن سعد، من فضلاء الصحابة، سكن البصرة. انظر: الإصابة لابن حجر ١٠/ ١٨٣ رقم ٨٧٩٤.

(٥) رواه البخاري ٢/ ٦٢٠ رقم ١٦٥٤ كتاب الحج، باب: الخطبة أيام منىٰ.

(٦) انظر: لسان العرب، لابن منظور ٢/ ١٣٨٦.

(٧) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني/ ٣٤٣.

انتفع في عصور الإسلام الأولى بمصدري الإعلام: القرآن والسنة والنبوية وتأثر بهما عبر وسائل الإعلام، وقد تمثّل الانتفاع والتأثر فيما يلي:

١ ـ القرآن الكريم:

يُعد مصدراً إعلامياً مؤثراً؛ لما يتمتع به كتاب الله من إعجاز وإحكام وتأثير بلاغي يقنع العقول، ويأخذ بمجامع القلوب، وهو المصدر الأول في تثقيف الطفل المسلم درج عليه المسلمون في جميع أمصارهم ليكون أصلاً لما يبنى عليه من علوم[1] ومعارف وخبرات، ووسيلة في بناء ثقافة الطفل المسلم وتكوين شخصيته القيادية. فعن عمرو بن سلمة [2] ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا بحاضر يمر بنا الناس إذا أتوا النبي ﷺ فكانوا إذا رجعوا مروا بنا فأخبرونا أن رسول الله ﷺ قال: «**كذا وكنت غلاماً حافظاً**» فحفظت من ذلك قرآناً كثيراً فانطلق أبي وافداً إلى النبي ﷺ في نفر من قومه فعلمهم الصلاة وقال: «**يؤمكم أقرؤكم**». وكنت أقرأهم لما كنت أحفظ فقدموني فكنت أؤمهم...»[3].

ولتأثير القرآن الكريم في النفوس دعا رسول الله ﷺ لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بتعلم القرآن وفقه أحكامه، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «ضمني رسول الله ﷺ وقال: «**اللهم علمه الكتاب**»[4]. قال ابن حجر العسقلاني: (المراد بالتعليم: ما هو أعم من حفظه والتفهم منه)[5].

٢ ـ الحديث النبوي:

وهو مادة إعلامية مؤثرة في بناء ثقافة المجتمع والأفراد أحيطت بأسباب

---

(١) تقدم ذلك في كلام ابن خلدون/ ١٧٦.

(٢) عمرو بن سلمة ـ بكسر اللام ـ الجرمي، يكنى أبا يزيد. انظر: الإصابة لابن حجر ٧/ ١١٦.

(٣) رواه البخاري وأبو داود: البخاري ٤/ ١٥٦٤ رقم ٤٠٥١، كتاب المغازي، باب: شهد الفتح. وأبو داود ١/ ١٥٩ رقم ٥٨٥، كتاب الصلاة، باب: من أحق بالإمامة؟.

(٤) رواه البخاري ١/ ٤١ رقم ٧٥ كتاب العلم، باب: قول النبي ﷺ: «اللهم علمه الكتاب».

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١/ ١٧٠.

الحفظ من الضياع والكذب على رسول الله ﷺ وبضوابط التوثيق لرواتها. ولقد تأثر بها الطفل المسلم فوعاها وعمل بمقتضاها، فعن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «**دع ما يَريبك إلا ما لا يُريبك**»[(١)] وشارك في روايتها ونقلها إلى الأمة فتقبلها جمهور العلماء عنه، وحفظت الكتب مروياته من هؤلاء صغار الصحابة في زمن رسول الله ﷺ مثل الحسن[(٢)] ابن علي، وعبد الله[(٣)] بن عباس، وسهل[(٤)] بن سعد الساعدي، ومسلمة[(٥)] ابن مخلد، وعمر[(٦)] بن أبي سلمة، ومحمود[(٧)] بن الربيع وغيرهم[(٨)]، ويدلُّ على حرص هذا النشء من صحابة رسول الله ﷺ على حفظ السنَّة وتبليغها ما رواه سمرة بن جندب[(٩)] - رضي الله عنه - قال: (لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالاً هم أسن مني)[(١٠)].

---

(١) رواه الترمذي ٤/ ٧٧ رقم ٢٦٣٧، أبواب: صفة القيامة، باب: ٢٢، وقال: حديث صحيح.

(٢) ولد رضي الله عنه في منتصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة خمس، والأول أثبت. وقد تقدمت ترجمته/ ١٤٦. انظر: الإصابة لابن حجر ٢/ ٢٤٢.

(٣) ولد رضي الله عنه وبنو هاشم بالشعب، قبل الهجرة بثلاث، وقيل: بخمس، والأول أثبت. تقدمت ترجمته/ ٢٠. انظر: الإصابة لابن حجر/ ١٣٠ رقم ٤٧٧٢.

(٤) سهل بن سعد بن مالك الأنصاري الساعدي، قال الزهري: مات النبي ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة. انظر: الإصابة لابن حجر ٤/ ٢٧٥ رقم ٣٥٢٦.

(٥) مسلمة بن مخلد بن الصامت الأنصاري الخزرجي، قال: ولدت حين قدم النبي ﷺ. انظر: الإصابة لابن حجر ٩/ ٢٠٢ رقم ٧٩٨٤.

(٦) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد ربيب النبي ﷺ، أمه أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها، ولد بالحبشة في السنة الثانية. انظر: الإصابة لابن حجر ٧/ ٧٧ رقم ٥٧٣٥.

(٧) محمود بن الربيع بن سراقة الأنصاري الخزرجي، قال: توفي النبي ﷺ وأنا ابن خمس سنين. انظر: الإصابة لابن حجر ٩/ ١٣٦ رقم ٧٨١٢.

(٨) انظر: كتاب الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي/ ١٠٥ - ١١١.

(٩) سمرة بن جندب بن هلال الغزاوي، يكنى أبا سليمان، نزل البصرة، مات سنة ثمان وخمسين. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ٥٦ رقم ١٠٦٣، الإصابة لابن حجر ٤/ ٢٥٧ رقم ٣٤٦٨.

(١٠) رواه مسلم ٢/ ٦٦٤ رقم ٩٦٤ كتاب الجنائز، باب: أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه؟

٣ ـ الخطبة:

وهي من وسائل التأثير الثقافي العام وأداة من أدوات النشر لها أهمية بالغة في الإقناع واستثارة العواطف، وقد نظم الإسلام هذه الوسيلة وأوجب تكرارها في الشعائر العبادية مثل الجمعة والعيدين، والطفل المسلم أحد المنتفعين بما يرد في محتواها من توجيهات ونصائح وما تشتمل عليه من عرض سريع لمبادئ الدين وتعاليمه فيتأثر بها ويزداد عمقاً ويقيناً.

٤ ـ القصص والمغازي:

وهما من الوسائل المحببة إلى الطفل لما يجد فيهما من إشباع لخياله وتجاوب مع رغبته في الانتقال من واقعه القريب إلى ما هو أوسع منه وأرحب وهما ذواتا تأثر سريع في بناء شخصيته وتكوينه الفكري عن طريق الاستهواء والمحاكاة والتقمص لشخصيات الآخرين مما يقتضي أن تكون القصة أو الحكاية ذات هدف نبيل، وعناصر موضوعية صادقة يؤهلانها للمشاركة في بناء ثقافة الطفل المسلم وتكوين شخصيته، والأدب والتاريخ الإسلاميان مليئان بالقصص والسير ذات الأفكار الهادفة والمواضيع النافعة الزائدة على حاجة الطفل الواقعية فحياة الرسول ﷺ ومغازيه وسراياه ومروياته مصدر ثر في مد الطفل بالقصة النافعة والمؤثرة، ولقد كانت شخصية الرسول ﷺ وجوانب سلوكها المضيء موضوع تثقيف أطفال سلفنا الصالح، فعن إسماعيل بن محمد بن سعد[1] قال: (كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدها علينا، وسراياه. ويقول: يا بني: هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها). وقال علي بن الحسين[2]: (كنا نُعلّم مغازي النبي

---

(١) حفيد سعد بن أبي وقاص الزهري، مدني، ثقة، حجّة. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ١/ ٧٣ رقم ٥٤٧.

(٢) حفيد علي بن أبي طالب، زين العابدين، مدني، ثقة، عابد، فقيه. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ٢/ ٣٥ رقم ٣٢١.

ﷺ كما نُعلّم السورة من القرآن الكريم)[١] .

٥ ـ الشعر:

وهو وسيلة إعلامية شيّقة تصقل شخصية الطفل، وتعلمه أساليب البيان، وتحفظ لسانه من اللحن، وتذكره بمآثر آبائه حفي بها الخلفاء والأعيان في وصاياتهم لمعلمي أولادهم أن يرووهم من الشعر أعفه، كما في وصيتي هشام بن عبد الملك وعتبة بن أبي سفيان المتقدمتين[٢] .

كانت هذه أهم وسائل الإعلام المؤثرة في بناء ثقافة الطفل المسلم في عصور الإسلام الأولى ، ومع التقدم الصناعي في العصر الحديث ظهرت وسائط إعلامية جديدة كان أولها : اختراع المطبعة عام ١٤٣٦م على يد جوتنبرج[٣] فهيّأت للإعلام عصراً جديداً من الاتساع والانتشار ، وقد دفع التقدم العلمي من زيادة كفاءة وسائل الإعلام وإتقانها حتى أصبح الإعلام أداة تأثير عالمي ووسيلة للغزو الفكري بين الأمم والدول يصل تأثيره إلى كل المجتمعات[٤] بطريق الإلزام فلا يمتلك مجتمع ما العزلة عن بلاغه، ولا الوقاية من أثره ، فقد داهمت وسائله كل بيت وبلغت كل فرد مما أدَّى إلى تفاقم خطرها الفكري وازدياد قدرتها على البناء والتغيير الثقافيين.

ومما يؤسف له أن هذا التقدم الإعلامي حدث في عهود غياب الفكر الإسلامي عن ساحة التأثير الثقافي، حين كانت الأمة تغط في نوم عميق وتعيش حياة الجمود والهوان في أواخر الدولة العثمانية أو حياة التبعية للغرب، إبّان

---

(١) رواهما الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، تحقيق: د. محمد رأفت سعيد ٢/ ٢٥٢ .

(٢) ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٣) طابع ألماني قام باختراع آلة الطباعة عام ١٤٣٦م . انظر: الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٦٥٨ .

(٤) انظر: الإعلام في ضوء الإسلام، د. عمارة نجيب / ٢٧ ـ ٢٩ .

عهود الاستعمار فساعدت هذه الظروف السياسية والاجتماعية على تردّي الوضع الثقافي في البلاد الإسلامية ، ومن ثم كان الإعلام أداة نقل الفكر الأجنبي ، ووسيلة تذويب لشخصية الأمة الإسلامية ، وتضييع لناشئتها ، وتغذيتهم بعناصر الفكر الغربي المارق ، وبعد رحيل المستعمر واتساع قطاع الإعلام في البلاد الإسلامية لم يزد وضع الإعلام على كونه صورة مكررة للإعلام الأجنبي وأداة عرض للفكر الغريب .

ومما يؤسف له أن الإعلام في البلاد الإسلامية لا يزال غريباً على ثقافة الأمة الإسلامية ، وإن ظهرت ممارات واقعية للإعلام الإسلامي النافع ، فإنها قدر ضئيل ، وأثر محدود ، أمام ضجيج الإعلام الوافد ، وصخبه الآثم ، إلا ما شاء ربك ، فهو يحمل إلى أفراد الأمة سموماً خانقة ، لوّثت ما لدى أفرادها من مبادئ ، وشككت شبابها وأطفالها في عقيدتهم ومنهج حياتهم ، وزينت لهم سبل الشيطان ، وأوقعتهم في أحابيله ، ومكنتهم من قراءة القصص الخرافية التي لا يقبلها عقل ولا تنمي فكراً ، والتي تدور حول السحر والشعوذة والأساطير الكاذبة ، أو مشاهدة أفلام الكرتون التي تعتمد قصتها على الصراع والقوة الخارقة المشككة في العقيدة ؛ إذ يرى الطفل أشخاصاً لهم قدرة على إيقاف حركة الكون أو منع الموت وغيره مما يختص به الله تعالى وحده ، بل منها ما هو قائم على أساس الوثنية وتعدد الآلهة كما هو موجود في تراث الإغريق[1] ، أو مشاهدة قصص الخيانة وحوادث العنف والسرقة والقتل وحيل المجرمين ، أو سماع لهو الفاسدين ولفظهم الصاخب ، ولم يقف الإعلام عند هذا الحد ، بل تحول إلى وسيلة تحارب تراث الأمة ومقدراتها الثقافية عن طريق المسلسلات التاريخية المزيفة ، والمغالطة في تاريخ الأمة المجيد ، أو عن طريق المقالات المغرضة التي تثير

(١) انظر : مقال الاهتمام بالطفل السعودي ، مطلب ملح وعاجل . بقلم محمد الحضيف ، جريدة الرياض ١٣/ ٧/ ١٤٠٣هـ ، عدد ٥٤٢٨ .

الشبه والشكوك في نفوس قرائها أو التي تتناول الدعوىٰ إلىٰ قضايا ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، مثل الدعوة إلىٰ الحرية والتقدم[1] وغيرها من وجود الفوضىٰ الإعلامية التي تصادم فكر الإسلام إلا ما عصم ربك :

الأول :

وقع فريسة لفكر الإعلام الوافد فاصطبغت حياته بثقافته، وطرائق تفكيره بفلسفته، فتحققت فيهم أمنية التغريب ، يقول المستشرق الإنجليزي (جب) حين يستعرض أنجح الوسائل لتغريب المسلمين : (وأدعىٰ هضماً للحضارة الغربية حتىٰ تصبح فيهم شيئاً ذاتيا لا مجرد تقليد للغرب)[2] . (وللوصول إلىٰ هذا التطور الأبعد . . . الذي تصبح الأشكال الخارجية بدونه مجرد مظاهر سطحية يجب ألا ينحصر تخطيطنا في الاعتماد علىٰ التعليم في المدارس بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفاً إلىٰ خلق رأي عام والسبيل إلىٰ ذلك هو الاعتماد علىٰ الصحافة) ، ثم يستطرد قائلاً : (إن النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة قد ترك في المسلمين ـ ومن غير وعي منهم ـ أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلىٰ حد بعيد . . . وذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي علىٰ حضارته من آثار)[3] .

الثاني:

تأثر بازدواجية الفكر المتناقض بين عوامل التأثير الثقافي في المجتمع الإسلامي فأنشأت عنده فوضىٰ فكرية واضطراباً في النظرة ، ذلك أن الإعلام أخذ ينقل عناصر ثقافية تتناقض مع ما ينشأ عليه الطفل في أسرته من مبادئ

(١) انظر : الإعلام موقف ، د. محمود محمد سفر / ٥١ ـ ٥٣ .

(٢) انظر : الغزو الفكري، د. عبد الستار سعيد/ ٨٦ .

(٣) نقلاً من الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين ٢/ ٢١٧ .

وسلوك، ومع ما تلقاه في مدرسته من أحكام وتعاليم مما أدَّىٰ إلىٰ خلق حيرة نفسية أوقعته في الهاوية بعد أن أهدرت فكره وشتت هدفه ومزّقت هويته(١) ـ إلىٰ جانب ما يهدمه الإعلام المنحرف ـ مما تبذله الأمة من جهود في تربية ناشئتها وتثقيفهم عن طريق وسائل التربية والتعليم في المجتمع وهذا ما أشارت إليه توصيات مؤتمر التعليم الأول بمكة المكرمة ١٣٩٧هـ إذ رأىٰ المؤتمر (أن الطريقة المثلىٰ لدعم المؤسسات التربوية ومعاونتها في تنشئة الأجيال علىٰ الأسس الإسلامية تطبيقاً كاملاً في شتىٰ مجالات الحياة، وأن وسائل الإعلام بصفة خاصة من أخطر الأدوات التي يمكن أن تعاون المدرسة في مهمتها إذا سار ت علىٰ المنهج الإسلامي، والتي في إمكانها كذلك أن تدمر كل أثر للتربية المدرسية إذا سارت علىٰ منهج مضاد للقيم الإسلامية . لذلك يطلب المؤتمر من القائمين علىٰ وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية عرض برامج ميسرة عن العلوم من المنطلق الإسلامي الذي يربط بين الدين والعلم ويستخدم العلم في تعميق الوجدان الديني، كما يوصي بإيجاد محاولات لإنتاج برامج ثقافية تقوم علىٰ القيم الإسلامية لتحل محل المسرحيات والأفلام الهابطة والصور الخليعة التي تحتل مكاناً بارزاً في البرامج والأفلام في الوقت الحاضر)(٢) .

إن حال الإعلام الحاضر في البلاد الإسلامية يستدعي من رجال الفكر الإسلامي ومن المسئولين عن شئون التثقيف وتربية الأجيال الناشئة أن يتداركوا أوضاعها، وأن يسارعوا في إيقاف خطرها وأن يرسموا لها منهجاً جديداً مستمداً من عقيدة الأمة ومبادئها الثابتة، يحقق للثقافة الإسلامية رسوخاً وانتشاراً ، فالإعلام سلاح ذو حدين تتمكن الأمة الإسلامية وهي تمتلك أقوىٰ المبادئ وأدعاها قبولاً أن تسخره في سبيل بناء مبادئها وترسيخ فكرها ، وفي دعوة غيرها

(١) انظر : أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام ، لمنىٰ حداد يكن/ ٢٩ .
(٢) توصيات المؤتمرات التعليمية الأربع، إعداد المركز العالمي للتعليم الإسلامي/ ٢٠ .

من الأمم إلىٰ الإيمان بهذه المبادئ والاقتناع بهذا الفكر عندها يصبح الإعلام أداة توجيه ووسيلة تثقيف .

ولعل أهم الجوانب التي ينبغي أن يوليها الإعلام اهتمامه ليتحول إلىٰ وسيط من وسائط التثقيف الإسلامي لأفراد الأمة عامة وللناشئة خاصة هي ما حدده د. التهامي نقره في :

١ ـ ما هية الموضوع الذي تناوله الإعلام أو يدعوا إليه من حيث الأهمية والمحتوىٰ والغاية . قال تعالىٰ : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1] ، فلا بد من أن تكون مادة الإعلام ذات أهمية يعود نفعها إلىٰ الأمة بزيادة علم أو توجيه أدبي أو ترويح نفسي ، وأن يكون المحتوىٰ متسماً بالصدق والموضوعية وقوة الحجة ، فالصدق جوهر التأثير ، والموضوعية جوهر الثقة والحجة جوهر الإقناع ، وهي أركان المادة الإعلامية ذات غاية نبيلة تتفق مع غاية الثقافة الإسلامية ؛ لأن المادة الإعلامية إذا فقدت الغاية تجردت عن الإسلام ، ذلك أن شرف الغاية يقتضي شرف الوسيلة فشرف الإعلام بشرف غايته .

٢ ـ الأسلوب الفني والطريقة المختارة في العرض ، قال تعالىٰ : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[2] ، فجمال الأسلوب وحُسْن العرض لهما دور فعّال في جذب الجمهور إلىٰ المشاهدة أو الاستماع أو القراءة ، ولهما أثر في انتفاع المتلقي وتشجيعه علىٰ المتابعة المستمرة مع ملاحظة مستوىٰ المتلقي وطاقة إدراكه .

٣ ـ الجمهور المقصود بالإعلام : عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال :

---

(١) آل عمران : ١٠٤ .

(٢) البقرة : ٨٣ ، ابن كثير في تفسيره : (اي كلموهم طيباً ولينوا لهم جانباً) ١/ ١٢٠ .

«حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذّب الله ورسوله؟»(١) ، وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: **«ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»**(٢) ، فلا بد من أن يُراعىٰ في المادة الإعلامية مستوىٰ الجمهور الذي تقدم إليه، وملاءمتها لحاجاتهم وتطلباتهم، ولا سيما مرحلة الطفولة ذات التطلبات التربوية المتعددة.

٤ ـ النشاط الإعلامي بوجه عام: لا بد أن يصبغ بصبغة الشمول وأن تتنوع مواضيعه وبرامجه، مراعاة لتنوع الميول، ورفعاً للسآمة والملل، كما ينبغي أن تشترك جميع الوسائل الإعلامية الموجودة في المجتمع في تقديم المادة الإعلامية الملائمة لمستوي أفراده.

٥ ـ الطابع المميز لشخصية الأمة (٣) فلا بد من أن يلحظ الإعلام في برامجه ومواده التوافق مع ثقافة الأمة والملائمة مع شخصيتها، وهذا يقتضي:

أ ـ التزام العاملين في قطاعه بتعاليم الإسلام الحنيف فيما ينقلونه وينشرونه من معلومات أو معارف أو صور أو أفكار.

ب ـ مراعاته للوحدة الثقافية والتعاون مع عوامل التأثير الأخرىٰ في تحقيق أهداف الأمة وغاياتها في الحياة وفي صياغة أفرادها وفق مبادئ الإسلام وأحكامه.

جـ ـ مشاركته في معالجة قضايا الأمة وتسديده لقصورها وبلورته لمفاهيمها ومحاربته لما يفد إليها من أفكار غريبة ودعوات هدَّامة تهدف إلىٰ تشويه الفكر الإسلامي ـ بأسلوب مقنع وحجة دامغة.

---

(١) رواه البخاري ١/ ٥٩ رقم ١٢٧ كتاب العلم، باب: من خصّ بالعلم قوماً دون قوم. ذكره البخاري تعليقاً في أول الباب، ثم عقبه بالإسناد.
(٢) رواه مسلم ١/ ١١ رقم ٥ المقدمة، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع.
(٣) انظر: في ضوء القرآن والسنَّة/ ٢٧٩.

والنتيجة أن الإعلام إذا التزم بهذه الضوابط وقادته أيد أمينة قادرة على تنفيذها بحكمة راجحة وسياسة راشدة، تحول إلى أداة بناء وتكوين وفيما يلي بعض المقترحات التي توضح واجب الإعلام الإسلامي، تجاه الناشئة في ضوء الضوابط السابقة:

١ ـ أن يكون الإعلام مرآة صادقة لثقافة الأمة الإسلامية تعكس في نفس الطفل مبادئ الإسلام وقيمه وفكره وتاريخه.

٢ ـ أن يكون أداة تربية وتثقيف يشترك مع قوى المجتمع المؤثرة في تنفيذ سياسة الأمة التعليمية والثقافية تجاه الناشئة هذه السياسة المستمدة من مصادر الإسلام الأولى: الكتاب والسنَّة.

٣ ـ أن يعني بنفسية الطفل وتنمية وجدانه نحو الخير والصلاح، فهو ذو قدرة فائقة على إقناع النفس، وكسب ميولها، وإعادة بنائها بطريق غير مباشر.

٤ ـ أن يحقق للطفل رعاية ثقافية نقية تمده بالخبرات والمعارف الأصيلة وتعرفه بالأفكار الحديثة، وغير ذلك مما يعود بالنفع والخير على الطفل، وينسجم مع أطر الثقافة الإسلامية.

٥ ـ أن يلحظ في مواده الشمول، وفي عرضه الجاذبية، ليتمكن من استقطاب ميول الطفل والتأثير في نفسه لقبول العناصر التي يرغب في بنائها وتكوينها لديه.

٦ ـ أن يعمل على اختيار عطائه الثقافي وقدرته على التأثير التربوي بين حين وآخر عن طريق التقييم أو الاستفتاء للاسترشاد بذلك في خطط تطوره، وفي النهوض بكفاءاته ذات التأثير والتنمية.

٧ ـ أن يعمل على تحصين الأجيال الناشئة بالوقاية الفكرية اللازمة من سموم الأفكار المنحرفة التي تنقلها وسائل الإعلام المنحرفة عبر الأثير من غير خيار للأمة فيها ولا رغبة، وأن يسعى إلى تبصيرهم بأضرارها ليأخذوا حذرهم من أمثالها.

الباب الثالث

أُسُسْ بنَاء

ثقَافَة الطِّفْلُ الْمُسْلِم

ويحتوي على ثلاثة فصول :

الفصل الأول: البناء الإيماني ، مفهومه ـ أهميته ـ طرق تكوينه.

الفصل الثاني: البناء الفكري، مفهومه ـ أهميته ـ طرق تكوينه.

الفصل الثالث: البناء العبادي، مفهومه ـ أهميته ـ كيفية الالتزام به.

الفصل الأول

البناء الإيماني

مفهومه ـ أهمّيته ـ طُرق تكوينه

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم البناء الإيماني.

المبحث الثاني: أهمية البناء الإيماني في ثقافة الطفل المسلم.

المبحث الثالث: طرق تكوين البناء الإيماني.

المبحث الأول

مفهوم البناء الإيماني

أولاً: الإيمان لغة:

مادته : الهمزة والميم والنون، ويستعمل عند أهل اللغة في معنيين :

أ ـ الأمان والأمانة : الأمان بمعنى الأمن ضد الخوف، قال تعالى : ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[١] ضد أخافهم.

والأمانة ضد الخيانة قال تعالى : ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾[٢] ، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «المؤذن مؤتمن»[٣] .

ب ـ الإيمان بمعنى التصديق[٤] ضد التكذيب ، قال تعالى : ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[٥] أي : بمصدق ، وهو بمعنى الاعتقاد والثقة وإظهار الخضوع[٦] وتطلق العقيدة على الإيمان ؛ لأن من معاني العقيدة الشد والربط ، وعزم

---

(١) قريش : ٤ .

(٢) البقرة : ٢٨٣ .

(٣) رواه أحمد والترمذي وأبو داود : أحمد ٢/ ٣٧٨ ، والترمذي ١/ ١٣٣ رقم ٢٠٧ ، أبواب الصلاة، باب : ما جاء أن الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن ، وأبو داود ١/ ١٤٣ رقم ٥١٧ ، كتاب الصلاة، باب : ما يجب على المؤذن من تعاهد الوقت ، قال أحمد : ليس لحديث الأعمش اصل، وصححه ابن حبان . انظر : تلخيص الحبير لابن حجر ١/ ٢١٧ .

(٤) ذكر ابن منظور في لسان العرب ١/ ١٤١ اتفاق علماء اللغة على أن معنى الإيمان التصديق .

(٥) يوسف : ١٧ .

(٦) انظر : لسان العرب لابن منظور ١/ ١٤١ ـ ١٤٢ ، وأساس البلاغة للزمخشري/ ١٠ ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي٤/ ٩٩ .

القلب ولزومه، من استعماله حديث عروة بن الجعد[١] عن النبي ﷺ قال: «**الخيل معقودٌ في نواصيها الخير**»[٢]، أي: ملازم لها كأنه معقود فيها[٣]. لذا سمي الإيمان عقدة؛ لأنه ملازم للقلب ومستقر فيه. ويقال: اعتقد الشيء إذا اشتدَّ وصلب[٤].

ثانياً: الإيمان اصطلاحاً:

للوصول إلىٰ حقيقة اصطلاحية لمعنىٰ الإيمان لا بد من الإفادة من كلام الله تعالىٰ وكلام رسوله ﷺ في أخذ مفهوم محدد يوضح معنىٰ الإيمان، وبالجملة فإن كلمة الإيمان استعملت علىٰ وجهين:

- **وجه عام** شمل الدين كله أصوله وفروعه في عمل القلب وعمل الجوارح، فهو كما عرّفه الزّجاج: (إظهار الخضوع والقبول للشريعة لما أتىٰ به النبي ﷺ واعتقاده، وتصديقه بالقلب)[٥] دون تردد ولا ارتياب، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٦] فليس الإيمان مجرد تصديق بأركان الإيمان، بل هو التصديق الذي يخضع له العمل ويوافقه.

وعلىٰ هذا الوجه وردت أحاديث كثيرة، **منها**:

---

(١) يُقال له: ابن أبي الجعد، حضر فتوح الشام ونزلها. انظر: الإصابة لابن حجر ٦/ ٤١٤ رقم ٥٥١٠.

(٢) رواه البخاري ومسلم: البخاري ٣/ ١٠٤٧ رقم ٢٦٩٥ كتاب الجهاد، باب: الخيل معقود في نواصيها الخير... إلخ. ومسلم ٣/ ١٤٩٢ رقم ١٨٧١، كتاب الإمارة، باب: الخيل في نواصيها الخير إلىٰ يوم القيامة.

(٣) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٣/ ٢٧١.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٠٣٥.

(٥) لسان العرب لابن منظور ١/ ١٤١.

(٦) الحجرات: ١٥.

حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان»**(١).

وحديث عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قصة وفد عبد القيس قال: «**... أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس...**»(٢).

ففي هذين الحديثين جعل رسول الله ﷺ الأعمال الظاهرة من الإيمان وربطها بإيمان القلب، ويصدق هذا المعنى حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: **«الإسلام علانية والإيمان في القلب»**(٣)، وحديث النعمان بن بشير(٤) ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»(٥) فمن صلح قلبه صلح جسده قطعاً بخلاف العكس.

وهذا الوجه من جهة عمومه شمل أفراد كلمة الإسلام التي هي أدنى مرتبة

---

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم: البخاري ١/ ١٢ رقم ٩، كتاب الإيمان، باب: أمور الإيمان، ومسلم ١/ ٦٣ رقم ٣٥، كتاب الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان... إلخ.

(٢) رواه البخاري ومسلم: البخاري ١/ ٢٩ رقم ٥٣، كتاب الإيمان، باب: أداء الخمس من الإيمان، مسلم ١/ ٤٦ رقم ١٧، كتاب الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين... إلخ.

(٣) رواه أحمد ٣/ ١٣٤، قال البنا: (سنده صحيح)، انظر: الفتح الرباني ١/ ٦٦.

(٤) أول مولود من الأنصار بعد الهجرة، صحح ابن عبد البر سماعه من الرسول ﷺ، ولي إمارة الكوفة في خلافة معاوية، مات مقتولاً سنة ٦٥هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١٠/ ٢٩٩ رقم ٢٦١٤، والإصابة لابن حجر ١٠/ ١٥٩ رقم ٨٧٢٢.

(٥) رواه البخاري ومسلم: البخاري ١/ ٢٨ رقم ٥٢، كتاب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه. ومسلم ٣/ ١٢١٩ رقم ١٥٩٩، كتاب المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات.

من الإيمان، فكـل مؤمن مسلم دون العكس ، قال تعالىٰ : ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] ، لذلك ورد كثير من النصـوص تفسـر الإيمان بما تفسر به الإسلام مثل حديث : «**الحيـاء شعبة من الإيمان**»[2] ، وحـديث شريح[3] ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قـال : «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن** » . قيل : من يا رسول الله ؟ قال : «**الذي لا يأمن جارُه بوائقه**»[4] ، وحديث أبي سعيد الخدري [5] ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[6] .

والخلاصة : أن كلمة الإيمان إذا وردت مجردة غير مقترنة بمعنىٰ آخر دخل فيها معنىٰ الإسلام والأعمال الظاهرة وهذا حقيقة المفهوم العام لكلمة الإيمان .

● **وجه خاص** اقتصر علىٰ أصول الإيمان الستَّة هي : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وجميعها من تصديق القلب وعلمه وهي تفسير الرسول الله ﷺ لمعنىٰ الإيمان في حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين جاء جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان : «**قال فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن**

---

(١) الحجرات : ١٤ .

(٢) رواه البخاري ومسلم : تقدم تخريجه/ ١٨٥ .

(٣) هو : أبو شريح الكعبي الخزاعي ، أسلم قبل الفتح ، مات بالمدينة سنة ٦٨هـ . انظر : الإصابة لابن حجر ١١/ ١٩٢ رقم٦١١ .

(٤) رواه البخاري ٥/ ٢٢٤٠ رقم ٥٦٧٠ ، كتاب الأدب ، باب : إثم من لا يأمن جاره بوائقه .

(٥) هو : سعد بن مالك الأنصاري الخزرجي ، يكثر من رواية الحديث ، مات سنة ٧٤هـ . انظر : الاستيعاب ١١/ ٢٨٣ رقم ٢٩٩٧ ، والإصابة لابن حجر ٤/ ١٦٥ رقم ٣١٨٩ .

(٦) رواه مسلم ١/ ٦٩ رقم ٤٩ ، كتاب الإيمان ، باب : بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان . . . إلخ .

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت[١]»

ومن موضع إطلاقه على هذه الأصول قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[٢] ، وقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[٣] . وخصوصية هذا الوجه أن اسم الإيمان يقع على تصديق القلب وإقراره ومعرفته للأصول الستة الغيبية الثابتة بطريق الوحي فيخرج منه الأعمال الظاهرة التي يصدق عليها اسم الإسلام ويؤيده ما رواه أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**الإسلام علانية والإيمان في القلب**»[٤] ، وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم من أحييته منا فأحْيِه على الإسلام ومن توفيته فتوفَّه على الإيمان**»[٥] ؛ لأن الأعمال بالجوارح، وإنَّما يتمكن منها في الحياة، فأما عند الموت فلا يبقى غير التصديق بالقلب[٦] ، وينبغي أن يُفهم الإسلام الذي هو جنس العمل الظاهر لازم من لوازم الإيمان. قال ابن رجب[٧] ـ رحمه الله تعالى ـ : (فإن من حقّق الإيمان ورسخ في قلبه، قام بأعمال الإسلام) كما قال ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد**

---

(١) متفق عليه: البخاري ١/ ٢٧ رقم ٥٠ ، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان... إلخ. ومسلم ١/ ٣٧ رقم ٨ ، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

(٢) البقرة: ١٧٧ .

(٣) البقرة: ٢٨٥ .

(٤) رواه أحمد ، تقدم تخريجه/ ١٨٥ .

(٥) رواه الترمذي وأبو داود من حديث أبي هريرة: الترمذي ٢/ ٢٤٤ رقم ١٠٢٩ ، أبواب الجنائز، باب: ما يقول في الصلاة على الميت ، رواه أبو داود ٣/ ٢١١ رقم ٣٢٠١ ، كتاب الجنائز، باب: الدعاء للميت . قال الأرناؤوط: حديث حسن . انظر: جامع الأصول ٦/ ٢٢٣ .

(٦) انظر: جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي/ ٢٧ .

(٧) هو: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ، البغدادي ، ثم الدمشقي ، ثم الحنبلي ، الإمام الزاهد والفقيه الواعظ، صاحب التصانيف ، توفي سنة ٧٩٥هـ. انظر: شذرات الذهب لابن العماد ٦/ ٣٣٩ .

الجسد كله ألا وهي القلب» ، فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام[١] ويؤكده الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : **(فالقلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، لا بد من مندفع لتحقيق حقيقته في خارج القلب في واقع الحياة في دنيا الناس)**[٢] .

وعلىٰ الوجهين ـ العام والخاص ـ فإن القلب هو محور الإيمان ، والجوارح تصدقه ، والإقرار باللسان لا بد منه ، وعمل البدن علامة ظاهرة عليه . وحقيقة الأمر أن الإيمان شامل لها فهو (عمل نفسي يبلغ أغوار النفس ويحيط بجوانبها كلها من إدراك وإرادة ووجدان فلا بد من إدراك ذهني تنكشف به حقائق الوجود علىٰ ما هي عليه في الواقع ، وهذا الانكشاف لا يتم إلا عن طريق الوحي الإلهي المعصوم ، ولا بد أن يبلغ هذا الإدراك العقلي حد الجزم الموقن ، واليقين الجازم ، الذي لا يزلزله شك ولا شبهة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[٣] ، ولا بد أن يصحب هذه المعرفة الجازمة إذعان قلبي ، وانقياد إرادي يتمثل في الخضوع والطاعة لحكم من أمن به مع الرضا والتسليم . . . ولا بد أن يتبع تلك المعرفة وهذا الإذعان حرارة وجدانية قلبية تبعث علىٰ العمل بمقتضيات العقيدة والالتزام بمبادئها الخلقية والسلوكية والجهاد في سبيلها بالمال والنفس ، ولهذا نجد القرآن الكريم يصف المؤمنين فيقول : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[٤][٥] ، فليس الإيمان أو المعتقد مجموعة أوهام أو ظنون لا نصيب

---

(١) انظر : جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي/ ٢٨ .

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ٦/ ٣٣٤٩ .

(٣) الحجرات : ١٥ .

(٤) الأنفال : ٢ ـ ٤ .

(٥) الإيمان والحياة ، د. يوسف القرضاوي/ ٢٠ .

لها من دليل أو برهان يخول العقل بتصديقها، فإذا ما استولت على ذهن الإنسان وخضع لها إدراكه تحت تأثير سلطان الجهل والغباوة والسذاجة فإن الارتقاء العقلي والإدراك العلمي جديران بتحطيمها وزعزتها، وأوضح مثال للمعتقدات الزائفة تلك التي منحت آلهتها وأربابها صفات وأفعالاً ونسبت إليها أقاصيص وأساطير هي أقرب إلى الخيال وأبعد ما تكون عن العقل[1]، فهذه المعتقدات لا يمكن أن تجد لها قراراً في القلب ولا يمكن أن تملك ثقة متبعها الكاملة؛ لأن مصدرها غير موثوق به، لكونه وضع البشر جملة أو بعضاً، والإنسان بطبعه معرض للخطأ والنسيان والتأثر بالشهوات والأهواء وهي لا تستحق أن نسميها عقيدة ولا إيماناً؛ لأن مفهوم الإيمان: الحكم المستقر الذي لا يقبل الشك وجميع الأفكار الوضعية - وإن سميت بالعقائد - لا تتصف بهذا الوصف[2]، إذ هي مفلسة من الدليل لاحظَّ لها من اليقين والجزم، فكيف يخضع لها القلب ويطيع؟ كيف توْجَلُ لها القلوب وتستجيب وهي لم تل إلى أغوارها ولم تستقر. أما العقيدة الإلهية فيتوفر فيها أمران يحققان ثبوتها واستقرارها في سويداء القلب، وهما:

١ - كون مصدرها القرآن الكريم وصحيح السنَّة النبوية[3] فهما المصدران اللذان تكفَّل الله بحفظهما، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[4]، والسنَّة مبينة للقرآن ومفصّلة لمجمله وسلامة المصدر لا يوجد إلا في الإسلام وما عداه من أديان طرأ عليها التحريف والتغيير، وهي - وإن بقي في بعضها

---

(١) انظر: الحضارة الإسلامية - أسسها ومبادئها، لأبي الأعلى المودودي/ ٩٦.

(٢) انظر: محاضرة العقيدة والمجتمع للشيخ مناع القطان/ ١، من إعداد قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام - الرياض.

(٣) دراسات في الثقافة الإسلامية، إعداد مجموعة من المفكرين، أعدَّ هذه الفقرة د. عمر سليمان الأشقر/ ٨٤.

(٤) الحجر: ٩.

نتف من الحق ـ لا تمثل الحق ولا تجليه ، فصفاء المصدر ونقاؤه سمة تفرَّد بها الإسلام ، قال تعالىٰ : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾(١) .

٢ ـ كونها قائمة علىٰ الجزم والاستيقان(٢) بأصول الإيمان الغيبية وبكل ما جآء به الخبر الصادق دون تردّد ولا ريب ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾(٣) يقول الأستاذ سيد قطب في تفسيره لهذه الآية : (فالإيمان تصديق القلب الله ورسوله التصديق الذي لا يرد علي شك ولا ارتياب ، التصديق المطئمن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب ولا تهجس فيه الهواجس ، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور)(٤) .

ولذا ذمَّ الله سبحانه وتعالىٰ المرتابين ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾(٥) . فالإيمان في الإسلام هو المعتقد المستقر في الأذهان استقراراً ثابتاً وقويّا يمتلك جميع قوىٰ الإنسان ويخضعها تحت تأثيره ومقتضاه وهذا ما لا يوجد في غيره من المعتقدات والأفكار ، إذ كيف يثق الإنسان في أفكار مصدرها إنسان مثله يعتريه النقص والقصور ، بل كيف تستقر آراء البشر في الذهن استقراراً جازماً يصل إلي حد اليقين ، فالناس مختلفون فيما يثبته الحس القريب فكيف يؤمنون بحكاية عن الغيب البعيد .

---

(١) الشورىٰ : ٥٢ ـ ٥٣ .

(٢) انظر : دراسات في الثقافة الإسلامية ، إعداد مجموعة من المفكرين ، أعدَّ هذه الفقرة : د. عمر سليمان الأشقر/ ٨٤ .

(٣) الحجرات : ١٥ .

(٤) في ظلال القرآن ، سيد قطب ٦/ ٣٣٤٩ .

(٥) التوبة : ٤٥ .

إن الاستقرار الفكري لا يتوفر إلا في عقيدة الإسلام فهي عقيدة ثابتة محددة لا تقبل الزيادة ولا النقصان ولا التحريف أو التبديل فليس لأحد من الناس أو جماعة مهما كانت صفتها ومركزها حق التغيير أو التحوير وأي أمر يحدث بهذه الصفة فهو مردود على صاحبه، فعن عائشة [١] ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدَثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**»[٢] ، أي: مردود عليه[٣] . وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾[٤] ، ومع سلامة المصدر وصفائه لا تسلك العقيدة في تقرير قضاياها الإلزام المجرد، أو التكليف الصارم، ولا تقول كما تقول بعض العقائد: (اعتقد وأنت أعمى)، أو: (آمن ثم اعْلَم)، بل يقول القرآن الكريم المنبع الثر لهذه العقيدة: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٥] ، كما لا تكتفي بمخاطبة القلب والوجدان والاعتماد عليهما أساساً للاعتقاد بل تتبع قضاياها بالحجة الدامغة والبرهان الساطع والتعليل الواضح الذي يملك أزمَّة العقول ويأخذ الطريق إلى القلوب مثل ما هو واضح في سياق القرآن في قصة الألوهية أو البعث[٦] في عقيدة واضحة ومفصلة، لم تدع للغموض سبيلاً، أو

---

(١) زوج النبي ﷺ، من فقهاء الصحابة، رضي الله عنهم، ومن المكثرين في الرواية. ماتت بالمدينة سنة ٥٨هـ. انظر: لابن حجر ١٣/٣٨ رقم ٧٠١.

(٢) متفق عليه: البخاري ٢/ ٩٥٩ رقم ٢٥٥٠ كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور... إلخ. مسلم ٣/ ١٣٤٣ رقم ١٧١٨ كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة... إلخ.

(٣) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي/ ٤٨.

(٤) يونس: ١٥ ـ ١٦.

(٥) البقرة: ١١١، والنمل: ٦٤.

(٦) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي/ ٤٨.

للتعقيد مجالاً في حدود ما تدركه العقول وما يكفي الحاجة الفكرية المتعلقة بعالم الغيب، وقد أجابت عن كل التساؤلات التي تخطر ببال الإنسان عن الكون ونواميسه، وعن الخالق، وعن سر الحياة والوجود، وعن وظيفة الإنسان في الحياة، بإجابات مقنعة ومبرهنة.

ثالثاً: إيمان الطفل:

يولد الطفل مفطوراً على الإقرار بربوبية الله تعالى، مصبوغاً بالإيمان به سبحانه، باقياً على العهد الذي أخذه الله على الناس، وهم في عالم الذر وشهد عليهم أنفسهم فأقرُّوا بربوبيته [١] قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[٢]. قال ابن كثير في هذه الآية: (إن المراد بهذا الإشهاد إنَّما هو فطرهم على التوحيد)[٣] ونسب هذا القول إلى السلف والخلف ويشهد له حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**» ثم يقول أبو هريرة - رضي الله عنه -: اقرءوا إن شئتم: ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾[٤]. فدلَّ ذلك على أن من مات قبل أن تجتاله الشياطين مات حنيفاً، فإذا ولد على الفطرة كان متهيئاً للإسلام فمن كان أبواه مسلمين استمر على الإسلام، وإن كانا كافرين نشأ على الكفر[٥].

---

(١) انظر: الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحل، لابن حزم ٣/ ٧٧.
(٢) الأعراف: ١٧٢.
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤٦.
(٤) الروم: ٣٠. متفق عليه: سبق تخريجه/ ١٠٨.
(٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٢٠٨.

وهذا المعتقد الذي ينشأ عليه الطفل ويتربى عليه هو دين التربية والعادة ؛ إذ الطفل ينشأ متأثراً بكافله، والقائم بتربيته ورعايته وفي الغالب يقوم بهذا المقام أبواه فينشأ على دينهما، وهذا الدين لا يعاقبه الله عليه حتى يبلغ ويعقل وتقوم عليه الحجة فعندئذ يحاسب على وجهته وفعله؛ لأنه جاوز مرحلة التقليد وعدم المؤاخذة إلى مرحلة العلم والعقل والمحاسبة(١) .

ومرحلة الطفولة بحد ذاتها تتنوع فيها صفة الإيمان ، فأول ما يولد الطفل يكون إيمانه فطريًّا كامناً في نفس ، فإذا ظهرت عليه مخايل التمييز كان إيمانه إيمان محاكاة وتقليد لمن حوله دون إدراك لمعنى ما يفعله أو يقوله ، فحركاته وأقواله غير مقصودة ، وقد يهمل بعضهم هذه المرحلة نظراً لانعدام القصد من الطفل فيما يفعل أو يقول ، وهذا لا يصح ؛ إذ إن هذه المرحلة تُعدّ من أهم المراحل تأثيراً في عملية البناء الفكري . فالأصح أن يغذى الطفل بالإيمان وأن يبدأ معه بأصوله مثل إسماعه الشهادة وألفاظ الأذان والإقامة، عن أبي رافع(٢) قال: رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة(٣) ، قال ابن القيم : (سرّ التأذين ـ والله أعلم ـ أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها الإسلام. . . وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به وإن لم يشعر)(٤) . ويستمر في هذا الأمر إلى أن يميز بين الأشياء ويدرك المعاني الظاهرة والقريبة ويصبح لأقواله أفعاله معنى معتبراً، ويتدرج معه بعرض أدلة التوحيد المناسبة لفهمه وأن يرى آثار عظمة

---

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي/ ١٩٢ .

(٢) هو : القبطي مولى رسول الله ﷺ ، شهد أحداً وما بعدها ، مات قبل عثمان بيسير. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ١٥٨ رقم ٣٤ ، والإصابة لابن حجر ١١/ ١٢٧ .

(٣) رواه الترمذي ٣/ ٦٣ رقم ١٥٥٣ ، أبواب الأضاحي، باب : الأذان في أذن المولود . وقال : حديث صحيح .

(٤) تحفة المودود لابن القيم / ٣١ .

الله تعالىٰ في خلقه وملكوته، وأن يجاب علىٰ أسئلته المتصلة بجانب الإيمان بما يناسب مستواه العقلي ويرسخ حقيقة الإيمان في قلبه حتىٰ يمكّن من الانتقال من مرحلة التقليد المحض إلىٰ مرحلة البصيرة والعلم والإدراك العقلي القائم علىٰ النظر والاستدلال وهذا غالباً ما يحدث في مرحلة البلوغ.

وإيمان المميز معتبر في الشريعة الإسلامية، وإسلامه صحيح إذا دلَّت أقواله وأفعاله علىٰ معرفة الإسلام، وعقله إياه، لذا أمر الشارع وليه أن يعلمه الصلاة لسبع، وأن يؤدبه علىٰ تركها إذا بلغ عشراً، عن عمرو بن شعيب [١] عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**مُرُوا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً**»[٢]؛ إذ ببلوغه سن العاشرة تتجدد له حال أخرىٰ يقوىٰ فيها تمييزه ومعرفته، ولذلك ذهب كثير من الفقهاء إلىٰ وجوب الإيمان عليه في هذه الحال، وأنه يعاقب علىٰ تركه، وهو اختيار أبي الخطاب[٣] وغيره، وصرح بقوته الإمام ابن القيم؛ لأن المميز قادر علىٰ معرفة الخالق والإقرار بتوحيده وصدق رسله ومتمكن من النظر والاستدلال مثل ما هو متمكن من فهم العلوم والصنائع، فأدلَّة الإيمان بالله تعالىٰ أظهر من سائر الأدلة[٤]، فمن الأهمية بمكان كما هو واضح من نصوص الشرع وآراء علماء الأمة أن يعتنىٰ ببناء الطفل إيمانيا، وأن يحافظ علىٰ فطرة التوحيد المركوزة في نفسه، وأن تبذر أصول الإيمان فيها منذ ولادته وأن يتعهدها المربون بكل ما يثبتها في نفسه وينميها في قلبه بالتلقين أولاً،

---

(١) من نسل عمرو بن العاص، صدوق، مات سنة ١١٨هـ. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ٢/ ٧٢ رقم ٦٠٧.

(٢) رواه أحمد وأبو داود: تقدم تخريجه.

(٣) هو: محفوظ بن أحمد الكلوذاني البغدادي، أحد أئمة الحنابلة ومصنفيهم، تفقه علىٰ القاضي أبي يعلىٰ، توفي سنة ٥١٠هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ١٨٠، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١/ ١١٦.

(٤) انظر: تحفة المودود، لابن القيم/ ٢٩٣ ـ ٢٩٦.

ثم بالتوعية العقلية التي تعرفه آثار الخالق ودلائل توحيده وتعمل على ترسيخها في كيانه ثانياً.

والبدء بهذا البناء هو الأول الذي لا يصح أن يسبقه بناء آخر وتلك سنَّة رسول الله ﷺ في بناء المجتمع الذي ربّاه يذكرها ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ «**لقد عشنا برهة من دهرنا ، وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تَعَلّمون أنتم القرآن، ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آخره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه ينثره نثر الدقل**[1] »[2] وسنته في بناء الأطفال يذكرها جندب بن عبد الله [3] قال : (كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة[4] فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن ، فازددنا به إيمانا)[5] ، والقرآن الكريم ينص على أنه لا يهتدي به من كان في قلبه مرض الكفر أو النفاق مما يدلُّ على أن تحصيل الإيمان هو مقدمة الاستفادة من القرآن[6] : ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**﴾[7] .

فالإيمان قاعدة بناء ثقافة الفرد منذ نشأته فهذا رسول الله ﷺ يعلم ابن عباس رضي الله عنهما ـ وهو طفل ـ كلمات الإيمان ، قال ابن عباس ـ رضي الله

---

(١) الدقل : رديء التمر . انظر : مختار الصحاح للرازي/ ٢٠٨ .

(٢) رواه الحاكم وصححه ١ / ٣٥ ، كتاب الإيمان ، باب : كيف يُتعلم القرآن؟ . ووافقه الذهبي في التخليص .

(٣) البجلي ، ثم العلقي ، سكن الكوفة ، ثم البصرة ، ويُقال له : جندب الخير . انظر : الإصابة لابن حجر ٢/ ١٠٤ رقم ١٢٢٠ .

(٤) جمع حزور وهو الغلام القوي . انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ٢/ ٨ .

(٥) رواه ابن ماجه ١/ ٢٣ رقم ٦١ في المقدمة .

(٦) انظر : جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى/ ٦٥ .

(٧) فصلت : ٤٤ .

عنهما ـ : (كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال : «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله ـ تعالى لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[1] .

هذه التوجيهات النبوية لطفل من الجيل الأول تشير إلى اهتمام الرسول ﷺ بالبناء الإيماني الذي قضى في سبيل ترسيخه وتثبيته في النفوس معظم بعثته ولم يقصر ذلك على البالغين من الأمة ، بل إن عنايته امتدت لتشمل أطفالها حفظاً لهم من كل مؤثر خارجي يفسد فطرتهم، وترسيخاً لقاعدة الدين في قلوبهم وعقولهم التي يبني عليها جوانب البناء المتبقية ، وينطلق منها في بناء الفهم المتكامل ، والتصور الشامل للحكمة من هذا الوجود ولمهمة المؤمن فيه .

---

(١) رواه الترمذي ٤/ ٧٦ رقم ٢٦٣٥ ، أبواب صفة القيامة، باب / ٢٢، وقال : حديث حسن صحيح .

المبحث الثاني

أهمية البناء الإيماني

في ثقافة الطفل المسلم

تأتي أهمية البناء الإيماني من كونه القاعدة الكبرىٰ التي يقوم عليها بناء الإسلام، والخطوة الأولىٰ التي يتبعها خطوات في بناء الإنسان فكريًّا وخلقيًّا وجسميًّا، فلا يصح أن يسبقه غيره بالعناية والاهتمام، ولا يليق أن يبدأ بغيره قبله في عملية بناء ثقافة الإنسان، فالإيمان سرّ هدايةالإنسان في الحياة، وسبب استقامته فيها، ولبّ فطرته التي خلق عليها يكسب الإنسان قوة في الشخصية، ووحدة في الفكر ، وسلامة في الوجهة، وطمأنينة في النفس، وراحة في الضمير، ويفرغ علىٰ الحياة معنىٰ سامياً يسمو بالإنسان إلىٰ ذرا الكرامة وآفاق الصلاح.

والحديث عن أهمية البناء الإيماني في ثقافة الطفل المسلم حديث طويل ، متشعب السبل، لا يمكن تناوله في مبحث قصير، وحسبي أن أقصر الحديث علىٰ بعض الجوانب ذات العلاقة بالموضوع ولعلّ أبرزها ما يلي :

أولاً: كون الإيمان ركيزة البناء الأولى للإنسان المسلم:

الإسلام متفرد في نظرته المتكاملة إلىٰ الإنسان ، متميز في عنايته الشاملة بمكوناته، يعترف بالروح ، ويعدّها الجذر الأول في بناء الإنسان وتركيبه ، دون إيغال يصل إلىٰ حد الغلو والإفراط ، مثل ما هو واقع في النصرانية المحرّفة ودون إهمال يصل إلىٰ حد إنكار وجودها، والتفريط في حقها مثل ما هو واقع في المذاهب المادية.

فهو يقرر [١] أن الإنسان مكوّن من جسم وروح ، قال تعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾[٢] . وفي إضافة الروح إليه سبحانه تكريم للإنسان وإظهار لأهمية الروح في الجسد، إذ هي سبب حياته، وطاقته المحرّكة لقواه، فإذا فارقته أصبح جثّة هامدة.

وحياة الإنسان في نظر الإسلام ليست حياة جسده وسلامته من الأمراض والآفات حسب، فهذا الأمر لا يختص به الإنسان وحده، بل يشبهه غيره من الأحياء، ولكن الفارق يتضح في معنى حياة الإنسان وغيره، فالحيوان يحيا وهو لا يعي سعادة ولا شقاء مع أنه يلتقي مع الإنسان في بعض صفاته الجسمية ووجود الروح، فهو يحيا حياة تحكمها الغريزة في الحركة والتصرف فبإيحائها يتحرك وعند حدها ينتهي، أما الإنسان فتختلف حياته عن حياة الحيوان اختلافاً مقابلاً فقد زوده الله بالقلب الواعي الذي يفقه به الأمور، ويدرك به المعاني، وزوّده بالحواس التي يستطيع بها التعرف على الخير والشر والنفع والضر، واختصّه بين سائر خلقه ـ بعد أن أهّله ـ لتحمل أمانة التوحيد والاهتداء بهديها عن اختيار ورغبة وإن كان مسلماً لله تعالى كرهاً ورهبة، وجعل حياته مهيّأة للسعادة والشقاء فهو سعيد إن وعى قلبه دلائل الإيمان، واستخدام حواسه في إبصار آيات الله الكونية وسماع آيات الله المسموعة، وشقي إن غفل قلبه عنه، وتعطلت حواسه عن إبصارها وسماعها، فهذا الصنف من الناس هبط بإنسانيته إلى مقام الأنعام، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٣] .

---

(١) تقدم الحديث عن نظرة الإسلام إلى الإنسان وعنايته بمكوناته.

(٢) السجدة: ٧ ـ ٩.

(٣) الأعراف: ١٧٩.

فالإيمان هو حياة الإنسان، وسرّ تكريمه، وطاقة روحه المحركة لجوارحه، والمهيمن على قواه العقلية والنفسية، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]. والقلب إناء الإيمان ومركز نشاطه وحركته. عن أنس - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**الإسلام علانية، والإيمان في القلب**»[2]، فمتى امتلأ القلب بالإيمان، وانغمر بمحبة الله ومحبة رسول الله ﷺ وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكره صلحت حركات الجوارح، واستقامت على منهج الله تعالى[3]، فعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»[4]، فالإيمان يكسب النفس الإنسانية راحة وطمأنينة، والفطرة صفاء ومتانة، والعقل نوراً وهدايةً والجسم نشاطاً وحيوية، ويعمل على بناء شخصية الإنسان بناءً متكاملاً، ويضفي عليها وحدة في التصور، وثباتاً في المسير، وعزة في النفس، ودماثة في الخلق، وقوة في الحق، فلا غرابة أن يكون الإيمان هو الركيزة الأولى في بناء شخصية الإنسان، وقاعدة منهجه الذي يسير عليه في الحياة، لذا كان أول ما يدعى إليه من الإسلام الإيمان، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ: «بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن، فقال: «**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة...**»)[5]، فالبدء بالإيمان في الدعوة إلى الإسلام يوضح أهميته في بناء

---

(١) الأنعام: ١٢٢.
(٢) رواه أحمد: تقدم تخريجه/ ١٨٥.
(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي/ ٧٣.
(٤) متفق عليه. وتقدم تخريجه/ ١٨٥.
(٥) متفق عليه. وتقدم تخريجه.

شخصية الإنسان، فقبل أن يُطَالِب الإسلامُ المدعو بباقي أحكامه على الداعي أن يُثَبت العقيدة في نفسه أولاً، وعلى القائمين بتثقيف أطفال المسلمين أن يكون أول عملهم إلقاء بذور الإيمان في نفوسهم، ورعايتهم بما يحفظها وينميها، ويزيدها رسوخاً وثباتاً حتى تكون جذوة متّقدة، ونوراً يملأ أعماق نفوسهم، وسلوكاً يزدان به ظاهرهم.

هذه العقيدة من الأهمية في بناء شخصية المسلم إلى درجة أن ما عداها لا يُعد صحيحاً مهما كان سليماً في الظاهر إذا لم يستقم عليها، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾[1]. فالإيمان أولاً ثم الاستقامة عليه شعوراً في الضمير وسلوكاً في الحياة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2]، وعن سفيان بن عبد الله الثقفي[3] ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»[4]. فالإيمان هو الأساس الأول الذي يقوم عليه بناء شخصية المسلم، وهو الركن الأول الذي بدأ الإسلام به في تكوين شخصيته، وهو غذاء الروح والعنصر الأساس في تحريك عواطفه وتوجيه إرادته، فمتى صحت عناصر الإيمان التي تغرس في نفس الإنسان من صغره وكانت واضحة ومتكاملة نشأ مهتدياً بالإيمان، حذراً من الشرك والإلحاد، متخطياً كل العوائق التي تحول دون

---

(١) إبراهيم: ١٨.

(٢) فصلت: ٣٠.

(٣) الطائفي، أسلم مع وفد ثقيف، استعمله عمر ـ رضي الله عنه ـ على صدقات الطائف، وولاه على إمارتها. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ٢٠٩ رقم ١٠٠٣، والإصابة لابن حجر ٤/ ٢٠٨ رقم ٣٣٠٨.

(٤) رواه مسلم ١/ ٦٥ رقم ٣٨، كتاب الإيمان، باب: جامع أوصاف الإيمان.

وصوله إلى التكامل في الشخصية، وفي نصيحة لقمان لابنه تقرير لأمر البدء بترسيخ العقيدة في نفس الطفل، وتطهيرها من كل ما يشوبها من أدران الشرك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(١).

وفي توجيهات رسول الله ﷺ دلالة واضحة على أهمية تكوين العقيدة في نفس الطفل وتقديم ما يناسبه من أمرها، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصحف**»(٢)، وهو أمر يتوجب على الآباء والقائمين على تثقيف الأطفال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٣). ويعد أمثل طريقة لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقم بدورها كاملاً في الحياة تسهم بنصيب وافر في تزويدها بما هو أنفع وأرشد(٤).

وهذا الإيمان الذي يرتكز عليه بناء شخصية الطفل المسلم ليس ترفاً في التفكير ولا نافلة للنفس ولا مظهراً من مظاهر الخوف إنّما هو فطرة الله التي فطر الناس عليها وحاجة ملحة للنفس والروح، فإذا فُقدَ ترك فراغاً في النفس لا يملأ، وجوعة في الروح لا تُسد، وخراباً في الضمير لا يُعمر، وذلك سر ما تعانيه المجتمعات التي تربت على الإلحاد ونشأت على الكفر بالله تعالى من قلق

---

(١) لقمان: ١٣.
(٢) رواه الترمذي. وتقدم تخريجه/ ١٩٦.
(٣) التحريم: ٦.
(٤) انظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق/ ١٠.

واضطراب وشقاء[١] .

ثانياً: موافقته للفطرة والسنن الكونية:

ومما يجلي أهمية الإيمان في بناء ثقافة الطفل المسلم أن الإنسان ينزع من أعماق نفسه إلىٰ التدين والاعتقاد ، وهذا النزوع ليس ناشئاً عن تربية أو تثقيف أو عامل خارجي وإن كان لها جميعاً أثر في تنيمته أو إضعافه ، بل هو قوة أودعها الله تعالىٰ في كيان الإنسان تحمله علىٰ الاعتقاد وتمنحه القدرة علىٰ الله تعالىٰ من خلال مصنوعاته، وتدفعه إلىٰ الإيمان به بدون دليل عقلي .

هذا الميل يحس بوجوده في داخل النفس كل مخلوق مدرك مهما اختلفت بيئته، أو ضحلت ثقافته؛ لأن مغروس في الفطرة ، مركوز في الذوات، مأخوذ علىٰ بني آدم بصفة العهد والميثاق وهم في عالم الذرّ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾[٢] ، يولدون علىٰ فطرة هذا العهد والميثاق وهو الإقرار بربوبية الله تعالىٰ ، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة**»[٣] ، والفطرة : هي الخلقة والهيئة التي أودعها الله في نفس الطفل تكون مهيأة ومعدة لمعرفة الله والاستدلال علىٰ ألوهيته بمصنوعاته[٤] مثل ما أورده الله تعالىٰ في العين من قدرة علىٰ إبصار الأشياء المحسوسة مع وجود النور، وما أودعه في الأذن من قدرة علىٰ سماع الأصوات ، كذلك الفطرة تكون مهيأة للاعتقاد مستعدة للتدين يشعُر المرء بالرغبة فيه، والخضوع له، والوقوع تحت تأثيره بمقدار ما يتجلىٰ له من حقيقته، وما

(١) انظر : العقائد الإسلامية، سيد سابق/ ١٠ ، وانظر : منهج القرآن في التربية لمحمد شديد / ٧٠ .
(٢) الأعراف : ١٧٢ .
(٣) متفق عليه . وتقدم تخريجه/ ١٠٨ ، ١٩٢ .
(٤) انظر : تفسير القرطبي ١٤/ ٢٩ .

ينكشف له من آثاره، وما ينطبع في ذهنه عنه، وما يكون في وجدانه من انفعال، وما يقوم في قلبه من قداسة واعتبار[1].

هذا الاعتقاد الفطري، الأصل فيه أن يكون صحيحاً صافياً من كل شوائب الشرك مثل ما أخذه الله على الناس وهم في عالم الذر، وما حدث فيه من انحراف أو تكدير إنَّما هو من تأثير البيئة المحيطة التي أمالت نفوسهم عن فطرتها النقية، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد بهيمة جمعاً هل تحسون فيها من جدعاء؟**»[2]، وعن عياض بن حمار[3]: قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «**... إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً**»[4].

فالفطرة السليمة توصل إلى الاعتقاد الصحيح عن طريق إدراكها لوجود الله تعالى، وتتعرف عليه بآثاره العظيمة المبثوثة في الكون الواسع الدَّالة على قدرة الله وعظمته وحاكميته، وهذا الإدراك الفطري كافٍ وحده لهداية النفس البشرية للإقرار بربوبية الله تعالى واستحقاقه للعبودية لو بقيت الفطرة على صفائها ونقائها سليمة صحيحة من كل انحراف أو مرض، لكن هذا الأمر غير باق على خلقته فقد كدرت صفاءه الشياطين، وسلبت نقاءه قوى الشر، ولذا فإن الناس بحاجة ماسّة إلى الرسل الكرام والكتب المكرمة؛ لتذكرهم بفطرتهم الأولى وتزيل ما علاها من غبش لوَّث صفاءها، أو ظلمةٍ طمست حقيقتها، قال

---

(١) انظر: العقيدة والأخلاق، د. محمد عبد الرحمن بيصار/ ١٥.

(٢) متفق عليه. وتقدم تخريجه/ ١٠٨، ١٩٢.

(٣) المجاشعي، التميمي، سكن البصرة. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٩/ ٦٦ رقم ٢٠١١، والإصابة لابن حجر ٧/ ١٨٥ رقم ٦١٢٣.

(٤) رواه مسلم ٤/ ١٩٧ رقم ٢٨٦٥، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها أهل الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

تعالىٰ : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[١] ، وتدعوهم إلىٰ العودة إلىٰ التوحيد وإقامة مقاصدهم وأعمالهم عليه ، فذلك هو الأمر المتناسب مع خلقهم . قال تعالىٰ : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[٢] فإن أعرضوا ولم تستجب فطرهم لدعاة الله تعالىٰ ولم تتأثر بكتبه لكثافة ما علا قلوبهم من زيغ وضلال فإنها في ساعة الشدَّة وحالة الكرب تتيقظ وتتجه إلىٰ بارئها ، قال تعالىٰ : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٣] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[٤] .

وقد كشفت الدراسات الأنثروبولوجية[٥] عن قدم التدين وأنه لا يكاد يخلو مجتمع بدائي أو متحضر من شكل من أشكال الدين يشير إلىٰ بصيص من الفطرة ولو تحت أطباق الصدأ وركام الغبار . يقول الفيلسوف (برجسون)[٦] : (قد نجد في الماضي أو الحاضر مجتمعات بشرية لا تعرف العلم أو الفن أو الفلسفة ولكن

---

(١) إبراهيم : ١٠ .

(٢) الروم : ٣٠ .

(٣) يونس : ٢٢ .

(٤) الإسراء : ٦٧ .

(٥) هو علم يدرس بشكل رئيس الإنسان في المجتمعات البدائية من حيث كونه جزءًا من الكون متطوراً ، ومن حيث كونه كائناً حيًا ذا عقل وثقافة ، ودرج الجغرافيون المسلمون علىٰ تسمية هذا العلم باسم الدراسات البشرية . انظر : معجم العلوم الاجتماعية ، أعدَّ هذه الفقرة : حسن سعفان/ ٧١ .

(٦) (هنري برجسون) (١٨٥٩ ـ ١٩٤١م) فيلسوف فرنسي نال عام ١٩٢٧م جائزة نوبل في الأدب ، من مؤلفاته : (الزمن والإرادة الحرة) ، و(المادة والذاكرة) . انظر : الموسوعة العربية الميسّرة بإشراف محمد شفيق غربال ١/ ٣٤٥ .

ليس ثمة مجتمع بلا دين)[١] ، بل إن بعض العلماء يتجاوز الإقرار بالفطرة باعثاً من بواعث التدين ويثبت جذورها في الجانب العضوي في الطبيعة الإنسانية مثل الدكتور (ألكسيس كاريل) في كتابه (تأملات في سلوك الإنسان) الذي يرجع الميل إلىٰ التدين إلىٰ إفراز الغدة الدرقية مادة النيروسكين في الأوعية الدموية[٢] ، ومن المؤسف أن كثيراً من مفكري الحضارة الغربية لا يزالون ينظرون إلىٰ النفس الإنسانية علىٰ أنها صورة متطورة لنفس الحيوان علىٰ غرار رأيهم في الجسم الإنساني وهي نظرة لا تعترف بوجود الفطرة أو ملكية الإنسان لقوة الشعور الذاتي وتنكر أن تعمل فيه قوة شاعرة أخرىٰ، وكل ما فيه هو اختلاط الطبائع وتأثير المادة، وعملية التوارث والتفكير ، وعلىٰ هذا فإن النظام الطبيعي للإنسان لا يتضمن سوىٰ الغرائز البهيمية، وطاقاته متطورة عن طاقات الحيوان وبذلك لا يكون للإنسان تميز علىٰ الحيوان بل هو حلقة من حلقات تطوره ورُقيه[٣] .

كيف أمكن لهؤلاء أن يساووا الإنسان بالحيوان وفي أعماقهم أصوات خفية تلح عليهم بالسؤال وتتلهف إلىٰ الإجابة : ما العالم؟ ما الإنسان؟ من أين جاء؟ من صنعهما؟ من يدبرهما؟ ما هدفهما؟ كيف بدآ؟ كيف ينتهيان؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ أي مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة؟ ما حقيقته؟ . . .

أسئلة كثيرة وملحة تطلب جواباً مقنعاً. هل لها من جواب يرضيها في غير الدين ؟ ! إن الدين وحده هو المجيب وهو المرجع الوحيد الذي يستطيع أن يجيبنا عن تلك الأسئلة بما يرضي الفطرة ويشفي الصدر ويقنع العقل[٤] وكيف أمكنهم أن يتجاهلوا هذه القوة الدافعة للتدين، والحياة كلها تعمل علىٰ بعثها وتحريكها، فإذا ألقىٰ الإنسان حواسه علىٰ هذا الوجود عادت إليه تلك الحواس

(١) برجسون للدكتور زكريا إبراهيم/ ١٩٨ .
(٢) انظر : علم النفس التربوي في الإسلام، د. المقداد يلجن وزميله ١/ ٣٧ .
(٣) انظر : الإسلام تشكيل جديد للحضارة ، محمد تقي الأميني/ ٤٠ ، ٤١ .
(٤) انظر : الإنسان والحياة، د. يوسف القرضاوي/ ١٠٢ .

محمَّلة برسائل كثيرة مثيرة تشغل تفكيره وتملأ صدره عجباً ودهشة وقلقاً وخوفاً[١] ، وما يُقنع عقل الإنسان ويملأ صدره وضوحاً وأمناً غير الدين .

فمن رحمة الله تعالىٰ ولطفه بالإنسان أن خلقه متهيئاً للإيمان بما أودع فيه من ميل يربطه به ويدفعه إلىٰ الإقرار بربوبيته ويشعره بضعفه وحاجته إلىٰ معونته ورعايته فمنذ ولادته متوجهاً إلىٰ الله توجهاً كامناً في نفسه «**ما من مولود إلا يُولد على الفطرة**»[٢] فما يلبث أن تتيقظ فطرته مع بوادر إدراكه وتمييزه حين تنفذ إليها تأثيرات معينة من الكون والحياة فتستيقظ إلىٰ حقيقة الخلق ، وتنبعث تبحث عن الخالق بالسؤال والتأمل ، سواء اهتدت إلىٰ الله الحق بمساعدة عوامل التوجيه والتثقيف فعرفته علىٰ حقيقته المتفردة المنزّهة عن الشبيه والشريك أم ضلت فتصورته في صورة ضالة أو أشركت معه آلهة أخرىٰ[٣] بسبب اتباع الهوىٰ والانقياد لدين الآباء والأجداد ، المهم أن الإنسان لا بد له من اعتقاد .

والإنسان يعتقد بفطرته قبل أن يستخدم الأدلة العقلية في إثبات وجود الله تعالىٰ ؛ لأن الوسائل الدَّالة علىٰ وجود الله في حسّه قويّة وكافية لتوجيهه نحو الإيمان[٤] . ومن وسائله عجزه إزاء الكيان الكوني من حوله عجزاً يبدأ حسياً لحظة ميلاده ، ويتغلب علىٰ بعض صوره إذا كبر ونما ، لكن عجزه يبقىٰ مستمراً في كثير من الحالات الحسيّة والمعنوية ، ومنها : عجزه عن زيادة نمو جسمه إذا توقف ، أو عجزه عن معرفة الغيب المستقبلي ، هذا إلىٰ جانب أنه مخلوق ضعيف ، تأخذه رهبة إزاء روعة الكون ، فالكون هائل واسع فسيح الأبعاد فأياً كان مستواه الثقافي والمدني فالكون مؤثر في حسّه ، يروعه بعظمته ، ويهزه من أعماقه ، هذا العجز يهديه إلىٰ قوة لا تعرف الضعف أو القصور ، وهذه الرهبة

---

(١) انظر : الله ذاتاً وموضوعاً ، عبد الكريم الخطيب/ ٢٥ .
(٢) متفق عليه . وتقدم تخريجه/ ١٠٨ .
(٣) انظر : منهج الإسلامية ، محمد قطب ٢/ ١٦١ .
(٤) انظر : الطفل بين الوراثة والبيئة ، محمد تقي فلسفي ٢/ ١٣٩ .

تهديه إلى الإقرار بأن وراءها صانعاً عظيماً مبدعاً[١] .

هذا التوحيد الفطري الذي يولد به الطفل ويبقى مركزواً في حسه إلى أن يموت مركوز أيضاً في هذا الوجود يدلُّ عليه شكل الكون وتناسق أجزائه وانتظام حركته واطراد قوانينه فالكون محكوم بناموس الوحدة الذي نشأ بمشيئة الله سبحانه[٢] ، والإنسان أمامه بما فيه من عظمة واتساع وإبداع وترابط وسير على نظام واحد لا يعتريه انتكاس ولا خلل مضطر إلى الاعتراف بقلبه أن وراءه خالقاً مدبراً مهيمناً متصرفاً فيه بالقدرة النافذة والحكمة البالغة والعلم الشامل[٣] . قال تعالى : ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٤] ، فلا مناص للإنسان إن أراد السعادة والراحة والطمأنينة إلا أن يؤمن بإله هذا الكون وأن يستقيم على منهجه في نفسه وفي نظام حياته وفي نظام مجتمعه ليحدث التناسق مع النظام الكوني كله فلا يتفرد بنظام من صنع نفسه لا يتوافق مع نظام الكون الرباني في حين أنه مضطر للعيش في إطاره وأن يتعامل معه بجملته[٥] ، وبموجب هذا التصور لا غاية ولا هدف ولا مقصود لكل موجودات الكون بما فيها الإنسان إلا الحق تبارك وتعالى ، وهي بجميعها مفطورة على الاتجاه إليه وحده شأن كل شيء في اتجاهه إلى مركزه ومرجعه[٦] .

فإيمان الإنسان أو الطفل يحقق هذه الغاية وهذا الهدف ، وهو التوافق مع الفطرة في النفس والكون ، والكفر مصادم للفطرة هادم لراحة النفس وطمأنينتها ، هل هناك شقاء أفدح من شقاء الروح وتمزقها؟ وهل هناك عذاب

---

(١) انظر : دراسات في النفس الإنسانية ، محمد قطب / ٢١٦ ـ ٢٢١ .
(٢) انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ٣/ ١٣٩٤ .
(٣) انظر : العقل والإيمان في الإسلام ، د. صابر طعيمة/ ١٩ .
(٤) آل عمران : ٨٣ .
(٥) انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ١/ ٤٢١ .
(٦) انظر : الحضارة الإسلامية ، أسسها ومبادئها ، أبو الأعلى المودودي/ ٦٧ .

أشد من عذاب الفطرة وتعاستها؟ وهل هناك مقام أوضع من مقام الحيوان الذي يهبط إليه الإنسان إذا تنكر لروحه وما ينميها؟ . . . . إنه مقام هابط خسيس يخسر بالرضا به مقام العبودية السامق.

الإنسان بما يملك من رصيد الفطرة والإيمان قادر على السمو والارتفاع وهو ما تهدف إليه الثقافة الإسلامية من ارتكازها على هذا الرصيد النقي في بناء شخصية الإنسان وإقامة حياته عليه ليرتفع إلى مكانه المناسب للقيام بشئون الخلافة في الأرض، وهي بذلك تنفرد عن أية ثقافة أخرى لا تملك هذا الرصيد فلا تستطيع السمو به فيتفرق في الضلال وينسلخ من دلائل الحق في نفسه وفي الكون من حوله ويتيه في مسالك الشيطان وهي مسالك الفكر المنحرف[1]، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ * مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2].

ثالثا: التزام منهجه تحقيق لمرضاة الله:

الإنسان حينما يجيب منادي الإيمان من قرارة نفسه بصدق وإخلاص وإرادة واختيار فيجد فيه ما يشبع جوعه الروحي ويسد تلهفه الفطري، ويجمع شعثه الفكري، عندها لا بد من أن يسمع لأوامره ويجتنب نواهيه، وينقاد لشرعه، ويتمثله في سلوكه الخارجي بعد تمثله إياه في داخله وأن يحتكم إليه في شئون حياته بعد أن حكم قلبه، إذ لا قيمة لإيمان بدون عمل، وأي ربح يحصل عليه الإنسان من إيمان لا يخرج عن نطاق القلب، ولا يظهر أثره على السلوك؟. قال

---

(١) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب/ ٦٠.

(٢) الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٨.

تعـالىٰ: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(١) .

فـالمعتـقـد الذي لا أثر لـه في الظاهـر لا يسـمىٰ إيمـاناً؛ لأن الإيمان يتـصف بالاسـتـقـرار القلبي الذي لا يخـالجـه شك أو تردد ولا يرافـقـه كـذب في الظاهـر أو نفـاق في السلوك بل هـو مـا وقـر في القلب وصـدقـه العـمـل ، قـال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢) . فـالمهتـدون والمفلحـون هـم الذين يؤمنون بالله تعـالىٰ، ويلتزمـون منهجه في نفوسهم وحياتهم، ويدركون أن الغاية من خلقهم والهدف من حياتهم عبادةُ الله تعالىٰ، وإقامة دينه، ونيل رضاه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(٣) . وبذلك يحققون وحدة في الاتجاه وراحة في الضمير ، وحدة في الاتجاه إلىٰ رب واحد في الفطرة واليقين والمنهج، وراحة في الضمير فيما يحققه اتجاههم إلىٰ الله تعالىٰ من بلوغ رضوان الله تعالىٰ، وهداية في السير علىٰ منهجه سبحانه الذي ارتضاه، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤) .

فـالمؤمن ذو هدف سامٍ يتطلع إليـه، ويحرص علىٰ بلوغـه، ويبذل في سبيل تحقيقه ما يملك من نفس ومال ووقت دون بخلٍ أو شحٍّ فإذا تعرض للفتور والغفلة فإن بين جوانحه ضميراً لا يفتر ولا يغفل، فإن فتر نشّطه وإن غفل نبهه، فهو يقظ

(١) سورة العصر كاملة.
(٢) البقرة: ٣ ـ ٥ .
(٣) الذاريات: ٥٦ .
(٤) المائدة: ١٥ ـ ١٦ .

على الدوام، وإن ركب محظوراً وخزه وخزاً شديداً لا يتوقف حتى يتوب أو يتطهر، كل ذلك في سبيل تحقيق ما يسموا إليه من رضوان الله تعالى الذي يتخذه هدفاً وغاية بكل مجهوداته ومساعيه في هذه الدنيا، فهذا نبي الله سليمان عليه السلام يدعو الله أن يوفقه إلى عمل يرضاه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[١]، وهذا صهيب[٢] ـ رضي الله عنه ـ يبيع نفسه ابتغاء مرضاة الله، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٣]، قال ابن كثير في تفسيره: (قال ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب[٤] وأبو عثمان[٥] النهدي وعكرمة[٦] وجماعة: نزلت في صهيب بن سنان الرومي. وذلك أنه لـمَّا أسلم بمكة وأراد الهجرة منعه الناس أن يهاجر بماله، وإن أحب يتجرد منه ويهاجر فعل، فتخلص منهم، وأعطاهم ماله، فأنزل الله فيه هذه الآية[٧] وبهذه الفعلة استحقَّ أن يهنأ بربح البيع وهكذا كل الأعمال لا خير فيها إن لم يقصد بها وجه الله تعالى. قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ

---

(١) النمل: ١٩.

(٢) أبو يحيى الرومي، عربي نمري، أسلم قديماً وشهد بدراً والمشاهد كلها، مات بالمدينة سنة ٨٨هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٥/ ١٤٧ رقم ١٢٢٦، والإصابة لابن حجر ٥/ ١٩٠ رقم ٤٠٩٩.

(٣) البقرة: ٢٠٧.

(٤) أبو محمد شيخ الإسلام، فقيه المدينة، المخزومي، أجلّ التابعين، توفي سنة ٩٤هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٥٤ رقم ٣٨، وتقريب التهذيب لابن حجر ١/ ٣٠٥ رقم ٢٦٠.

(٥) هو: عبد الرحمن بن مل، أدرك النبي ﷺ، وأسلم في زمنه، ولم يره، قدم المدينة بعد موت أبي بكر رضي الله عنه، شهد القادسية واليرموك. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٦/ ٨٩ رقم ١٤٦١، والإصابة لابن حجر ٧/ ٢٥٦ رقم ٦٣٧٥.

(٦) هو: عكرمة بن عبد الله البربري المدني، مولى عبد الله بن عباس، تابعي، من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، توفي بالمدينة سنة ١٠٥هـ. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٧/ ٢٦٣.

(٧) ١/ ٣٤٧.

إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1] . فمن يبتغي مرضاة الله لا يستوي ومن يبتغي سخطه فبينهما تفاوت بعيد ، ودرجات عالية ، قال تعالى : ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[2] . ورضا الله تعالى لا ينال إلا بالاستقامة على منهج الله تعالى الذي ارتضاه لعباده ديناً وسبيلاً ، قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[3] .

والمؤمن الحريص على رضا الله تعالى حريص على تحقيق منهج الله تعالى في كل شئونه ، وفي كل تصرفاته بنية خالصة وعمل دءوب ، ومن رحمة الله أن تكاليف هذا المنهج جاءت متوافقة مع فطرة الإنسان ، متناسبة مع طاقاته ، متلائمة مع طبيعة تكوينه[4] ، مما جعلها مواتية ميسّرة لا عنت فيها ولا مشقة ، فإذا كان الإنسان بجبلته محتاجاً إلى إيمان يملأ قلبه ، ومفطوراً على توحيد الله تعالى ، ومخلوقاً لإقامة دينه في نفسه وشأنه كله ، فلا معنى لحياته إلا أن تكون بأجمعها عبودية لله خالصة يحكمها منهج إلهي لا يضعه من تلقاء نفسه بل يشرعه الذي خلقه وأوجده وجعله عبداً من عباده وأبلغه إليه عن طريق الرسل والكتب وكفل هدايته واستقامته في اتباعها والاقتداء بنورها فوجب عليه ألا يقتبس نظام حياته إلا من مشكاتها[5] ولا يرضى غيرها قدوة ومنهجاً ، قال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي

---

(١) النساء : ١١٤ .
(٢) آل عمران : ١٦٢ ـ ١٦٣ .
(٣) المائدة : ٣ .
(٤) انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ١/ ٢٠٨ .
(٥) انظر : نظام الحياة ، لأبي الأعلى المودودي/ ١١ ، ١٢ .

إلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[١] .

رابعاً: التزامه تقوية للشخصية:

من الجوانب الرئيسة في إبراز أهمية الإيمان باعتباره أصلاً أكبر من أصول التكوين والبناء ـ جانب الشخصية في الفرد. فهذا الجانب نال اهتمام الأديان والفلسفات والمذاهب ، فكل واحد منها يرسم له صورة مأمولة، ويضع لبلوغه خطة مرسومة ويعد لتحقيق ذلك الوسائل بغية التأثير فيه وصياغته حسب رغبته وأمنيته.

والإسلام أصفى هذه النِّحل مشرباً، وأقومها نزعة ، وأنفسها غاية جاء متوافقاً مع فطرة الإنسان وناموس الكون؛ لأن مصدره الله تعالى العالم بطبيعة خلقه، قال تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٢]، وبذلك امتاز عنها جميعاً بفاعلية التأثير والتمكن من صياغة جوانبها على هديه.

وتأثير الإيمان يبدأ من القلب : مكان استقراره ، فإذا انغمر بالإيمان، واتصل بالله تعالى في جميع أحواله، واستشعر عظمة الله تعالى وقدرته، وأيقن أن الأسباب والمسببات بيد الله تعالى ورضي بما قسم الله له أضفى على شخص المؤمن قوة وأمناً وطمأنينة، وتكوّنت لديه إرادة ثابتة؛ لأن الإيمان بالله تعالى ذخيرة لا تعرف النفاد في مدّها الإنسان بالقوة والصبر والطمأنينة والأمل في معركة الحياة التي يحتدم فيها الصراع بين الخير والشر والحق والباطل، وحين ينأى الإنسان عن هذا النبع الغزير ، يعيش في ظمأ دائم، وحين ينصرف عن نوره الوضّاء يظل في ظلام دامس، ومن عاش في ظمأ وظلام لا يرجى له أن ينعم بحياة هادئة هانئة، أو يقطع مرحلة العمر في أمن واطمئنان[٣] ، بل يعيش قلقاً

---

(١) الشورى: ١٣ .

(٢) تبارك : ١٤ .

(٣) انظر : لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب/ ٣٤٣.

مضطرباً تتنازعه قوى الشر وتصارعه الأهواء من كل مكان، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾(١). إن بين الحياتين فارقاً واضحاً، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ * وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾(٢).

لا ريب أن للعقيدة أثراً واضحاً في تكوين الشخصية، فهي تغرس في نفس الإنسان معاني الكمال والعزة والقوة والسؤدد المستمدة من صفات الله العليّ وأسمائه حسنى، التي لا تلبث أن تتحول إلى سلوك يتمثله الإنسان في حياته فتصبح رداءه الذي يظهر به، قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٤). فصفة القدرة وحدها جديرة بأن تمنح الإنسان قوة في الشخصية، وثباتاً في طريق الإيمان، ويأخذ منها قوة في الإرادة لا توهنها الصعاب، وثقة في النفس تنصرها على الشهوات والأهواء، ويأخذ منها الشجاعة في الجهر بالحق مهما كلف الثمن، فلا يهاب أحداً، ولا يخشى في الله لومة لائم، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا لا تمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه»**(٥).

إن الخوف من المخلوقين والاستكانة للظالمين والحرص على الدنيا صفات

---

(١) الحج: ٣١.
(٢) فاطر: ١٩ ـ ٢٣.
(٣) الروم: ٥٠.
(٤) الأنعام: ١٢٢.
(٥) رواه الترمذي ٣/ ٣٢٧ رقم ٢٢٨٦ أبواب القدر، باب: ما أخبر النبي ﷺ وأصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، وقال: حديث حسن.

مهلكة لا يستطيع من اجتمعت فيه أن ينال المنى أو يتجاوز الصعاب أو يثبت في الخطوب ؛ لأنه يفقد قوة الإيمان التي تبعث في نفسه عزة وكرامة، وشجاعة وثباتاً، قال تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[٢] .

إن بناء شخصية أطفالنا على هذه القاعدة المكينة، ورسم شئون حياتهم حسب مقتضاها لخليقان بإعداد نشء قويّ الجنان، ثابتِ الإرادة، أهل لتحمل الصعاب والشدائد وهو ما حدث حقًا في عهد رسول الله ﷺ ، فعن سعد بن أبي وقاص[٣] ـ رضي الله عنه ـ قال: (رأيت أخي عمير بن أبي وقاص[٤] قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ للخروج إلى بدر فقلت: ما لك يا أخي؟ فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردني وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة. قال: فعُرِضَ على رسول الله ﷺ فاستصغره فقال: ارجع فبكى عمير فأجازه رسول الله ﷺ قال سعد: فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره فقتل ببدر وهوابن ست عشرة سنة)[٥] . فقاعدة الإيمان هي التي رفعت عميراً إلى ساحة القتال لنصرة الحق وإعلاء كلمة الله تعالى.

---

(١) آل عمران: ١٧٥ .

(٢) النساء: ٩٧ .

(٣) القرشي، الزهري، سابع سبعة في الإسلام، شهد بدراً والحديبية والمشاهد كلها، وأحد المبشرين بالجنة، فتح الله على يديه أكثر بلاد فارس، توفي بالعقيق قرب المدينة سنة ٥٥هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ١٧٠ رقم ٩٦٣ ، والإصابة لابن حجر ٤/ ٦٦٠ رقم ٣١٨٧ .

(٤) أخو سعد بن أبي وقاص، أسلم قديماً. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٩/ ٤٤ رقم ١٩٩٦ ، والإصابة لابن حجر ٧/ ١٦٨ رقم ٦٠٥٢ .

(٥) رواه البزار. انظر: مجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ٦٩ كتاب المغازي والسير، باب: غزوة بدر. وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

وعن الشعبي[١] أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد السيف فلم يطق حمله، فشدته على ساعده بنسعة[٢] ثم أتت به النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله! هذا ابني يقاتل عنك. فقال النبي ﷺ: **«أي بني احمل ها هنا فأصابته جراحة، فصرع فأتي النبي ﷺ فقال: أي بني لعلك جزعت؟ قال: لا يا رسول الله»**[٣].

هذه النماذج تكشف عن نوعية الإيمان الذي ملأ قلوب الصحابة، ومدى تمكنه من نفوسهم، فإن حركات الظاهر دليل على حركة الباطن.

فهي نماذج حيَّة للشخصية المسلمة التي نشأت في محضن الإيمان وتغذت عليه، حتى ظهر أثره واضحاً على كيانها الخارجي. قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[٤].

الإيمان بالله تعالى قوة محكمة تربط الإنسان بالله تعالى في جميع أحواله خوفاً وطمعاً، رجاء وخشية وتجعل ثقته بالله تعالى وطيدة، قال تعالى في فتية أهل الكهف: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٥].
فالمؤمن يعلم أن رزقه ومستقبله وحياته ووفاته بيد الله تعالى، يعيش رافع الرأس، عزيز الجانب، لا يذل نفسه ولا يهينها في سبيل أهداف هيّنة نصيبه منها

---

(١) هو: عامر بن شراحيل، ثقة، مات بعد المائة من الهجرة. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ١/ ٣٨٧.
(٢) النسعة ـ بكسر النون وتشديدها ـ: سير مشفور، يجعل زماماً للبعير وغيره. انظر: النهاية لابن الأثير ٥/ ٤٨.
(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٤/ ٤٠ رقم ١٨٦٢٩، كتاب المغازي، ما حفظه ابن أبي شيبة في أحد وما جاء فيها.
(٤) لقمان: ١٦ ـ ١٧.
(٥) الكهف: ١٤.

محتوم ، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**أيها الناس! إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه ، فلا تستبطئوا الرزق، واتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلَّ ودعوا ما حرّم**»[١] .

فإذا بذرت هذه التصورات في نفسية الطفل منذ ولادته وتعهدت بما ينميها ويرعاها أثمرت قوة في الجنان فلا يخالطه خوف أو رهبة من غير الله تعالى ، وأنتجت شعوراً حيًّا لا يعرف العبودية إلا لله تعالى ، وآتت بنظرة صادقة عزيزة للحياة لا ينطوي فيها ذلة ولا مهانة ، بل عزة وكرامة في ظل التوحيد .

خامساً: تحقيقه يثمر الاطمئنان:

من ثمرات الإيمان سلامة النفس من التمزق والاضطراب اللذين هما من أعراض المرض للبعد عن الله تعالى وخلو القلب من عبوديته ، والإيمان الصادق هو وحده الذي يقي النفس الإنسانية من هذا المرض ، ويمنحها طمأنينة وراحة وشعوراً بالسعادة ، قال تعالى : ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[٢] ، يطمئن القلب ويرتاح ؛ لأنه يسلم من كل الأسباب المؤدية إلى تمزقه واضطرابه ، فالإيمان وحّد للإنسان الغايات المتباينة في غاية واحدة هي رضوان الله تعالى ، وركز مجهوداته في العمل على ما يُرضي الله تعالى ، وأجاب عن كل الأسئلة التي خطرت على باله مما له تعلق بالغيب ويعجز عن الإجابة عليها بنفسه ، وتتوقف عليها حقيقة حياته ، ومنحه تصوراً واضحاً عن الله تعالى ويقيناً صادقاً بأنه لا ربَّ سواه يُخاف ويُرجى ، ولا إله سواه يُلتمس رضاه ويُجتنب سخطه[٣] ، أما النفس الخاوية من الإيمان ، فهي نفس غير مطمئنة تعاني من عذاب الضمير ، وشقاء الضياع ، وألم التشتت في

(١) رواه الحاكم ٤/ ٣٢٥ كتاب الرقاق، قال الذهبي في التخليص : صحيح .
(٢) الرعد : ٢٨ .
(٣) انظر : الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي/ ١٥ .

الوجهة ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾(١) ، يعلق علىٰ هذه الآية الأستاذ سيد قطب فيقول : (صورة صادقة لحال من يشرك بالله فيهوي من أفق الإيمان السامق إلىٰ حيث الفناء والانطواء ، إذ يفقد القاعدة الثابتة التي يطمئن عليها . . . قاعدة التوحيد ، ويفقد المستقر الآمن الذي يثوب إليه فتتخطفه الأهواء تخطف الجوارح ، وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح ، وهو لا يمسك بالعروة الوثقىٰ ، ولا يستقر علىٰ القاعدة الثابتة التي تربطه بهذا الوجود الذي يعيش فيه)(٢) ، هذه حال من يفقد سكينة النفس وينبوع السعادة فلا يجد في حياته طعماً ولا مذاقاً ـ وإن حفلت باللذائد والمرفّهات ـ ؛ لأنه لا يدرك لها معنىٰ ، ولا يعرف لها هدفاً ، ولا يفقه لها سراً ، فكيف يظفر بسكينة النفس وانشراح الصدر(٣) ، يعيش قلقاً مضطرباً لا يعرف في حياته راحة ، ولا أمنا ، ولا يحس سعادة ، ولا تنعُّماً ؛ لأنه حُرم الإيمان وصدّ عن الهداية ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ * وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾(٤) .

إن المجتمعات المادية الكافرة تعيش حياة القلق والاضطراب المتفاقم إلىٰ حد الجنون والتخلص من الحياة بالانتحار ، وقد أدّىٰ الاستعلاء المادي في الفكر والحضارة الذي تعيشه هذه المجتمعات إلىٰ تصدع النفس الإنسانية ، وتفرق كيانها ، وظهور عقد انفصام الشخصية ، وقد عَجز العلم بوسائله المتطورة عن أن يسكن هذه الآلام التي تعاني منها النفس البشرية ، وباءت كل محاولاته بالإخفاق

(١) الحج : ٣١ .
(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ٤/ ٢٤٢١ .
(٣) انظر : الإيمان والحياة ، د . يوسف القرضاوي/ ٩٤ ، ٩٥ .
(٤) طه : ١٢٤ ـ ١٢٧ .

بل زادتها تمزقاً وتصدّعاً وضياعاً مما يثبت أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش في فراغ من الإيمان ، وأن حياته في خطر إذا ظلت هذه المجتمعات تتجاهل هذه الحقيقة[١] ، وأنه لا سبيل إلىٰ إنقاذ النفس البشرية إلا بالعودة إلىٰ الإيمان والاعتصام به فهو الطريق الوحيد لحماية الإنسان من الوقوع في الخطأ ، والتخفيف من حدّة التوتر الذي يسببه له تصارع الدوافع والاتجاهات ، ومنح الإنسان شعوراً بالأمن النفسي والفكري حينما يسلك سلوكاً يستند إلىٰ الدين ، وفي ظلال الإيمان يعيش الفرد في إطار نفسي وفكري يستمد منه أنماطاً سلوكية سليمة[٢] تدفعه إلىٰ الانضباط وتوفر له الراحة والسعادة ، وتحثه علىٰ التقدم والمضي في الحياة .

والإيمان أقوىٰ مصدر لحياة النفس وأعظم طاقة تمدها بالحيوية واليقظة ؛ فالإيمان بعلم الله الواسع ، وإحاطته الشاملة ، وحسابه الدقيق الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وجزاؤه العادل يجعل النفس يقظة مرفهة قائمة علىٰ المراقبة والمحاسبة النفسية ، متدبرة في عاقبتها ، ولا تظلم ولا تخون ، ولا تتطاول ، ولا تجحد ما عليها ولا تدعي ما ليس لها ، ولا تعمل في السر ما تستحي منه في العلانية[٣] ، قال تعالىٰ : ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[٤] . وهذا غاية الأمن الاجتماعي والنفسي الذي ينعم به المولىٰ عن عباده الموحدين ، ويسلبه من الكافرين ، قال تعالىٰ : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[٥] .

---

(١) انظر : مفاهيم العلوم الاجتماعية ، أنور الجندي / ٥٣ .
(٢) انظر : أضواء علىٰ التربية في الإسلام ، علي القاضي / ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .
(٣) انظر : الإيمان والحياة ، د. يوسف القرضاوي / ٢٣٠ ـ ٢٣١ .
(٤) البينة : ٨ .
(٥) النحل : ١١٢ .

وإذا كنا بصدد بناء شخصية الطفل المسلم فإن غرس أركان الصحة النفسية في نفسه منذ الأيام الأولىٰ، وزيادة العناية به حين يبلغ سن التقبل لعناصر الإيمان أثناء تفتح مداركه العقلية، لها أهمية عظمىٰ؛ إذ سيخرج إلىٰ الحياة الواعية وهو يحمل رصيداً كبيراً من الأسس النفسية السليمة القائمة علىٰ الصلة بالله تعالىٰ، ويقظة الضمير مما سيكون له أكبر الأثر في توحيد فكره، واستقامة سلوكه، وقوة إرادته، وفي السيطرة علىٰ كافة نزعاته، وفي التغلب علىٰ انفعالاته، وفي اجتياز الصعوبات التي تعترض له في حياته[1].

ولا شك أن توفير الأمن النفسي لأطفالنا، وإزالة كل مظاهر الخوف والقلق من أنفسهم، لا سبيل إلىٰ بلوغه إلا بالإيمان بالله تعالىٰ وإلقاء بذوره في نفوس الناشئة منذ ولادتهم، والعمل علىٰ إشعارهم بالأنس بمن حولهم من كائنات وحوادث كونية مستقرة أو متقلبة مع ربطها بالله تعالىٰ، لبيان عظمته وقدرته، وبيان أسباب حدوثها بلسان يتناسب مع فهمهم وإدراكهم ورعاية كل ذلك في نفوسهم علىٰ مرّ الزمن ليكسبوا ثقةً بالله تعالىٰ وأُنْساً بمخلوقاته، ومن ثم تتلاشىٰ أسباب الخوف والقلق؛ لوضوح أسبابها عنده، مثل الظلام والبحر والحيوانات والرياح الشديدة والأمطار والبرق والرعد[2]. فربطُ هذه الحوادث بالله تعالىٰ، وتقريبها إلىٰ ذهن الطفل، من أسلم الوسائل لوقاية الأطفال من الخوف والقلق، ومن أعظمها تأثيراً في بناء الأمن النفسي لديهم.

سادساً: إدراكه إدراك للمعنى السامي للحياة:

تتباين تصورات الناس أو تختلف مسالكهم في أمر الحياة علىٰ اختلاف مشاربهم وعقائدهم التي يستمدون منها النظرة ويأخذون منها المنهج، فالكافر باليوم الآخر ينظر إلىٰ الدنيا نظرة المفتتن بزينتها، المعجب بزخرفها، المنخدع

---

(١) انظر: أضواء علىٰ التربية في الإسلام، علي القاضي/ ٢٧٩.
(٢) انظر: التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، لعبد الرحمن النحلاوي/ ١٣٧ ـ ١٣٨.

بغرورها، ويسلك فيها مسلك الضائع التائه لا يعرف سبيلاً قواماً يسلُكه في تعامل مع مظاهرها وصروفها إلا سبيل الشهوة القريبة، والتنعم المحسوس، والاستغراق في ملذاتها. ذلك عنده لهدف، نيله المنى، إذا ضاقت عليه الدنيا بسعتها ولم يجد ما يشبع شهواته، أو يسد نهمه، جزع وضجر وضاق ذرعاً، قال تعالى في وصف حاله: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ﴾(١). يجزع، ويضجر، ويضيق، لفوات نعيم الحياة الذي هو مبلغه من العلم، وغايته من الوجود. قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾(٢).

أما مبلغ المؤمن وغايته فيتجاوز هذه المتع القليلة والزخارف الخادعة والنعيم الفاني إلى حياة أسمى وأرفع وإلى نعيم أدوم وأبقى، فحياة الكافر في النظرة الأولى لا تفترق ولا تزيد على نظرة الحيوان البهيم الذي لا تتعدى حياته حياة إشباع الشهوة والغريزة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾(٣). والإنسان الكافر ـ مع ضعة مكانته ـ يعيش ضالا في فكره وتصوره، هائماً في معاشه، لا يدرك لحياته معنى ولا قيمة يتخبط في زحام الحياة، تائهاً وراء لمعان السراب الخادع يحسب أن وراءه ماء يروي ظمأه الروحي، ويشبع حاجته المعنوية حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً وبقي حائراً متعباً لا يجد في حياته لذة متصلة، ولا يدرك فيها معنى مقنعاً بل لا يحصل منها إلا على الخيبة والإخفاق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(٤).

---

(١) المعارج: ١٩ ـ ٢٢.
(٢) النجم: ٢٩، ٣٠.
(٣) محمد: ١٢.
(٤) النور: ٣٩.

وفي مقابل هذه الحياة التائهة التي يحياها الكافر في دنياه يأتي الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر بصورة مضيئة كلها أمل وسعادة وفلاح، قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ﴾(١) ، ويعطي الإنسان تصوراً بديعاً يتفق مع فطرته التي خلق عليها، ويتسق مع فطرة الكون التي انتظم عليها، فالدنيا في نظر الإسلام ليست شيئاً يستحق النبذ والازدراء، ولا بشيء يستحق الولع إلى حد نسيان النفس وراء ملاحقة ملذاتها ومباهجها، فلا يصح اجتنابها، ولا الانغماس فيها، بل هي حياة وسط بين هاتين الحياتين، وعلاقته بها علاقة المسئول عن استخدام مظاهرها ، والانتفاع بمتعها أمام الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٢) ، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(٣) .

هذه الخلافة التي امتاز بها الإنسان عن سائر المخلوقات وأهل لتحملها تقتضي حمل النفس على منهج الله تعالى، والخضوع لأمره والوقوف عند حدوده وهذا على ما فيه من تبعة ومسئولية فيه تكريم للإنسان وتشريف له ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(٤) .

الإيمان وحده الذي يحدد للإنسان هدفاً سامياً في حياته، باعتباره خليفة في الأرض، مسئولاً عن إعمارها ونشر الخير والصلاح فيها، وبذلك تسمو به العقيدة إلى ذرا الكرامة ، وآفاق الخير ، وتجعل لحياته معنى الوجود الحق، لا الوجود المادي المثقل بالحس وجواذب الأرض (٥) المنصاع لشهوات الدنيا

---

(١) السجدة: ١٨ .
(٢) البقرة: ٣٠ .
(٣) يونس: ١٤ .
(٤) الإسراء: ٧٠.
(٥) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب/ ٣٣٨ .

وزخارفها ولا يعني هذا أن الإيمان يتنكر لزينتها ويحرم الانتفاع بها ، بل يقرر القرآن الكريم أنها مزينة للنفس البشرية دون حاجة إلىٰ كبت هذا الإحساس الطبعي ، قال تعالىٰ : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(١) ، فهل يعني كونها مزينة للنفس البشرية أن تكون غايةً للحياة يُوليِّها الإنسانُ وجهته ، ويصرف لها جهده وطاقاته وهي متاع قليل والله عنده حسن المآب ، قال تعالىٰ : ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾(٢) . إن هذه الغاية تسفل بالإنسان إلىٰ مصاف غاية الحيوان كما ذكرنا ، وغاية المؤمن أبعد وأسمىٰ ، فهو ـ وإن حدثته نفسه بملذات الدنيا واستهوته زينتها ـ فإن انتفاعه بها محدود بكفايته وحاجته دون انهماك فيها يلهيه عن غايته العليا أو يشغله عن السير في أسبابها ، قال تعالىٰ : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾(٣) ، إن هذه النظرة تتسامي بالإنسان وتأبىٰ عليه أن يقتصر علىٰ الدنيا المنتهية بالفناء والعدم ، قال تعالىٰ : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾(٤) ، فنظرة هؤلاء الدهريين نظرة قريبة لا تمتد إلىٰ عالم آخر يلي هذا العالم المحسوس ولا تؤمن بحياة أخرىٰ تلي الدنيا ، وعلىٰ هذه النظرة المحدودة بنوا نظرياتهم وأفكارهم وأهدافهم .

إن عقيدة الإيمان باليوم الآخر تغير نظرة الإنسان إلىٰ حياته رأساً علىٰ عقب وتحمله تبعة تصرفاته وتشعره بالمسئولية نحوها وتدفعه إلىٰ العمل الصالح الذي يثمر سعادته في الحياتين(٥) ويبلغ به الغاية ويحرز به الملك العريض ، قال

---

(١) آل عمران : ١٤ .

(٢) التوبة : ٣٨ .

(٣) القصص : ٧٧ .

(٤) الجاثية : ٢٤ .

(٥) انظر : الحضارة الإسلامية ـ أسسها ومبادئها ، أبو الأعلىٰ المودودي/ ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

تعالىٰ : ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(١) .

بهذا الإيمان يدرك الإنسان معنىٰ الحياة المنتظمة ذات المنهج المرسوم والهدف المحدد، فيعيش فيها سعيداً آمناً مطمئناً لا يرضىٰ الذل، ولا يبالي بالمتع الفانية ولا توهن عزمه المصاعب، ولا تضعف بأسه المكاره يتغلب عليها جميعاً بروح الإيمان الذي يملأ جوانحه عزّة وطموحاً ومضاءً وقوّة.

هذا المعنىٰ الذي يضفي علىٰ الحياة نضارة وانتظاماً وسعادة هو ما ينبغي أن يُنَشَّأ عليه أطفال المسلمين منذ صغرهم، وأن تُرسم صورته في أذهانهم، وأن يُقام عليه سعيهم في الحياة وهو من الأهمية إلىٰ درجة ورد غالباً في وصية لقمان عليه السلام لابنه علىٰ وشيجة الأبوة إذا اعترض داعيها مع داعيه، يبذره لقمان في نفس ابنه ويذكره بقدرة الله العظمىٰ التي لا تعرف العجز، وبعلمه الواسع الذي لا يعرف الجهل، وبحسابه الدقيق الذي لا يتطرق إليه الظلم، قال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾(٢) .

إن تبصير أطفالنا باليوم الآخر من الأمور الأساسية التي يجب أن تلقي عناية من بداية نشأتهم، لما لها من تأثير في سلامة قلوبهم، واستقامة سلوكهم وهدايتهم إلىٰ طريق الصلاح، وعمارة الكون. يقول الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في هذا الشأن داعياً إلىٰ تذكير الصبي بـ : (أن الدنيا كلها لا

---

(١) الحديد: ٢١.

(٢) لقمان: ١٤ ـ ١٦.

أصل لها إذ لا بقاء لها، وأن الموت يقطع نعيمها، وأنها دار ممر، لا دار مقر، وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر، وأن الموت مُنتظَر في كل ساعة، وأن الكيِّسَ العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى، ويتسع نعيمه في الجنان، فإذا كان النشوء صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ واقعاً ومؤثراً ناجعاً يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر، وإن وقع النشوء بخلاف ذلك . . . نبا قلبه عن قبول الحق نَبْوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تُراعى)[1].

والاستهانة بتبصير أطفالنا باليوم الآخر مؤدية إلى تنشئتهم على الضلال الذي تشقى به نفوسهم، وتتعذب بمسالكه حياتهم، فيحرمون وضوح الإيمان، وإشراقة الهدى في مستقبل حياتهم.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٣/ ٧١.

المبحث الثالث

طرق تكوين البناء الإيماني

أولاً: التدرج:

اقتضت سنَّة الله تعالىٰ في الإنشاء والبناء أن يتخذ التدرج وسيلة لبلوغ الكمال والغاية، هي سنَّة مطردة في خلق الله تعالىٰ وقاعدة عامة في الأحياء.

وبناء النفس البشرية خاضع لهذه السنَّة، فيولد الطفل عاجزاً عن القيام بشأنه ورعاية نفسه، لا يجلب لها نفعاً، ولا يدفع عنها ضرراً، ولا يفقه من أمره شيئاً، قال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]. ثم ينمو شيئاً فشيئاً، وتتنبه بعض قواه الحاسة والعقلية قليلاً بالتدريج بعضها قبل بعض، حسب أولوية حاجة الإنسان إليها منها خصائص منفردة لا بد من مسايرتها ومراعاتها أثناء عملية البناء الثقافي لتفادي ما ينشأ عن إهمالها من أضرار علىٰ حياة الإنسان. فالنمو العقلي مثلاً، لا تكون قدرته علىٰ الإدراك في بداية نموه مثل قدرته التي يصل إليها في نهايته[2]، وكذلك النمو الإيماني - وهو ذو صلة بالنمو العقلي - لا يمكن أن يصل الطفل فيه إلىٰ اليقين والتصديق وهو في سن المهد والتهيؤ الفطري.

إن مراعاة التدرج في عملية بناء الطفل الإيماني ضرورة نفسية وعقلية فالسجيّة الإنسانية بطبيعتها لا تقبل التغيير المفاجئ أو البناء الفوري، بل لا بد من مراعاة سنَّة التدرج باتزان وحكمة، والأخذ بالاعتبار فطرة الإنسان وطاقاته

---

(١) النحل: ٧٨.

(٢) انظر: علم النفس التربوي في الإسلامي، د. المقداد يلجن وزميله/ ٨٦.

واستعداداته أثناء عملية البناء[١] ، فإن له أثراً مشهوداً في نماء عناصر الإيمان في قلب الطفل ، وتثبيت قاعدة البناء الإيماني في نفسه ، وهذا التدرج هو سنَّة الله في نزول القرآن الكريم ، قال تعالىٰ : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[٢] ، فرَّقه الله تعالىٰ ليكون أوعىٰ للنبي ﷺ، وأيسر علىٰ العامل به وأثبتَ للقلب [٣] ، وكذلك إنشاء القاعدة الإيمانية في مرحلة الطفولة ذات الأطوار المختلفة والاستعدادات المتغايرة في حاجة إلىٰ التدرج حسب تطور مراحلها بدءاً بالأهم والأولىٰ وإلىٰ مراعاة سهولة العرض لقضايا العقيدة، وعدم تكليف الطفل ما لا يطيق من المسائل الدقيقة التي تكد الذهن، أو تتعب العقل دون جدوىٰ أو فائدة ، بل الأجدر أن يبدأ بالأسهل وهو المناسب لنمو الملكات. . . وتكون غامرة في عمر الرضيع، كامنة نائمة ثم تهب واحدة واحدة، ولا تزال كذلك حتىٰ تبرز جميعاً في سن الرشد[٤] .

وبناء العقيدة يمرّ بثلاث مراحل متداخلة :

أ ــ مرحلة الفطرة والتلقين:

يُولد الطفل متهيئاً للإيمان علىٰ العهد الذي أخذه الله تعالىٰ علىٰ بني آدم وهم في عالم الذرّ ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾[٥] ، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة**»[٦] ، والفطرة هي :

(١) انظر : الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، محمود الجوهري وزميله/ ٩١ .
(٢) الفرقان : ٣٢ .
(٣) انظر : تفسير القرطبي ١٣/ ٢٨ .
(٤) انظر : النسل والعناية به، عمر رضا كحالة ٢/ ١١٥ .
(٥) الأعراف : ١٧٢ .
(٦) متفق عليه : تقدم تخريجه/ ١٠٨ .

قدرة كامنة في نفس الطفل تعرُّفه بالله تعالىٰ وتوصله به وتحمله على الاستعانة بالله تعالىٰ والتزوّد من زاده، وطريقتها في ذلك خفيّة تستيقظ بمعونة خارجية مثل القدرة على النطق تكون كامنة في نفس الطفل فتحتاج إلىٰ معونة خارجية توقظها وتنميها ليتم الاستفادة منها[١] وهذه المرحلة التي تتفتح فيها مشاعر الطفل وتستيقظ فيها فطرته جديرة بأن يستغلها القائمون على تثقيف الطفل بترسيخ أسس الإيمان في نفسه، وتوجيهه نحو الله تعالىٰ[٢] .

فالبناء الإيماني تستند إليه جميع الجوانب الشخصية فهو جدير بالأولوية والعناية المبكرة يبدأ بإسماع الطفل كلمة التوحيد وألفاظ الأذان وبعض الذكر، وبعد السنة الأولىٰ من ميلاده يلقن نفس العبارات السابقة ويطلب منه النطق بها، ثم يعرَّف بالله تعالىٰ وبالرسول ﷺ . . وهكذا مما له صلة بأمر العقيدة، ولا يصح الاستهانة بهذا الأسلوب خاصة في أيام الطفل الأولىٰ، فهو يلعب دوراً مهمّاً في تكوين أفكاره الشخصية التي يدافع عنها ويُغار على المساس بها[٣] ، وهذا يوضح سرّ مبادرة الرسول ﷺ في تلقين الأطفال الشهادة في الأيام الأولىٰ من الميلاد . فعن أبي رافع ـ رضي الله عنه ـ قال: «**رأيت رسول الله أذَّن في أُذن الحسين ابن علي حين ولدته فاطمة**»[٤] .

والبيئة لها دور رائد في المحافظة على صفاء الفطرة وتوجيهها نحو التوحيد، ولها أثر في تشويهها وكبت مبتغاها .

ب ـ مرحلة التلقي والتعليم:

مع نمو حواس الطفل وتفتّح مداركه يبدأ بالتعرف على الأشياء التي حوله

---

(١) انظر: دراسات في النفس الإنسانية، محمد قطب/ ٢١٥ .
(٢) انظر: الطفل بين الوراثة والبيئة، محمد تقي فلسفي ٢/ ١٣٩ .
(٣) انظر: علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ٢٦١ .
(٤) رواه الترمذي وأبو داود: تقدم تخريجه/ ١٩٣ .

ويحاول إدراك عللها، ويسأل عن قضايا ذات صلة بالعقيدة مثل الأسئلة التالية:

- من خلق السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم؟
- من الذي يأتي بالنور والظلام ويحدث الرعد والبرق والمطر؟
- من أين يأتي المولود؟ وكيف جئت؟ ومتىٰ أكبر؟

وهكذا . . . لفيف من الأسئلة يلقيها علىٰ والديه، تزداد كلما زاد علمه واطلاعه علىٰ المظاهر الكونية المثيرة[١]، وعلىٰ القائمين بتثقيفه من الوالدين والمعلمين أن يعتنوا بهذه الأسئلة وأن يجيبوا عنها بأسلوب سهل يتناسب مع فهمه، وأن يربطوها ما أمكن بالأشياء المشاهدة ليتحقق له فهمها والاقتناع بها؛ إذ يصعب علىٰ الطفل إدراك الأمور المعنوية في بداية هذه المرحلة، ولا بأس أن يستعينوا في تفهيمه إياها بالترغيب الحسي والمادي[٢] مثل ربط النعم المحسوسة بالله تعالىٰ، وربط عظمة الكون بعظمة الله تعالىٰ، وإن كان بعد بلوغه مرحلة التمييز والمضي فيها يمكن أن يدرك بعض المعاني اليسيرة. ومن هذه الإجابات التي يسمعها الطفل حول أسئلته تتكون عنده مفاهيم جديدة تتعلق بالله تعالىٰ، وبأصول الإيمان، فيتشربها ويتمثلها في سلوكه، وتصبح أفكاره جزءاً كبيراً من كيانه الشخصي[٣].

وللقدوة في هذه المرحلة دور فعّال في تأصيل الإيمان في نفوس الأطفال؛ إذ الطفل مائل إلىٰ تقليد ومحاكاة من من حوله من الآباء والمربين، ويمتص بها كثيراً من أفكارهم ومشاعرهم، والنفوس مجبولة علىٰ التأثر بمن حولها، لذا بعث الله رسله مبشرين ومنذرين، واختارهم من البشر ليتحقق الاقتداء بهم، قال تعالىٰ:

---

(١) انظر: دراسات في النفس الإنسانية، محمد قطب/ ٢٢٤.
(٢) انظر: علم النفس التربوي في الإسلام، د. المقداد يلجن وزميله/ ٣٢٢.
(٣) انظر: الأسرة والطفولة، د. زيدان عبد الباقي/ ٢٢٢.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[١] ، وليقوموا بوظيفة التعليم والتثقيف لأممهم ، قال تعالىٰ : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[٢] ، وتعليم الطفل أمور الإيمان من الأهمية ؛ إذ عقيدته التي تلقاها في المرحلة السابقة عن طريق التلقين لا تخلو من ضعف فهي بحاجة إلىٰ مايقويها في نفسه ويرىٰ الإمام الغزالي أن التعليم وسيلة لتقوية الإيمان في نفس الطفل ، فيدعو إلىٰ شغل الطفل بقراءة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ، والاشتغال بالعبادة ؛ إذ يزداد بها رسوخاً وثباتاً في الإيمان ويرىٰ أن هذه الأسباب كالسقي والتربية لما يلقي من بذور في مرحلة التلقين[٣] . وعلىٰ المعلم أن يراعي في ذلك : السهولة في الأسلوب ، والدقة في العرض ، والبداهة في الإجابة ، والتدرج من المحسوس إلىٰ المعقول ومن الجزئي إلىٰ الكلي حسب رقي فكر الطفل وسعة مداركه ، وأن يركز علىٰ الجوانب المؤثرة في سلوكه مثل بيان الصفات الإلهية الأقرب تصوراً من الإنسان والتي تشعره بأن ربه قريب منه بحيث يراه ويرعاه[٤] ومثل صفات المعية والإحاطة والعلم الواسع فهذه الصفات لها فائدة جليلة في بناء تصور الطفل عن الله تعالىٰ وفي تحريك عاطفة المحبة والخوف والخشوع والتقديس .

جـ ـ مرحلة اليقين والبصيرة:

ومع تقدم سن الطفل في نهاية مرحلة التمييز تنكشف للطفل معاني بعض المفاهيم التي أخذها عن طريق التلقين شيئاً فشيئاً إلىٰ أن يصل إلىٰ درجة اليقين

---

(١) الأحزاب : ٢١ .

(٢) الجمعة : ٢ .

(٣) انظر : إحياء علوم الدين ، الغزالي ١/ ٩٩ ، ١٠٠ .

(٤) انظر : علم النفس التربوي في الإسلام ، د. المقداد يلجن وزميله/ ٢٥٨ .

الراسخ[١] ، والثبات الإيماني ، والاستقرار العقدي ، فتتضح له كثير من القضايا التي كان يجهل معناها ، مثل فكرة الألوهية ، وفكرة الخلق والبعث ، وفكرة الخلود وما يتصل بها ، وفكرة الرسل والملائكة ، ومع هذا الوضوح المتدرج تأخذ العقيدة مكانها في قلبه وعقله[٢] ، ويقرب تصوره إياها من درجة الاكتمال - وعلى الخصوص في مرحلة المراهقة ، حيث النضج العقلي ، ومقاربة اكتمال الإدراك المعنوي عندئذ يتجه إلى أخذ العقيدة عن بصيرة ووعي ويتخلص من تقليد الآباء ، ويتبع الحق لذاته [٣] وقد ذمَّ الله تعالى الذين يعطلون بصيرتهم ووعيهم الفكري ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾[٤] ، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٥] .

وللمربين دور بارز في إثارة تفكير الطفل وتكوين الرغبة العاطفية عنده في الاعتقاد ، فالنعم المحسوسة التي يتنتفع بها الطفل وسيلة إلى إثارة عقله ووجدانه للتفكير فيها ، ومن ثم تدفعه للتفكير في واهبها ، وكذلك تقديم الأدلة العقلية الدَّالة على قوة الله وعظمته مما له تعلق بنفسه أو بالكون حوله قال تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[٦] ، وإقناعه أن في الإيمان مصلحة للبشر ، وفيه راحتهم نفسيا واجتماعيا[٧] ، قال تعالى : ﴿فَمَن يُؤْمِن

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين ، للغزالي ١/ ٩٩ .
(٢) انظر : الأسرة والطفولة ، د. زيدان عبد الباقي/ ٢٢٤ .
(٣) انظر : شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، لابن أبي العز الحنفي/ ١٩٢ ، ١٩٣ .
(٤) البقرة : ١٧٠ .
(٥) الأعراف : ١٧٩ .
(٦) فصلت : ٥٣ .
(٧) انظر : فلسفة التربية الإسلامية في القرآن ، علي خليل أبو العينين/ ١٨٢ ، ١٨٣ .

بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا﴾[١] ، كل هذه الأمور تُعدّ أساليب مثمرة في غرس العقيدة، والوصول بالطفل إلىٰ درجة اليقين والثبات .

ثانياً: القدوة:

تُعد القدوة من أكثر الوسائل نفعاً في غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الناشئة، وأكثرها ملاءمة للتأثير في النفس البشرية، لذا اقتضت حكمة الله تعالىٰ وإحاطته بدخائل النفس أن يصطفي رسلاً من البشر لتبليغ دعوة الإيمان والتوحيد، لعلمه سبحانه أنه لا بد من قلب إنسان يحمل المنهج الرباني ويحوله إلىٰ حقيقة مشهودة ، لكي يعرفه الناس فيتبعوه[٢] ، قال تعالىٰ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٣] .

ولقد كان رسول الله ﷺ أكبر قدوة بشرية اجتمعت فيها صفات الكمال وإيحاءات التأثير، وأعظم شخصية تمثّلت فيها تعليم القرآن الكريم والتزمت أحكام المنهج الإسلامي المتكامل ، فكانت شعلة للهداية ، ومثالاً للاستقامة وقمة في الحكمة والدراية : يقتبس الثقلان من نورها ويتربيان علىٰ هداها، ويستمدان منها خلاصة الفكر والحُنكة ، قال تعالىٰ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤] ، وقد اصطفىٰ الله نبيه محمداً ﷺ من بين سائر خلقه واصطنعه علىٰ عينه، وملأ قلبه بالإيمان واليقين ، ربّىٰ فيه الخشية ودقة المراقبة ، وألبسه حلة من الأخلاق الكريمة، وثوباً من السجايا الرفيعة تأهيلاً له لتحمل الرسالة الخاتمة، وليكون أسوة حسنةً للعالمين. (وفي القرآن الكريم لفتات بديعة يتوجه بها الخالق إلىٰ رسوله وهي تفصح عن مدىٰ عنايته به ،

---

(١) الجن : ١٣ .

(٢) انظر : منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ١/ ١٨٠ .

(٣) الممتحنة : ٦ .

(٤) الأحزاب : ٢١ .

وتربيته له، وتعليمه بما يلقنه أو يقصّ عليه)[١]، منها قوله تعالىٰ: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[٢].

ولفتة أخرىٰ تأتي بعد ذكر جمع من الأنبياء والرسل عليهم السلام يأمر فيها المولىٰ سبحانه نبيه ﷺ بالاقتداء بهم (في نفي الشرك وإثبات التوحيد وتحمل سفاهات الجهال)[٣]، قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٤].

إن تمثل الرسول ﷺ للإيمان في مشاعره وأفكاره، وتحركه به بين الناس، أكسب الإيمان تأثيراً في النفوس، وساعد علىٰ انتشار الإسلام بين الناس، وقد ذكر علماء التربية أن الإيحاء العملي أقوىٰ أثراً في التربية من الإيحاء النظري.

فإذا قلت لطفلك: لا تخف وأنت ترتعش من الخوف كان سريان خوفك إليه أقوىٰ من الأقوال التي تنادي فيها بعدم الخوف مهما تكن بليغة مؤثرة، وإذا أردت أن توقد في الناس حماسة فلا بد من أن تكون أنت متقداً حماسة، والحماسة الكاذبة لا تنتج إلا حماسة كاذبة أو متكلفة[٥]، فكذلك إذا أراد المربي أن ينشأ الطفل علىٰ التوحيد فلا من أن تكون أقواله وأفعاله بعيدة عن الشرك مطابقةً للتوحيد الخالص.

---

(١) في ضوء القرآن والسنة، د. التهامي نفرة/ ٥٥.
(٢) الكهف: ٢٣ ـ ٢٤.
(٣) تفسير الرازي ٧/ ٧٤.
(٤) الأنعام: ٨٩ ـ ٩٠.
(٥) انظر: في ضوء القرآن والسنة، د. التهامي نفرة/ ٥٠.

والقدوة من أنجح الوسائل في إرساء قواعد الإيمان في مرحلة الطفولة ؛ إذ يكون الطفل مندفعاً برغبة خفية إلىٰ المحاكاة والاقتداء بمن يعجب به[١] فهي إيجابية إذا كان القائم علىٰ تثقيفه وتربيته مؤمناً ، فعباد الرحمن يجتهدون في الدعاء أن يهبهم الله تعالىٰ ذرية مهتدية تقرّ بها أعينهم وأن يوفقهم لأن يكونوا قدوة لهم ، قال تعالىٰ : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٢] . وتكون سلبية إذا كان المربي كافراً ، وقد نبَّه القرآن الكريم إلىٰ ضرر هذه القدوة علىٰ الناشئة ومتابعتهم إياها ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[٣] .

والقدوة وحدها لا تكفي ، فلا بد من أن يصحبها التلقين القائم علىٰ منهج رباني ، ذلك أن أموراً بأعينها لا بد من التلقين والتوجيه وهو أمر تحتاجه النفس البشرية في تدرجها نحو الكمال ولا تستغني عنه خصوصاً الأطفال الذين لا تتسع مداركهم لفهم حكمة كل تصرف يقوم به الكبار ، فتبقىٰ حاجتهم للتلقين[٤] ، ولا يكون التلقين مؤثراً إلا إذا رافق قدوة حيّة ؛ لأن تقديم العقيدة في قوالب جامدة لا حياة في مقدمها لا يخلق في الإنسان المراد تثقيفه حركة ولا تفاعلاً ولا يترك أثراً في النفس أو السلوك .

والذي أخلص إليه : أن القدوة من أقوىٰ الطرق المفيدة في بناء عقيدة الطفل وأن علىٰ الأولياء والمربين أن يستفيدوا منها في بناء أجيال مؤمنة تتمثل الإيمان فكراً وسلوكاً ، وتحافظ علىٰ صفائه ونقائه ، وتدفع كل مايمسه من شوائب وتحريف ، وأن يشخصوا لهم سيرة الرسول ﷺ لتكون لهم القدوة الأولىٰ يؤمنون

(١) انظر : أصول التربية الإسلامية ، عبد الرحمن النحلاوي/ ٢٣٢ .
(٢) الفرقان : ٧٤ .
(٣) الزخرف : ٢٣ .
(٤) انظر : منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ٢/ ١٢٢ .

بإيمانه ويستضيئون بنوره ويهتدون بهديه وأن تجلو لهم سيرة الخلفاء الراشدين أصحاب رسول الله ﷺ الهداة المهتدين، فأخبارهم خير نبراس يضيء طريقهم في الحياة ويغرس في نفوسهم محبتهم، ويرغبهم في السير على منهجهم وأن يحرصوا على اختيار القدوة المؤهلة ذات الاعتقاد السليم في السلوك المستقيم وأن يَقُوهم صحبة السوء؛ لما لها من أثر في نقل الأفكار المنحرفة والمبادئ الآثمة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾[1].

ثالثاً: توجيه العواطف[2]:

هذه الطريقة من أهم الطرق في بناء عقيدة الطفل المسلم، إذ تلقى منه استجابة مبكرة تسبق استجابته للأدلة العقلية وانتفاعه بها في إثبات وجود الله تعالى، وتفرده بالألوهية، واتصافه بصفات الكمال.

والشعور الإيماني لدى الطفل ينشأ بالتدرج مع نموه الكلي، ويزداد إذا كانت بيئته نظيفة خالية مما يكدر صفاء فطرته التي يولد عليها ووجد فيها ثقافة إيمانية تلائم استعداداته وطاقاته، إذ ينغرس في نفسه الشعور الإيماني وينمو شيئاً فشيئاً ويبدأ بحفظ عدد محدود من الألفاظ تلقاها عن طريق التلقين مثل: (الله ومحمد والجنة والنار)، ثم بعض العبارات المركبة من أكثر من كلمة مثل عبارة الشهادة، وألفاظ الأذان، ثم تظهر عليه آثار عاطفة حب الله وحب رسوله ﷺ والخوف من الله تعالى[3]، ويتطور هذا الشعور حسب ما يلقى الطفل من عناية وتثقيف حتى

---

(١) الفرقان: ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) العاطفة: استعداد نفسي كامن ثابت نسبياً مركب من عدة انفعالات تدور حول موضوع معين ينشأ نتيجة تكراره على الفرد. انظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح/ ١٢٢.

(٣) انظر: علم نفس النمو، د. حامد زهران/ ٢٦١.

تبلغ عاطفة الإيمان درجة السيادة على ما عداها من عواطف نتيجة اتساع استعداد الطفل النفسي للتأثير والتفكير والانفعال بموضوع الإيمان بالله تعالى، فتصبح هذه العاطفة محور حياته، ومنظم دوافعه وموجه نشاطه، وطاقته المحركة التي تربطه بالله تعالى، وتستغل كل نشاطه لغايتها السامية، وتطالبه بجهود مستمرة[١] وفق منهجها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

ومن أهم هذه العواطف: عاطفة المحبة، وعاطفة الخوف، وعاطفة الخشوع، وعاطفة التقديس.

أ ـ عاطفة المحبة:

تظهر عاطفة الحب عند الطفل نتيجة العناية والرعاية التي يلقاها منذ ولادته، فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، وإدراك الإحسان يبدأ بالإدراك الحسي فهو يحب والديه أو من يقوم بتربيته ورعايته؛ لأنه يجد فيهم إحساناً هو في أمس الحاجة إليه، لذا يزداد التصاقه بأمه؛ لأنها أكثر عناية وأعظم نفعاً، فحب النفس وما يصلحها ومن يحسن إليها أمر فطري يقره الإسلام ولا يعارضه، بل فيه تحقيق لهدف العمل والبناء والنمو، وهو ـ مع إقراره لهذا الميل الفطري ـ يسعى إلى إلى ضبطه وتنظيمه وتوضيح حقيقته، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[٤]، ذلك أن شهوة حب النفس قد تتمادى وتطغى

(١) انظر: بحوث في علم النفس العام، د. فائز محمد محمد علي الحاج/ ١٥٢، ١٥٣.
(٢) الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣.
(٣) العاديات: ٨.
(٤) آل عمران: ١٤.

فتخرج عن حدود مصلحة الإنسان، وتقعده عن القيام بوظيفته في الحياة على وجهها؛ لذا كان لا بد لها من ضابط يحدّ من تماديها وطغيانها، ويسوسها بما يحقق النفع للإنسان في الدنيا والآخرة، عندئذ يبرز دور الإيمان في تهذيب هذه الشهوة، وتوجيه الإنسان إلى محبة المنعم عليه بالإيجاد وكمال الخلق والتربية، المحسن إليه بالنعم العديدة التي لا تحصى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾(٤)، وهو سبحانه الذي يسَّر للإنسان سبل الحياة، وسخّر له ملكوت السموات والأرض، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، لا يعدها عاد ولا يحصيها محص، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾(٧)، وقال تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(٨)، وقال تعالى:

---

(١) الانفطار: ٦ ـ ٨.

(٢) التين: ٤.

(٣) البلد: ٨ ـ ١٠.

(٤) النحل: ٥٣.

(٥) الملك: ١٥.

(٦) الجاثية: ١٣.

(٧) لقمان: ٢٠.

(٨) إبراهيم: ٣٤.

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١] .

فالطفل إذا عرف نعم الله تعالىٰ في نفسه وفي الكون من حوله، توجّهت عواطفه إلىٰ محبة الله تعالىٰ وطاعته، فإن المحب لمن يحب يطيع، إذ لا معنىٰ لمحبة الله دون طاعته والاستسلام لأمره ونهيه . ويرىٰ الإمام الغزالي أن قوة هذه المحبة وما يلزم عنها مترتب علىٰ قوة العبد بالله تعالىٰ ، إذ لا يتصور محبة إلا من معرفة ومحبة إدراك لمن يحب[٢] ، ولا تقوىٰ هذه المحبة إلا بسبب قوة معرفة الله تعالىٰ واتساعها واستيلائها علىٰ القلب ، ويرىٰ أن سبيل الوصول إلىٰ هذه المعرفة لا يتأتىٰ إلا بالفكر الصافي، والذكر الدائم، والجد البالغ في الطلب، والنظر المستمر في آثار الله تعالىٰ وفي صفاته وفي ملكوت سماواته وسائر مخلوقاته[٣]، وكل وسائل معرفة الله تعالىٰ هذه قد لا يصل الطفل إلىٰ أدائها إلا في مرحلة المراهقة حين ينضج الإدراك وتصبح لديه القدرة علىٰ التفكير المطلق .

وتعريف الطفل بالله تعالىٰ يكون من خلال تعريف المربي طفله علىٰ آثار الله وظاهر نعَمِه عليه ، وتربط هذه المعرفة بالآداب التي يلقها الطفل ويؤدب عليها منذ نشأته ويراعىٰ في ذلك سهولة الأسلوب والتدرج فيه ويسلك إلىٰ ذلك أجدىٰ الأساليب التي تثير هذه العاطفة ، يقول الأستاذ (ألكسيس كاريل) مبيناً أثر هذه العاطفة وعاطفة الخوف في بناء شخصية الطفل : (وليس هناك سوىٰ عاطفتين قادرتين علىٰ البناء، وهما : عاطفة الحب وعاطفة الخوف ، فالحب وحده هو الذي يملك القدرة علىٰ نسف الأسوار التي تتحصن أثرتنا من خلفها وفي وسعه أن يلهب فينا الحماس[٤] ، ويجعلنا نسير مبتهجين في طريق التضحية الأليم؛

---

(١) النحل : ١٨ .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين ، للغزالي ٤/ ٢٨٨ .

(٣) انظر : إحياء علوم الدين ، للغزالي ٤/ ٣٠٨ .

(٤) كذا في المطبوع، والصواب : (الحماسة) (ورد في الوسيط صحة الكلمتين) .

لأن التضحية أمر لا بد منه للسمو بالحياة، وحب الطفل الصغير لأمه هو الذي يدفعه إلى حب الاستقامة في سلوكه، والمؤمن بدينه يخضع لأشق النظم الخلقية من أجل حبه لربه)(١) ، فالإيمان قريب من النفس ، لذيذ إليها لا تمل لبثه بل تزداد فيه حباً ورغبة ؛ لأن الله زيَّنه في قلوب المؤمنين وقرّبه إلى قلوبهم (٢) . قال تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾(٣) .

فإذا امتلأ قلب الطفل معرفة بالله تعالى ، فاض بعاطفة الحب نحو الله سبحانه وتعالى ، ونَمَت في نفسه مشاعر كريمة تسمو به إلى الآفاق وتذيقه ألواناً من الأمن والاطمئنان والثقة واليقين ، وتدفعه إلى حسن العمل عن رضا وطواعية ورغبة ، حتى يذوق حلاوة الإيمان التي يشير إليها الرسول ﷺ في الحديث الذي يرويه (٤) أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : **«ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبُّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»**(٥) .

وعلى القائم بتثقيف الطفل أن يشعره بمحبة الله تعالى إذا عمل صالحاً، وأطاع الله تعالى، والتزم منهجه، فهو سبحانه يحب التوابين ، ويحب المتطهرين، ويحب المتقين، ويحب المحسنين ، ويحب الصابرين ، ويحب المقسطين(٦) ، هو كذلك لا يحب المعتدين ، ولا يحب الكافرين، ولا يحب

---

(١) تأملات في سلوك الإنسان، ترجمة د. محمد محمد القصاص/ ١٣٩ .
(٢) انظر : تفسير الرازي ١٤/ ١٢٤ .
(٣) الحجرات : ٧ .
(٤) انظر : شخصية المسلم كما يصورها القرآن، مصطفى عبد الواحد/ ٨٩ .
(٥) رواه البخاري ١/ ١٤ رقم ١٦ كتاب الإيمان، باب: حلاوة الإيمان.
(٦) انظر الآيات بالترتيب: البقرة: ٢٢٢ ، آل عمران: ٧٦، ١٣٤ ، ١٤٦ ، المائدة: ٤٢ .

الظالمين، ولا يحب المسرفين، ولا يحب الخائنين، ولا يحب المستكبرين(١)، وهذا الشعور من شأنه أن يشجع الطفل على السير وفق منهج الله تعالى ويحثه على التزود فيه لينال محبة الله تعالى. قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(٢)، ويحصل على محبة خلقه. عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إذ أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يُوضع له القبول في الأرض**»(٣).

وفي محبة الله تعالى إرواء لحاجة الطفل إلى المحبة وهي حاجة نفسية لا تقل أهميتها عن حاجته إلى الطعام. ومن أنواع هذه العاطفة: محبة رسول الله ﷺ، ومحبة المؤمنين في الله، وقد اقتصرت على محبة الله تعالى؛ لأنها رأس المحبة، وسائرها تبع لها.

ب ـ عاطفة الخوف:

يُولد الطفل ولديه استعداد للخوف من الأشياء المضرّة ويبدأ هذا الانفعال حسيًّا مقصوراً على ما يؤلم الجسد أو يُوقع عليه أذىً، وهذا من نعم الله الباطنة التي أسبغها على الإنسان لحفظ بقائه ووقايته من التعرض للآلام والمشاق. وكلما نما الطفل اكتسب مخاوف جديدة عن طريق التعلم والخبرة والعدوى الاجتماعية، وهذه المخاوف متنوعة: بعضها مادي، مثل: خوفه من الحيوانات

(١) انظر الآيات بالترتيب: البقرة: ١٩٠، آل عمران: ٣٢، ٥٧، الأنعام: ١٤١، الأنفال: ٥٨، النحل: ٢٣.
(٢) آل عمران: ٣١.
(٣) متفق عليه: البخاري ٣/ ١١٧٥ رقم ٣٠٣٧ كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة. ومسلم ٤/ ٢٠٣٠ رقم ٢٦٣٧، كتاب البر والصلة والآداب، باب: إذا أحبَّ الله عبداً حببه إلى عباده.

المفترسة، وبعضها معنوي[١] مثل: خوفه من الله تعالىٰ ومن مخالفة شرعه؛ لما يترتب عليه من عقاب أخروي وعقاب دنيوي. وهناك أنواع أخرىٰ.

والإسلام يعترف بهذه العاطفة شأنه في كل الانفعالات والعواطف، فهو يعترف بالخوف علىٰ أنه استعداد كامن في النفس ولا يجرد الإنسان منه؛ لأنه دين واقعي من عليم مطلع علىٰ النفس البشرية خبير بأحوالها، فتجريد الإنسان منه خيال موهوم وإنكار لواقع الإنسان الذي خلقه الله تعالىٰ وفي طبيعته الخوف والرهبة والخشية[٢] والله حين يأمر عباده بالخوف منه أو الخوف من عذابه، لا يأمر بما لا تطيقه نفوسهم، قال تعالىٰ: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٥]. بل يوجه الإنسان إلىٰ حقيقة الخوف، وينفض عن النفس البشرية كل ما يرهق كيانها من مخاوف زائفة، لا طائل وراءها، ولا تغير شيئاً من واقع الأمر، ولا تملك تقديماً ولا تأخيراً ويدلها علىٰ الخوف الصحيح وهو الخوف منه سبحانه[٦] مالك الملك بيده الخلق والأمر الفعّال لما يريد الذي لا تنفعه طاعة الخلق ولا تضره معصيتهم، قال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٨].

---

(١) انظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح/ ١٦٦، ١٦٧.
(٢) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي/ ٢٤٩.
(٣) آل عمران: ١٧٥.
(٤) البقرة: ٤٠.
(٥) البقرة: ١٥٠.
(٦) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ١/ ١٢٨، ١٣١.
(٧) الزمر: ٣٦.
(٨) الأنعام: ٥١.

فالخوف من ظواهر الكون المفزعة يحد من حرية الإنسان ، ويسلبه الراحة والطمأنينة ، فإذا فقد الإنسان الحرية والأمان تعثرت حياته نحو المضي والبناء وعمارة الكون، والمؤمن وحده هو الذي تتوافر له هذه الأسباب البانية، فهو ذو إرادة حرَّة ، وثقة بالله تعالىٰ، وخشية منه، يعيش حياة آمنة ، يفقدها من تطرق إلىٰ قلبه الخوف من غير الله تعالىٰ ـ كائناً من كان ـ ، قال تعالىٰ في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه : ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[١] .

والإسلام يستثير في نفس الإنسان الخوف من الله تعالىٰ ليحمله علىٰ الإقدام في الخيرات، والإحجام عن السيئات، وكثيراً ما يربط أوامره ونواهيه بالتخويف من عذاب الله تعالىٰ مع تشخصيه لأحواله بأسلوب يهزّ القلوب رهبة ورعباً، قال تعالىٰ : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٢] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] ، وبهذا الأسلوب يتحقق النفع من وراء عاطفة الخوف، ويقبل الإنسان علىٰ ربه طائعاً محسناً يرجو رحمة الله تعالىٰ، ويخاف عذابه ويمتنع عن فعل معاصيه التي تعرضه لغضبه وعقابه . قال الإمام الغزالي : (الخوف سوط الله يسوق به عباده إلىٰ المواظبة علىٰ العلم والعمل لينالوا بهما رتبة

---

(١) الأنعام : ٨٠ ـ ٨٣ .

(٢) البقرة : ٢٤ .

(٣) الأنعام : ٢٧ .

القرب من الله تعالىٰ)[١].

وهذا الأسلوب الذي يزرع وازع خشية الله في قلوب أطفالنا من الصغر من أجدىٰ الأساليب في تأسيس تصوراتهم الإيمانية، وبناء سلوكهم علىٰ قاعدة الإيمان، وسبيل ذلك تعريف الطفل بالله تعالىٰ من جهة صفات القوة والقهر والقدرة والعزّة والعدل، فإن الخوف الحامل علىٰ العمل، هو المنبعث عن علم بالله تعالىٰ وبصفاته. عن عمر بن أبي سلمة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال له: «**أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له**»[٢]، دون إسراف في التخويف إلىٰ حد يعود علىٰ الإنسان باليأس والقنوط من رحمة الله تعالىٰ، ولا تقصير فيه يصل إلىٰ الأمن من عذاب الله تعالىٰ، وعدم المبالاة بفعل أمره واجتناب نهيه، قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾[٣]، قال تعالىٰ: ﴿**فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[٤]، بل الخوف المعتدل هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي، ويقيدها بالطاعات[٥]، وهو المطلوب.

إن تدريب الطفل علىٰ الاعتصام بالله تعالىٰ إذا عرض له عارض خوف يكون صلة وثيقة بين الطفل وربه ويعوده الاعتماده عليه في المهمات وينصره علىٰ مخاوفه الكونية التي يتلقاها من بيئته المحيطة، ووسيلة ذلك أن تعالج كثيراً من مخاوفه الزائفة بأنها لا تملك نفعاً له أو ضرّاً ما لم يكن قد كتبه الله تعالىٰ، وأن يربط شفاءه ومرضه بالله ويلجأ إلىٰ كتاب الله ليتلو السور والأدعية والأوراد يقرؤها إذا شعر بالخوف مثل المعوذتين، والدعاء الذي يقال عند سماع

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي ٤/ ١٥٤.

(٢) رواه مسلم ٢/ ٧٧٩ رقم ١١٠٨ كتاب الصيام، باب: بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة علىٰ من لم تحرك شهوته.

(٣) يوسف: ٨٧.

(٤) الأعراف: ٩٩.

(٥) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي ٤/ ١٥٤.

أصوات بعض الحيوانات، أو عند رؤية حريق، أو هبوب ريح شديدة، أو رؤية مبتلىً بمرض، أو وجع أو عاهة، أو غير ذلك من الأحوال المخيفة . فإن هذه الآيات والأدعية لها أثر واضح في بعث الأمن النفسي في قلب الطفل، وإزالة أسباب الخوف . وفي هذا تلبية لحاجة من حاجاته النفسية الأساسية وهي حاجته إلىٰ الأمن النفسي .

جـ ـ عاطفة الخشوع:

عاطفة الخشوع ثمرة من ثمار عاطفة الخوف من الله تعالىٰ، تنشأ في قلب المؤمن في صورة تذلل لله وخضوع له سبحانه ، وشعور بالانقياد والعبودية له، فالإنسان في الدنيا ينقاد لأمر ما خشية من تعرضه للعقاب، فيخضع عن إكراه وخوف محض، والخشوع لله تعالىٰ ينشأ عن إعجاب بآثار الله تعالىٰ وإبداعه وتدبيره في هذا الكون وفي أنفسنا مصحوباً بالشعور بالتبعة لله تعالىٰ وطاعته والإذعان لعظمته[1] ، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2] .

إن تذكير القلب المؤمن بالله تعالىٰ وإشعاره بجلاله وعظمته، وإثارة بصيرته بالنظر في آيات الكون والخلق جدير بأن يبعث فيه الحياء فيرق، ويشرق فيه نور الإيمان[3] ، فيحرك الجوارح بالخضوع والاستسلام لله تعالىٰ والتوجه إلىٰ عمارة الكون وتحقيق الخلافة في الأرض، فالتذكير يرقق القلب بعد قسوته والماء يحيي الأرض بعد موتها .

---

(١) انظر : أصول التربية الإسلامية، لعبد الرحمن النحلاوي/ ٢٥٩ .

(٢) الحديد: ١٦ ـ ١٧ .

(٣) انظر : في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/ ٣٤٨٩ .

إن العناية بالإيمان، وتعهده في قلب الطفل يكسب القلب رقة، وينشئ فيه خشوعاً لله تعالىٰ وتسليماً بقضائه وأمره، تظهر آثاره في الشعور بالافتقار إلىٰ هدىٰ الله تعالىٰ، والاستسلام لأحكامه، وتقبلها بالتنفيذ مع استحضار جلال الله ومراقبته[١]، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾[٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[٤].

إن تربية هذه العاطفة في نفس الطفل تترك أثراً طيباً علىٰ سلوكه ينمو شيئاً فشيئاً مع زيادة معرفة الله تعالىٰ واستحضاره لجلاله وعظمته والشعور بضعفه وحاجته إليه، ووسائل تشرب هذا الشعور كثيرة:

منها: الاقتداء بالوالدين إذا كانا صالحين، يؤديان عبادتهما بخضوع ويرضيان بقضاء الله تعالىٰ دون حزن ولا ضجر.

ومنها: تعليم الطفل دعاء النوم، عن البراء بن عازب[٥] ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: **«إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك...»**[٦]. ودعاء استفتاح

---

(١) انظر: موسوعة أخلاق القرآن، د. أحمد الشرباصي ١/ ١٧٤.

(٢) لقمان: ٢٢.

(٣) الحج: ٣٤.

(٤) آل عمران: ٢٠.

(٥) الأنصاري، كانت أول مشاهده أحد، غزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة، فتح الري، نزل الكوفة، ومات سنة ٧٢هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٢٨٨ رقم ٥١٧٣، والإصابة لابن حجر ١/ ٣٣٤ رقم ٦١٥.

(٦) متفق عليه: البخاري ١/ ٩٧ رقم ٢٤٤، كتاب الوضوء، باب: فضل من بات على الوضوء. =

الصلاة، فعن علي - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين. إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين**»(١). فهذه الأدعية مشتملة على معنى الخشوع والتسليم، فإذا حفظها الطفل وكررها في أحوالها سكبت في قلبه إيماناً بالله تعالى وتسليماً لأمره وفعله، يدفعه إلى الثقة واليقين به ويحفزه على التمثيل بآداب الإسلام وسلوكه.

د - عادة التقديس:

الإيمان نزعة فطرية تحسّ بها النفس البشرية منذ أن تبلغ سن الإدراك. ويشهد لأصالة هذا الإحساس الدكتور (ماكس فوردوه) بقوله: (هذا الإحساس أصيل يجده الإنسان غير المتدين، كما يجده أعلى الناس تفكيراً، وأعظمهم حدساً وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية، وستتطور بتطورها، وستتجاوب دائماً مع درجة الثقافة العقلية التي تبلغها الجماعة)(٢).

فالتدين نزعة لا يستطيع الإنسان أن يتجاهلها أو يتغافل عنها، ففطرته وعقله - بل وعواطفه - تميل نحو الاعتقاد، وتنجذب إليه، فهو أرقى ميول النفس، وأكرم عواطفها، تزداد حياة وقوة كلما علت مداركُ الإنسان، ونمت معارفه، وسيلازمه ما دام ذا عقل يعي به الجمال والقبح وروية يجليها في الكون والكائنات(٣)، ناهيك عما يترك عليه من أثر يرفع به رأسه ويوجه حياته نحو

= ومسلم ٤/ ٢٠٨١ رقم ٢٧١٠، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم.... إلخ.

(١) رواه مسلم ١/ ٥٣٤ رقم ٧٧١، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٢) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د. محمد عبد الله دراز.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدي بك ٤/ ١١١.

الصلاح والفلاح ويعصم فكره من الضياع والتشتت .

والنفس البشرية مجبولة علي البحث عن إله يتصف بصفات الجلال والكمال، ويقدس عن العيوب، وينزه عن النقائص، والإسلام وحده الذي حقق هذه الأمنية للإنسان، فالتصورات عن الألوهية في كتب الأديان السابقة جاءت مشوهة بالتجسيم والتشبيه والتناسل عن صفة تقرب من صفة الإنسان، وتبعد عنه بمقتضى الخيال والتوهم ، والكتاب الوحيد الذي صحح وكمّل هذه التصورات الخاطئة والعقائد الناقصة عن الألوهية هو القرآن الكريم، فهو الذي قدّس الألوهية ومجّدها [١] ووصفها بصفات الجلال اللائقة ، ونزهها عن صفات الضعة والقصور، وحماها من تخيلات العقل وتوهماته .

فالإيمان هو الذي يقدم للإنسان صفات الكمال والجلال والحمد والتمجيد لله تعالى، ويترك أثراً وجدانيًا يحمل الذهن على تمعن معانيها، عندئذٍ لا بد من أن ينصرف بكل قلبه وفكره ولسانه للثناء على الله بجميع محامده ما علم منها وما لم يعلم، مؤكداً بذلك إيمانه بالله حق الإيمان، ومعرفته بجلال صفاته، ومعترفاً له بالألوهية والربوبية، وواقعاً بالخشوع في مقام العبودية التَّامة لله رب العالمين[٢] ، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣] .

فالكون كله بما فيه الإنسان يشهد بعظمة الله ، وينزهه عن كل نقص أو عيب، فالتقديس والإجلال نزعة فطر عليها الكون بما فيه ، قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤] ، وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي

---

(١) انظر: الحضارة الإسلامية، أبو الأعلى المودودي/ ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٢) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن الميداني/ ٢٤٢ .
(٣) الحشر: ٢٣ ـ ٢٤ .
(٤) الصف: ١ .

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾(١) ، وقال تعالىٰ : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(٢) . فإثارة هذه النزعة من الطرق المفيدة في غرس الإيمان في نفس الطفل إذا وردت عبارات التسبيح والتمجيد والإعجاب بعظمة الله تعالىٰ في أهم حالاتنا التعبدية في الركوع «**سبحان ربي العظيم**» ، وفي السجود(٣) «**سبحان ربي الأعلى**» ، وفي دعاء الاستفتاح «**سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله غيرك**» ، وفي التشهد «**التحيات لله الصلوات الطيبات**» ، وفي أوائل بعض السور مثل سورة الحديد ، والحشر ، والصف ، والجمعة ، والتغابن ، والأعلىٰ . فحفظ الطفل لهذه العبارات وهذه السور منذ الصغر يكسب في قلبه إجلالاً لله تعالىٰ وتعظيماً له وتنزيهاً له من النقص والعيب وقد ترتبط ذات الله تعالىٰ في تصوره بأشياء محسوسة في البداية لكن ما يلبث أن ينزع إلىٰ تنزيه الله تعالىٰ عنها شيئاً فشيئاً مع رقي تفكيره وسعة مداركه المعنوية ، فيبعد عن ذهنه تشخيص ذات الله تعالىٰ أو تشبيهها بأحد أو بشيء يأبىٰ ذلك إذا سُئل(٤) .

رابعاً: مشاهدة آثار خلق الله تعالى:

دليل المشاهدة من أقرب الطرق المؤدية إلىٰ الإيمان بالله تعالىٰ ربًّا ومعبوداً ، وأجداها دليلاً علىٰ اتصافه بالكمال وتنزهه عن النقص ومن أسهل الوسائل الموصلة إلىٰ معرفة الله تعالىٰ ، وقد استعمله القرآن الكريم في الدلالة علىٰ الإيمان ، وساق ألفاظ الرؤية والنظر والبصر والألفاظ الدَّالة علىٰ الانتفاع بالمشاهدة ، مثل الدعوة إلىٰ التفكير والتعقل والتعلم والتدبر والتيقن والتفقه ،

---

(١) الجمعة : ١ .

(٢) الإسراء : ٤٤ .

(٣) انظر : بحوث في علم النفس العام ، د. فائز الحاج/ ١٥٥ .

(٤) انظر : التربية وطرق التدريس ، النحلاوي وزملاؤه ٢/ ١٠١ .

وهي كلها تدفع الإنسان إلىٰ مشاهدة الكون، وتفتح بصيرته علىٰ ما حوله من مشاهد وآفاق، وتدعوه إلىٰ التأمل فيها والنظر إليها والتفكير فيها[١]؛ للوصول إلىٰ اليقين بالله تعالىٰ. وهذه المشاهدة لخلق الله تعالىٰ تعد من أجَلّ الذكر الذي يحرك القلب، ويملؤه خشوعاً وطمأنينة[٢]. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٣]، وهذا التذكير هو سبيل أهل البصائر وذوي العقول في الاتصال الدائم بربهم وخالقهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٤].

هذا الأسلوب من أقوَم الأساليب في بناء إيمان الطفل بالله تعالىٰ وتحريك عواطفه الإيمانية. يقول الفيلسوف (كانت)[٥] في هذا الصدد: (إذا أطلعنا الطفل علىٰ هذه العوامل السماوية والأرضية بالدراسة، وكشفنا له الغطاء علىٰ هذا النظام العجيب والترتيب المحكم، وقلنا له: هذه النظم الطبيعية[٦] المحكمة كلها موجهة لخير الإنسان والإنعام عليه وإسعاده وبعد ذلك نقول له أرأيت هذا النظام؟ أعرفت هذه الحكمة الشاملة في العوالم؟ إن واضع هذه القوانين المنظم لها هو الله عز وجل، فإنه إذ ذاك يكون شاعراً بربه عن علم وبيّنة)[٧]. وهو

---

(١) انظر: نظام الإسلام العقيدة والعبادة، محمد المبارك/ ٦٠.

(٢) انظر: علم النفس التربوي في الإسلام، د. المقداد يلجن وزميله/ ٢٣٣.

(٣) الأنفال: ٢.

(٤) آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١.

(٥) هو: (عمانوئيل كانت) (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤م) فيلسوف ألماني كبير، من أهم مؤلفاته: «نقد العقل الخالص»، و«نقد العقل العملي»، و«نقد الحكم». انظر: الموسوعة العربية الميسّرة، بإشراف محمد شفيق غربال ٢/ ١٤٣٥.

(٦) هكذا في الأصل، والصحيح: (الطبعية).

(٧) التربية ترجمة إلىٰ العربية، طنطاوي جوهري/ ٨١.

منسجم مع طبع الإنسان وحبه لمعرفة الأسباب ووضوحها وكراهته للغموض والإبهام، وهذا الميل يسعىٰ إلىٰ تحققه منذ صغره بدءاً من مرحلة الرضاعة التي يحاول أن يستطلع منها بعينيه وأذنيه ويديه وفمه الأشياء القريبة ، فإذا ما نما واتسع عالمه وبدأ يدرك الأشياء ، فإن هذا الميل يزداد عنده ، ويمتد إلىٰ البحث عن أمور تتعلق بالغيب [١] مثل الرغبة في معرفة علل الحوادث الكونية المشهودة، فيسأل عن خلق السموات والأرض والشمس والقمر وعن مصدر الرياح، والرعد، والبرق، والمطر ، وعن خلق الأشجار والأنهار متدرجاً إلىٰ السؤال عنها بدءاً بما يدهشه ويعجبه منها، فمشاهدته لهذه المخلوقات هي التي دفعته للتعرف علىٰ خالقها وموجدها، وعن طريق الإجابات الصحيحة الملائمة لفهمه وإدراكه يتعرف علىٰ صفة الخالق سبحانه ، وينمو في قلبه الإيمانُ الواعي النابت عن بصيرة وفكر لا عن تبعية وتقليد ، فمثل هذا الإيمان هو الذي يجب أن يكون أساس ثقافة الطفل المسلم ، وأول وعيه وإدراكه . يقول الإمام ابن الجوزي[٢] ـ رحمه الله ـ في رسالته إلىٰ ابنه أبي القاسم : (وأول ما ينبغي النظر فيه (في)[٣] معرفة الله تعالىٰ بالدليل ومعلوم أن من رأىٰ السماء مرفوعة والأرض موضوعة وشاهد الأبنية المحكمة ـ خصوصاً جسد نفسه ـ ، علم أنه لا بد حينئذ للصنعة من صانع وللمبني من بان)[٤] .

فالكون من أخصب الأدلة التي تجذب الإنسان إلىٰ الإيمان بالله تعالىٰ بدون كلفة ولا مشقة ، ومن أنفع الأدلة الواضحة علىٰ وجود الله تعالىٰ وربوبيته

---

(١) انظر : أصول علم النفس ، د. أحمد عزت راجح/ ٩٨ .

(٢) هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، علاَّمة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعته والوعظ، وصاحب التصانيف الكثيرة. انظر : وفيات الأعيان لابن خلّكان ٣/ ١٤٠ .

(٣) هكذا بالأصل ، والمعنىٰ يستقيم بدونها .

(٤) لفتة الكبد إلىٰ نصيحة الولد، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم/ ٢٠٠ .

وألوهيته وكماله ، فعلى القائمين على تثقيف أطفال المسلمين أن يستفيدوا من هذه الوسيلة الميسرة في بنــاء عقائد الأطفال وأن يتيحوا لهم فرصة التمتع بمشاهد الكون ومخلوقات الله تعالى في رحلات خلوية إلى الجبال والأودية والغابات والبساتين ، ليرُوهم آيات الله العظيمة ، وآثاره التي تشهد بقدرته وقوته وجلاله ، قال تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾(١) ، أو يلفتوا أبصارهم إلى عظمة خلق الله في إحدى الدواب التي تألفها نفوسهم مثل النحلة ، ومعرفة تكوينها العضوي ، ووظيفة كل عضو ، وكيف هدى الله تعالى النحل إلى تكوين مملكة مستقلة ، لكل نحلة فيها مهمة خاصة ، وكيف هداها الله لصنع بيتها بشكل هندسي رائع ، وكيف سخّرها لعمل العسل ذي المذاق الحلو والطعم الشهي وجعل فيه شفاء لكثير من الأمراض التي تصيب الإنسان أو يلفتوا أنظارهم إلى أمة النمل وما في حركتها وسيرها من دقة ونظام يشهد لخالقها بالعظمة والاقتدار . . هكذا بقية الحيوانات والأشجار وتقلبات الليل والنهار ، وما فيها من أمطار ورياح وما يحدث في الكون من حوادث تدلّ على أن وراءها إلهاً مقتدراً ، وصانعاً مبدعاً ، ولطيفاً حكيماً . قال ركن الدين ابن القويع(٢) :

تأمَّل سطور الكائنات فإنَّها ... من الملك الأعْلى إليكَ رسَائلُ

وقد خطَّ فيها لو تأمَّلتْ خطَّها ... ألا كُلَّ شيءٍ مَا خَلا اللَّه باطلُ

تشيرُ بإثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِربِّهَا ... فَصَامِتهَا يهدي ومن هُوَ قَائلُ(٣)

---

(١) العنكبوت : ٢٠ .

(٢) هو : أبو عبد الله محمد بن محمد الجعفري التونسي ، المالكي النحوي ، ولد بتونس ، وتوفي بالقاهرة (٦٤٤ ـ ٧٣٨هـ) . انظر : بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٩٧ .

(٣) تخريجها : وردت هذه الأبيات غير منسوبة إلى أحد في مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ٣/ ٣٥٦ ، وورد البيت الأول برواية أخرى ، (تأمل صحيفات الوجود فإنها من الجانب=

ودليل المشاهدة مقترن بدليل الاستنتاج العقلي، والتعرف على الله تعالى بأدلة الخلق والإيجاد والعناية والتسخير والقدرة الإلهية التي حثّ عليها القرآن واستخدمها في الوصول إلى اليقين ولعلاقتها بالبناء الفكري أخّرتها في مكان بحثها المناسب.

= السامي إليك رسائل) وهو والبيت الثاني منسوبان إلى ركن الدين بن القويع في بغية الوعاة للسيوطي/ ٩٨.

الفصل الثاني

البناء الفكري

مفهومه ـ أهمّيته ـ طُرق تكوينه

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم البناء الفكري وموقف الإسلام منه.

المبحث الثاني: أهمية البناء الفكري.

المبحث الثالث: طرق تكوين البناء الفكري.

المبحث الأول

مفهوم البناء الفكري
وموقف الإسلام منه

أولاً: مفهوم البناء الفكري:

(أ) مادته واشتقاقه في اللغة:

الفكر مادته الفاء والكاف والراء بالكسر ، ويفتح وهو (تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر: إذا ردد قلبه معتبراً)[١] ، ومثله في المعنى الفكرة والفكري بكسرها ، فكر في الشيء، وأفكر فيه، وتفكّر ، بمعنى واحد، ورجل فِكِّير ، أي: كثير التفكر[٢] .

وفرّق الراغب الأصفهاني[٣] بين معنى الفكرة والتفكر ، وجعل الفكرة أصلاً لعمل التفكر فقال: (الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب)[٤] . وهي الأشياء المدركة في الخارج، وهذا التفريق الدقيق بين اللفظين لا يرفع ما بينها من ترادف عام في المعنى.

---

(١) هذا اللفظ ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ٤٤٦ ، وفي لسان العرب لابن منظور ٥/ ٣٤٥١ بمعنى: (إعمال الخاطر في الشيء) ، وفي القاموس للفيروزآبادي ٣/ ١١٥ بمعنى: (إعمال النظر في الشيء) ، وهي معانٍ متقاربة.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ٢/ ٤٤٦ ، ولسان العرب لابن منظور ٥/ ٣٤٥١.

(٣) هو: أبو القاسم الحسين بن محمد الفاضل، اديب من الحكماء والعلماء، سكن بغداد ، واشتهر حتى كان يقرن بالغزالي ، توفي سنة ٥٠٢هـ. الأعلام للزركلي ٢/ ٢٥٥.

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني / ٣٨٤.

(ب) حقيقته المعنوية:

من التعريفات التي تحدد معنى الفكر ما يلي:

١ ـ معناه عند الراغب الأصفهاني هو: (فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها)(١).

٢ ـ معناه عن الإمام الغزالي هو: (إحضار معرفتين في القلب يستثمر منها معرفة ثالثة)(٢).

٣ ـ معنى التفكر عند أبي هلال العسكري (٣) هو: (تعرف القلب بالنظر في الدلائل)(١).

فهذه المعاني تدلّ على أن الفكر أو التفكر يصدق على الجهد العقلي الذي يبذل في الوصول إلي معرفة جديدة.

(جـ) معناه في علم النفس:

وما تناول موضوع التفكير بالتحليل علم النفس الحديث، وقد تناوله على أنه: حادثة نفسية تتعلق بالجانب العقلي، فقد عرّفه د. أحمد عزت راجح بتعريفين:

الأول: عـــام، وهو: كل نشاط عقلي يستعيض عن الأشياء والأشخاص والمواقف والأحداث برموزها (٥) بدلاً من معالجتها معالجة فعليّة واقعية، وهذا

---

(١) المفردات / ٣٨٤.

(٢) إحياء علوم الدين: ٤/ ٤١٢.

(٣) هو: الحسن بن عبد الله العسكري، عالم بالأدب، وله شعر وتصانيف كثيرة، منها: التخليص في اللغة، وجمهرة الأمثال، وكتاب الصناعتين. انظر: الأعلام للزركلي ٢/ ١٩٦.

(٤) الفروق في اللغة/ ٦٧.

(٥) يقصد بالرمز: كل ما ينوب عن الشيء أو يشير إليه أو يعبر عنه أو يحل محله في غيابه. انظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح/ ٢٣٠.

المعنى يشمل جميع العمليات العقلية من أسهلها إلى أكثرها تعقيداً.

والثاني: خاص، فهو: حل المشكلات بالذهن لا بالفعل وهو ما يعرف بالتفكير الاستدلالي أو الاستدلال[١].

(د) مفهومه في الإسلام:

التعريفات السابقة تتفق في أن التفكير من جهد العقل ووظيفة من وظائفه، وعمل من أعماله وإضافة الفكر إلى الإسلام تقتضي التزامه بمصدريه: الكتاب والسنة، وتلك نقطة الافتراق بين الفكر الإسلامي والأفكار الأجنبية الأخرى، ويحدد مفهومه د. محمد رأفت سعيد، بأنه: (الجهود العقلية المبذولة في محاولة فهم الإسلام من مصدريه: الكتاب، والسنّة)[٢].

والعقل الذي هو: مصدر التفكير، هو القوة التي هيّأها الله تعالى في الإنسان لتقبل العلم[٣]، والوصول إلى المعرفة. أو هو: القوة الغريزية التي تنمو شيئاً فشيئاً، ويتمكن الإنسان بها ـ حسب درجة قوتها عنده ـ من إدراك الحقائق، والتمييزبين الأمور، وهي تزاد قوة بالتجارب وتستنبط بها المصالح ويوقف بها على العواقب[٤]، وهذه القوة ذات وظائف متعددة، منها: الإحساس، والإدراك، والتصور، والتخيل، والتذكير، والتفكر. ويسميها علماء النفس بالحوادث العقلية[٥] التي تعد وجوهاً لعمل العقل في الأشياء المدركة.

وقد ذكر الإمام الغزالي أن التفكر والتأمل والتدبر عبارات مترادفة لمعنى

(١) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
(٢) الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي/ ٧.
(٣) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني/ ٣٤١.
(٤) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون، لمحمد بن علي.
(٥) انظر: بحوث في علم النفس العام، د. فائز الحاج.

واحدة، وأن عبارات التذكر والاعتبار والنظر مختلفة المعاني وإن كان أصل مسماها واحداً[(١)] وهو عمل العقل.

ويرىٰ الإمام ابن القيم أن الفكر أفضل هذه الأعمال، وأنفعها للإنسان؛ لأنه سبيل الإنسان في الإقدام علىٰ الطاعة، ومجانبة المعصية، ودليله في تعرف سبيل الهداية، والإنابة إلىٰ الله تعالىٰ[(٢)] أ. هـ.

وكذلك هو وسيلته في الوقاية من أمراض الشبهات الفكرية والوصول إلىٰ منزلة الفهم الدقيق والوعي السديد لما يواجه الإنسان من عقبات وشدائد يؤهلانه لتخطيها والخروج منها بنتائج مفيدة وناجعة لسد حاجته الفكرية في حاله ومستقبله.

ثانياً: طبيعة التفكير لدى الطفل:

الله سبحانه وتعالىٰ منح الإنسان العقل الواعي وهو قوة فطرية تميز بها الإنسان من بين سائر العوالم، يكون كامناً في أول أمره يستقبل الخبرات والتصورات المحسوسة عن طريق الحواس، وقابلاً للنمو والنضج علىٰ التدرج حسب ما يتوفر له من عوامل ومؤثرات، فالطفل يولد جاهلاً لا يعلم مما يحيط به شيئاً، وإن كان متهيئاً للتفكير والتعلم بواسطة الحواس الكامنة في نفسه والتي من أهمها العقل. فإذا وقع بصره علىٰ شيء وكرر إليه النظر ارتسمت صورته شيئاً فشيئاً في عقله، وكذلك إذا سمعه أو لمسه أو تذوقه، وإذا تجمعت هذه الجزئيات في العقل، مارس التفكير دوره في الحكم عليها، وإدراك حقيقتها الحسيّة أولاً، ثم إذا نما ونضج أدرك حقيقتها المعنوية. قال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[(٣)].

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي ٤/ ٤١٢.

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية.

(٣) النحل: ٧٨.

فالتفكير في مرحلة الطفولة يمرّ بمراحل تبدأ من الخلو الذهني ثم ترتبط بالخبرة المحسوسة، ما تلبث أن تتخلص من إسارها الحسي إلىٰ تصورها ذهنياً، ثم يتحرر منها كليًّا وتنفذ إلىٰ عالم التجريد المعنوي، ويمكن أن يرتب هذا التدرج الفكري في ثلاث مستويات توضح طبيعة التفكير في هذه المرحلة وتحدد أساليب طرق البناء:

١ ـ **المستوى الحسي**: تنمو الحواس بعد الولادة، وتأخذ صفة التقدم الوظيفي ـ عدا حاسة العقل ـ التي يصعب القول بأن الطفل يفكر بها في عامه الأول حسبما تعكسه هذه اللفظة من معنىً جليّ، علىٰ أن هذا لا ينفي أن تكون هذه الفترة بداية جمع الخبرات التي يلتقطها الطفل من أرجاء محيطه القريب، فيختزنها في عقله الخالي، وتترك آثارها علىٰ حياته الوجدانية والفكرية[١] مستقبلاً، وكلما تكامل نمو حواسه وتمكن من اللغة والتفاعل الاجتماعي استطاع أن يجمع خبرات أكثر من واقعه المحسوس.

وتفكير الطفل في هذا المستوىٰ يدور حول أشياء مدركات حسيّة أكثر منه دوراناً حول صفات مجردة، فإن لم تكن هذه الأشياء والموضوعات ماثلة أمام حواسه فإن تفكيره متعذر أو مُحَال[٢]، وتمثل هذا المستوىٰ مرحلة ما قبل التمييز (الرضاعة والحضانة).

٢ ـ **المستوى التصوري**: مع ازدياد نمو القوىٰ العقلية عند الطفل ووصول الذكاء إلىٰ نصف مستواه يستطيع الطفل أن يستحضر في ذهنه أهم الأجزاء التي استهوته من صور الأشياء المحسوسة وبالذات الصور البصرية[٣]، والتفكير في هذا المستوىٰ لا يخرج عن نطاق الحس؛ إذ حقيقة التصور استرجاع الصور الحسيّة

---

(١) انظر: سيكولوجية الطفولة والمراهقة وحقائقها الأساسية، د. عبد العلي الجسيماني/ ٨٦ ـ ٨٧.
(٢) انظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح/ ٣٤٤.
(٣) انظر: أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح/ ٣٣٣.

الخارجية في الذهن ، ويمثل هذا المستوىٰ مرحلة التمييز تقريباً .

٣ ـ المستوى التجريدي: يمثل هذا المستوىٰ مرحلة المراهقة، إذ يصل الذكاء فيها إلىٰ أقصاه، وتنضج وظائف العقل ، فيتمكن من التفكير في معاني الأشياء المجردة عن ذاتها المادية المجسمة ، أو صورها الذهنية ، ويرتفع إلىٰ مستوىٰ المعاني والقواعد والمبادئ العامة، مثل : التفكير في المسئولية ، والعدل، وقواعد السلوك[١] .

---

(١) انظر : أصول علم النفس ، د. أحمد عزت راجح/ ٣٤٥ .

المبحث الثاني

أهمية البناء الفكري

يكسب البناء الفكري أهميته من قيمة الفكر الذي يصل إليه العقل وأثره على حياة الإنسان، فقيمة الفكر تظهر في حصيلة المعارف والتصورات التي وصل إليها عقل الإنسان بعد جهد بذله في معالجة مشكلة استثارته أو اضطرته، ثم يتبع ذلك انعكاس أثرها على حياة الإنسان في الوجهة والسلوك.

والفكر الإسلامي بقاعدته الربانية وأهدافه النبيلة، يعد الفكر الفذ المتوافق مع طبيعة الإنسان، والمتلائم مع الحق الذي قامت عليه السموات والأرض، والإنسان اليوم في أشدّ ما يكون حاجة إليه بعد أن أسّف الفكر البشري بإنسانيته، وعصف بكرامته، وتنكّر لحاجته إلى الإيمان، ومهما تقدم ماديًّا فإنه لن يستطيع أن يقدم للإنسان منهج السعادة والاستقرار النفسي؛ لأنه فكر يرتكز على قاعدة الشهوة، ويهدف إلى الأنانية الفردية.

ويمكن الوقوف على أهمية البناء الفكري في الإسلام من خلال النقاط التالية:

أولاً: الفكر سرّ تكريم الإنسان وتكليفه:

ليس الفكر الخصيصة الوحيدة التي امتاز بها الإنسان على سائر الكائنات الحيّة، بل يتبعها ميزات أُخَر، منها: الاستواء في الخلقة، والتكامل في الهيئة، والامتداد في القامة، والحسن في الصورة، والذاتية في الإرادة، والقدرة على النطق والحركة، والتمكن من الانتفاع بما حوله من مخلوقات، وفي القرآن امتنان

بهذه النعم. قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[١]، وقال تعالىٰ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٣] لكن خصيصة الفكر تعدّ سرّ هذا التكريم كله ومناط تحميل الإنسان وحده المسئولية والعبادة.

لقد زوّد الله الإنسان بالحواس التي تعين العقل علىٰ القيام بوظيفته، والتعرف علىٰ خصائص الأمور، وصفات الأشياء، وتدفعه إلىٰ البحث العلمي، واكتشاف أسرار هذا الكون، والانتفاع بما بث الله فيه من قوىٰ وخيرات، دون إفساد في الأرض، أو إضرار بالنفس، أو إحداث ظلم أو عدوان[٤]، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾[٧]، فهذا الجهد الذي يبذله العقل هو سرّ التكريم المفهوم من قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٨]، فبالفكر استطاع الإنسان أن يسخّر البر والبحر ويتخذهما طريقاً له، ولا يزال يكشف به وسائل اختراق الآفاق واجتياز المراحل، ما يدلّ علىٰ تفوقه علىٰ غيره من المخلوقات التي لا تستطيع شيئاً من ذلك، وهوبهذه الميزة العقلية

---

(١) التين: ٤.
(٢) التغابن: ٣.
(٣) لقمان: ٢٠.
(٤) انظر: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبد الرحمن الميداني/ ٢٩١.
(٥) النحل: ٧٨.
(٦) الإسراء: ٣٦.
(٧) المؤمنون: ٧٨.
(٨) الإسراء: ٧٠.

استطاع أن يستفيد من الطيبات التي رزقه الله ، ويستخرج منها فوائد جمَّة ونعماً لا تحصىٰ أليس من كان بمثل هذه المكانة من العلم والعمل والفكر والإنتاج أجدر بالكرامة ، وأولىٰ أن ينال التقدير والاحترام؟[1] ، وأنَّ من عطّل استخدام هذه الأدوات ولم ينتفع بها استحق المهانة والهبوط إلىٰ مستوىٰ الحيوان بل هو في مقياس الله تعالىٰ أضل من الحيوان ، وأكثر منه ضرراً ؛ لأن الحيوان لم يعط هذه القوة الواعية ، بل أسره الله تعالىٰ بالغريزة تسيّره نحو ما يشبع شهواته ، ويحفظ كيانه ، دون وعي ولا بصيرة ، قال تعالىٰ : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[2] ، وقال تعالىٰ : ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾[3] .

وكرَّم الله الإنسان بالتكليف والمسئولية اللذين لا يناطان إلا بمن توافرت فيه أسبابُ تحملهما ، فالعوالم كلها غير مؤهلة ؛ لأنها لا تملك إمكانات التكليف والمسئولية ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[4] ، فالإنسان وحده الكائن المجهّز بجهاز يستطيع أن يُصرّفه باختياره ذات اليمين وذات الشمال في استقامة واعتدال ، أو في انحراف واعوجاج ، وهو وحده المزود بمؤهلات الخطاب ، وقوىٰ الفهم والبيان والحرية والإمكان ، فهو ذو عقل وإرادة واقتدار[5] مما يمكنه من الاضطلاع بوظيفة الخلافة تبعة ومسئولية . وقد أعلنها الله تعالىٰ في الملأ الأعلىٰ ، قال سبحانه : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[6] ،

---

(١) انظر : مقاصد الشريعة ، للأستاذ علال الفاسي/ ٢٣١ .

(٢) الفرقان : ٤٤ .

(٣) الأنفال : ٢٢ .

(٤) الأحزاب : ٧٢.

(٥) انظر : دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية ، د. محمد عبد الله دراز/ ٥٣ .

(٦) البقرة : ٣٠.

فالفطرة والبصيرة قوّتان تهيئان الإنسان للقيام بتبعة الخلافة ، ومستلزماتها وتمكنانه من استعمار ما استُخلف فيه، واستكشاف سننه، وتطويع ما حوله من مخلوقات سخّرت له ليستثمرها فيما يعود إليه بالنفع والفلاح ، كل ذلك بفضل خاصية العقل التي يعوَّل عليها في التفضيل، ويُناط بها التكليف[1] ففاقدها غير مكلف ولا مؤاخذ على عمله . عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقِل**»[2] .

فالعقل شرط في التكليف؛ لأن العمل بالتكاليف والمطالبة بها لا بد فيهما من الفهم والعلم بالمقصود[3] ، وهو معدوم في المجنون غير واضح في الصبي[4] المميز ، فإذا بلغ سن الرشد ـ وهو سن البلوغ ـ اكتملت عنده قوة العقل ، وأصبح مؤهلاً للتكليف والمؤاخذة ، قادراً على الالتزام بأحكام الخلافة بحيث يحقق في نفسه معنى الطاعة الكاملة لله تعالى ، والانقياد التام لأمره ، والإذعان لحكمه بكل طاقاته وملكاته[5] .

فالتكاليف لا تناط إلا بالعقل المدرك لمعنى الخطاب ، المقدر لقيمة الأحكام وما تعود عليه بمنافع شتى ومصالح عظمى ، ولعله سرّ ختم آيات التكليف بما يمجد العقل ، ويذكر بدوره في حمل الإنسان على الامتثال ، قال تعالى : ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ**﴾[6] ، وقال تعالى : ﴿**وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ**

(١) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٩٤ .

(٢) رواه الترمذي وأبو داود : تقدم تخريجه/ ٤٥ .

(٣) انظر : روضة الناظر ، لابن قدامة ١/ ١٣٧ .

(٤) إذا عقل الصبي وميَّز ، أُمِرَ بالصلاة ، وبما يستطيع من العبادات على سبيل التدريب والتعويد لا التكليف ، ويضرب على تركها إذا بلغ عشراً . انظر : المغني لابن قدامة ١/ ١٣٧ .

(٥) انظر : نظرات إسلامية في مشكلة التميز العنصري ، عمر عودة الخطيب/ ١٣٤ .

(٦) البقرة : ١٧٩ .

تَعْلَمُونَ﴾[١] ، وقال تعالىٰ : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[٢] .

إن إدراك الإنسان لمنَّة تكريمه بالعقل يمنح صاحبه شعوراً نبيلاً يعرفه بحقيقة وجوده، ووظيفته في الحياة، ويدفع عقله إلىٰ العمل في آثار عظمة الله تعالىٰ وقدرته؛ ليصل عن طريقه إلىٰ الإيمان بالله تعالىٰ، ويتمكن به من الوقوف علىٰ السنن الكونية، وأسباب ترابط الخلق وعلله ، ليبني علىٰ ما يستنتج به حضارته ورقيه العمراني .

ثانياً: الفكر وسيلة الإقناع الإيماني:

تقدم[٣] أن من سمات أصول الإيمان أنها صالحة للقبول العقلي، والإذعان الذهني ، وأن العقل الصحيح طريق من طرق إثباتها والقطع بصحتها وصدقها، وهذه السمة تعلن أن الإيمان بشموليته وتفاصيله يمازج العقل، ويقيمه دليلاً هادياً إليه، مما لا يبقىٰ أثراً لتوهم أن الإيمان علىٰ الدوام تسليم بما يأباه العقل، أو قبول محض ليس للعقل اجتهاد في الحكم علىٰ أدلته، إن الإيمان هنا نتيجة لعمل العقل غاية جهده ، وليس نتيجة لإهماله وإبطال وجوده[٤] .

فالإيمان في الإسلام ليس رموزاً باهتةً لا يعلم لها معنىٰ ولا حكمة، وليس قضايا ساقطة يأباها العقل الصحيح، أو تعاليم مزورة يرفضها العلم ويثبت بطلانها، بل الإيمان يتخذ من العقل وسيلة للعروج إليه، وأساساً لمبادئه وأصوله، ويساير فطرة العقل ورغبته في التأمل واستكشاف العلل والأسباب ، حينما دعا

---

(١) البقرة: ١٨٤ .
(٢) البقرة: ١٩٧ .
(٣) راجع/
(٤) نظر : الإنسان في القرآن ، عباس محمود العقاد/ ٤٠٣ .

الإسلام الناس إلىٰ الإيمان بالله وبعظيم صفاته ، وجههم إلىٰ بلوغه عن طريق إعمال العقل ، واستخدام أدوات المعرفة التي لديهم في النظر والتفكر في دلائل قدرة الله وعلمه وحكمته وعدله وسائر صفاته الدَّالة علىٰ وجوده ، وأرشدهم إلىٰ أن هذه الدلائل منبثة في السماء والأرض وفي أنفسهم[1] ، وبالتلقي والفهم كذلك عن آياته المتلوّة في كتابه وعن إخبار رسوله ﷺ ، قال تعالىٰ : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[2] ، وقال تعالىٰ : ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾[3] .

ولم يقتصر القرآن ـ كتاب هذا الإيمان ـ علىٰ دفع الحواس إلىٰ تأمّل مخلوقات الله تأمّلاً استدلالياً بل استعمل ضروب الإقناع العقلي الأخرىٰ ، فالعقل الإنساني فُطِرَ علىٰ البحث عن الأسباب ، فهو يؤمن بداهةً بأن لا حادث من غير محدث سؤال مفحم ، قال تعالىٰ : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ﴾[4] ، فهل يمكن أن يُوجِد الإنسان نفسه؟ هذا محال عقلاً ؛ إذ لا بد له من مُوجِد ، وفطر العقل كذلك علىٰ الرغبة في البحث عن الغاية والهدف من وراء كل تنظيم وإتقان وإبداع ، فهذا الكون العظيم حتماً وراءه متقن ، وهذا الإنسان الذي خلقه الله تعالىٰ في أحسن تقويم لم يوجد عبثاً من غير هدف[5] ، قال تعالىٰ في تقرير هذه الحقيقة العقلية : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ

---

(١) انظر : أسس الحضارة الإسلامية ، عبد الرحمن الميداني/ ٣٢٩ .

(٢) ق : ٦ ـ ٨ .

(٣) الروم : ٨ .

(٤) الطور : ٣٥ ـ ٣٦ .

(٥) انظر : التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، عبد الرحمن النحلاوي/ ٨٧ ، ٨٨ .

رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾(١) .

هذه الأدلة العقلية يسوقها القرآن الكريم ليثبت بوضوح أن الفكر وسيلة مثلى إلى معرفة الله تعالى بآثاره ، فالعقلاء العالمون هم الذين يصلون ببصيرتهم إلى هذه المعرفة عندئذ يخشونه حق خشيته ويتعظون بالحوادث والأمثال، وينتفعون بما فيها من عبر وحكم . قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٣)، وقال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾(٤) ، فلا خوف على الإيمان من البحث العلمي ، فالحقيقة لا تخشى البحث، والإسلام على يقين من أن البحث العلمي السليم والتأمّل السديد لا بد من أن يوصلا أصحابهما إلى نفس النتائج التي قررها (٥) .

إن الحرص على بناء فكر أطفالنا بناءً سليماً ينبغي أن يسبقه فهم لأهمية سلامة الفكر واستقامة بنائه وخطر ذلك على العقيدة، فالفكرُ السليم يهدي إلى

(١) المؤمنون: ١١٥ـ ١١٦ .
(٢) فاطر: ٢٧ ـ ٢٨ .
(٣) الروم: ٢١ ـ ٢٤ .
(٤) العنكبوت: ٤٣ .
(٥) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني/ ١٠٠ .

الإيمان، ويرسخ في نفس الطفل المُعْتَقَد الصحيح والتصور القويم، ويحفظه من نواقضها، ويقيه داء الشبهات الفكرية، والفكر الصحيح يترك أثراً واضحاً على وجهة الطفل وحياته، ويؤدي إلى سلامة أهدافه وغاياته، فالقناعة العقلية بالإيمان ضرورة حتمية لبناء طفل مستقر البال، كامل الشخصية، والطفولة مرحلة مهيأة للنمو الفكري، وقابلة لاحتضان الفكرة، والتفاعل معها والتأثر بآثارها.

ثالثاً: الفكر وسيلة الرقي العلمي والحضاري:

الإسلام ينظر إلى التقدم العلمي، والازدهار الحضاري على أنهما ثمرة من ثمار الفكر الناضج، وقبس من نور التفكير المهتدي، ودعوة الإسلام إلى الأخذ بأسبابهما واضحة جليّة، فآيات الحض على التزود من العلم، والنظر في نواحي الكون، والتعرف على أسباب ترابط الحوادث وعلل خلقها يزخر بها القرآن الكريم، وكلها تلفت نظر العقلاء بشدة إلى التأمُّل في كل شيء في خلق السماء والأرض، وفي اختلاف الليل والنهار، وتعاقبهما، وفي الفلك التي تجري في البحر، وفي السحاب، والمطر، وفي النبات والثمار، وفي الرياح والجبال، وفيما بث الله في الأرض من دابة، وفي الأجرام الفضائية من قمر ونجوم ومجرات، وفي الشمس وفي الألوان واختلافها وفي علم المواقيت والحساب، وفي آثار الأولين وما فيها من دلالات إلى غير ذلك مما يتناوله البحث العلمي بالدراسة والتأمل [١]. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

---

(١) انظر: أسس الحضارة والإسلامية ووسائلها، عبد الرحمن الميداني/ ٢٣١.
(٢) البقرة: ١٦٤.

فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(١) ، فهذه الدعوة الربانية إلى إعمال العقل وتوجيهه الدائم إلى التدبر والتفكر في كل جوانب الكون للتعرف على الحقائق بشمول وعمق هي منهج البحث العلمي في أصدق أصوله وأرسخ قواعده(٢) وهي العامل الأساسي الذي فتق الأذهان عن روائع الحضارة الحديثة ، ويسرّ للدنيا هذه الكشوف الجليلة لأسرار الوجود ، وسخّر للناس ما لم يكونوا يحلمون به(٣) .

وإذا كان البحث العلمي يتخذ من الملاحظة والتجربة مرتكزاً لعمله فإن الإسلام يعدها أساس العلم وأصله (في كتاب التقريب في حدود المنطق) يؤكد ابن حزم(٤) : (أن الحسّ أصل من أصول العلم ، وابن تيمية يبين في كتابه نقد المنطق أن الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة إلى اليقين)(٥) .

فالمنهج التجريبي وليد الفكر الإسلامي وليس من ابتكار الفكر الأوروبي على يد روجر بيكون(٦) ـ على حد زعم بعض الباحثين ـ فذاك زعم باطل يكذبه أحد أبناء الحضارة الأوروبية نفسها وهو (بريفولت) في كتابه (بناء

---

(١) فاطر : ٢٧ ـ ٢٨ .

(٢) انظر : لمحات في الثقافة الإسلامية ، عمر عودة الخطيب/ ٢٢٠ .

(٣) انظر : خلق المسلم ، للأستاذ محمد الغزالي/ ٢١٣ .

(٤) هو : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي ، القرطبي ، الفقيه ، الحافظ ، الظاهري ، صاحب التصانيف وإمام من أئمة المسلمين ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ ونشأ في نعمة ورياسة ، انتصر للمذهب الظاهري وردّ على معارضيه ، توفي سنة ٤٥٦هـ . انظر : لسان الميزان لابن حجر ٤/ ١٩٨ .

(٥) تجديد الفكر الديني في الإسلامي ، محمد إقبال/ ١٤٨ .

(٦) (١٢١٤ ـ ١٢٩٢م) فيلسوف إنجليزي رائد من رواد الحركة العلمية في أوروبا ، ترجع أهميته إلى اعتماده على التجربة العلمية للوصول إلى الحقائق الطبعية ، مات بالسجن الذي دخله بسبب انحرافه عن تعاليم الكنيسة . انظر : دائرة المعارف الحديثة ، لأحمد عطية الله ١/ ٤٤٣ .

الإنسانية) يقول: (إن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلم العربي والعلوم العربية في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذي جاء بعده الحقُ في أن يُنسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية)[١]، فميلاد هذا المنهج كان أثراً مباشراً من تأثير القرآن والسنَّة النبوية على استبدال المنهج التجريبي وجعله المنهج الرئيس في ميدان البحوث الطبيعية بمنهج التفكير السائد قبل الإسلام ـ وهو المنهج التأمّلي اليوناني والذي يعتمد على مجرد التصور العقلي والقياس المنطقي المجرد[٢].

فتقدير الإسلام للعلم وتوجيهه لأدوات الفكر إلى النظر والتأمّل والتفكر والاعتبار واضح في الإسلام، لا يحتاج إلى تكرار أو تأكيد، فالتفكر في الإسلام قرين العبادة وهما صفتان يتصف بهما أولو الألباب، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٣]. والفكر وسيلة الرقي العلمي والتطور العمراني، فالإسلام ـ كما حض على الترقي العلمي ـ دفع الفكر إلى العمل الصناعي والعمراني، فالصناعة والعمران هما المجال التطبيقي للجانب العلمي، لا يتم التقدم الحضاري إلا بهما، وفي إعلان تسخير ما في السموات والأرض جميعاً دفع بالغ للعمل الصناعي وبيان أن مواد أية صناعة يمكن الحصول عليها، فهي مسخّرة للإنسان، ويستطيع إذا بذل جهده العقلي أن يستنتج منها عناصر التصنيع[٤]. قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن

(١) تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال/ ١٤٩.
(٢) انظر: الإسلام والفكر العلمي، محمد المبارك/ ١٢٥.
(٣) آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١.
(٤) انظر: أسس الحضارة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني/ ٢٤٧.

فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١] . وفي القرآن الكريم آيات صريحة في الدعوة للتصنيع والعمل العمراني، قال تعالىٰ مخاطباً نبيه نوحاً عليه السلام : ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[٢] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾[٣] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[٤] .

والإسلام حينما يوجه الفكر إلىٰ البحث العلمي أو التقدم العمراني لا يقصر توجيهه علىٰ جانب من جوانبهما، فكل ما يؤدي إلىٰ المزيد من العرفان، ويوثق صلة الإنسان بالله وبالوجود، ويفتح آفاق أبعد من الكشف والإدراك، ويتيح له السيادة في العالم، والتحكم في قواه والإفادة من ذخائره المكنونة، ينبغي علىٰ المسلم أن يتطلع إليه ويتضلع منه[٥] ويجب علىٰ بعض المسلمين أن يتخصصوا فيه ليسدُّوا حاجة الأمة الإسلامية، ويقوموا بوظيفة إعمار الأرض، ليتحقق لهم قدر المتاع المباح من الدنيا، قال تعالىٰ : ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[٦]، وقال تعالىٰ : ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[٧] ، يقول الإمام الشاطبي[٨] ـ رحمه الله ـ : (طالب ـ الله ـ الناسَ بالتعلم والتعليم لجميع ما

---

(١) الجاثية: ١٢ ـ ١٣ .

(٢) هود: ٣٧ .

(٣) الأنبياء: ٧٩ ـ ٨٠ .

(٤) النحل: ٨٠ .

(٥) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي/ ٢١٧ .

(٦) هود: ٦١ .

(٧) البقرة: ٣٦ .

(٨) هو: أبو إسحاق بن موسىٰ اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، صاحب الموافقات والاعتصام والإفادات والإنشادات وغير ذلك . توفي سنة ٧٩٠هـ . انظر: فهرس الفهارس والأثبات/ ١٣٤ .

يستجلب به المصالح وكافة ما تدرأ به المفاسد ، إنهاضاً لما جبل فيهم من تلك الغرائز الفطرية والمطالب الإلهامية)[١] .

فبفضل هذا الشمول في توجيه الإسلامي الفكري استطاع الإنسان المسلم أن يصل إلى نتائج علمية متوافقة مع طبيعة تكوينه، ومتلائمة مع رسالته في الحياة، بحيث مكنته من بناء حضارة متقدمة في جميع جوانبها حققت له السعادة والرخاء والطمأنينة ، وما قيمة فكر يحقق لصاحبه شقاء وتعاسة. لقد كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذُ بكَ من علمٍ لا يَنْفَع...**»[٢] . إن الفكر الغربي ـ مثلاً ـ على كثرة بحوثه العلمية وما وصل إليه من حقائق، انعكس أثرها في القوة المادية، ووفرة الإنتاج الصناعي ـ مع ذلك كله ـ لم يستطع بسبب إلحاده ورفضه للإيمان أن يحقق السعادة والاستقرار النفسي لشعوبه ، فكانت النتيجة عكسية: جفاف عاطفي، وضمور روحي، تعاني آلمه الشعوب الغربية يشهد لذلك شاهد من أهل هذه الحضارة الأستاذ كامل فلامريون ؛ إذ يقول: (وفي الواقع . . . ماذا يفيد الإنسان علمه ببعض الحوادث الطبعية بجانب ذلك الإلحاد المتجدد والمؤلم الذي يجرنا إليه ضميرنا الفاقد لحرارة الحياة)[٣]. إن البدء ببناء الإيمان الخالص وتكوين القناعة العقلية بأصوله هو المنهج الصحيح لتنشئة الإنسان الصالح [٤] المتفاعل مع الكون وسنن الحياة.

رابعاً: الفكر سبيل بناء العادات الحسنة والتحرر من إسار التقليد والجمود:

لقد فقد الإنسان دوره في الحياة حيث ألغت الكنيسة حقه في التفكير

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة ١/ ١٧٩ .

(٢) رواه مسلم بسنده إلى زيد بن أرقم ٤/ ٢٠٨٨ رقم ٢٧٢٢ ، كتاب الذكر . . إلخ، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(٣) كتاب الله ذاتاً وموضوعاً، عبد الكريم الخطيب/ ٥٢، ٥٣ .

(٤) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب/ ٥٤٤.

والنظر، وجعلته حقاً من حقوق السلطة الدينية وحدها، وحين حالت بينه وبين تفسير الكتب المقدسة فقصرت تفسيرها على رجال الكنيسة وحدهم، عندئذٍ أصبح الإنسان معدوم الحياة، أشبه بالحيوان الأعجم الذي يساق حسب رغبة صاحبه لا برغبته، إن هذا التعدي الصارخ الذي مارسته الكنيسة على الإنسان أحدث ردّة فعل في المجتمع النصراني تمثلت في التخلي التام عن الكنيسة وطقوسها، وعبادة العقل إلى حد التقديس والتأليه، وفي المجتمع العربي الجاهلي قبل بعثة الرسول ﷺ لم يكن دور العقل بأحسن حالاً مما كان عليه في ظل الكنيسة المنحرفة إن لم يكن أسوأ، فعبادة الأحجار والأشجار والأفلاك والالتجاء إلى الكهان والعرّاف والتشاؤم بالنجوم وعمل السحر والتعاويذ، وتقديس إرث الآباء مظاهر جاهلية تعمل عملها في أسر العقل، وشلّ حركة التفكير وهي في حقيقتها عبادة للسدنة والكهان الذين يحتكرون المعرفة الفاسدة، ويقومون بالوساطة بين الناس وما يعبدون ويؤدون دور الوصاية على العقول والتفكير [١].

إن العقل البشري لقي احتقاراً وازدراءً في المجتمعين السابقين ولم يجد تقديره ورعايته إلا في الإسلام الذي كسر عنه طوق الجمود وحرره من قيود الجاهلية وأغلالها، ودفعه إلى النظر في ملكوت السموات والأرض، وما خلق الله فيها من مخلوقات، وحثّه على السير في الأرض وتأمُّل حوادثها واستنتاج سننها، وعلى التبصر في طبيعة نفسه وتركيبها، ولم يكن الكون والنفس غاية مطافه وعمله، بل أوجب على العقول الناضجة أن تنظر في الأدلة لاستنباط الأحكام للوقائع الجديدة، فلم يُحل تقديس الشريعة وصيانتها دون التفكر في أدلتها وقواعدها قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٢]. عن

---

(١) انظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد/ ١٢٧.
(٢) محمد: ٢٤.

عمرو بن العاص[١] ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»[٢] .

إن الإسلام يهدف إلى تنشئة الشخصية المسلمة المستقلة في الفكر والحضارة، لذا يرعى العقول على الذاتية المهتدية بنور الإيمان ، والمنتفعة بتشريعاته، وينميها على الحذر من الانسياق مع فكر غيرها بالتقليد والتبعية؛ لأنهما من مظاهر فقدان الشخصية وتعطيل العقل عن العمل و (يحرص على تكوين العقل الاستدلالي أو البرهاني الذي لا يتقبل فكرة دون تمحيص، ولا يؤمن بعقيدة ما لم يتحصل على برهان ليكون هذا العقل الواعي ضماناً للحرية الفكرية وعاصماً للإنسان من التفريط فيها بدافع من تقليد أو تعصب أو خرافة)[٣] . فيذم الله تعالى المقلدين الذين يقولون: **﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾**[٤] ، **﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾**[٥] ، وينهى الله عن التسرع في الأمور دون تمحيص ولا تثبت فيقول سبحانه: **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾**[٦] ، ويأمر بإقامة الحكم على الدليل الصحيح والبرهان القاطع ، قال تعالى على لسان أهل الكهف: **﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى**

---

(١) القرشي، السهمي، أسلم سنة ثمان قبل الفتح ، ولاه رسول الله ﷺ إمرة عمان، ولاه عمر فلسطين والأردن ، وشارك في فتوحات الشام ، وافتتح مصر ، مات سنة ٤٣هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٨/ ٢٢٢ رقم ١٩٣١ ، والإصابة لابن حجر ٧/ ١٢٢ رقم ٥٨٧٧ .

(٢) متفق عليه: البخاري ٦/ ٢٦٧٦ رقم ٦٩١٩ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة. باب : أجر الحاكم إذا جتهد فاصاب او اخطأ . ومسلم ٣/ ١٣٤٢ رقم ١٧١٦ ، كتاب الأقضية، باب : بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فاصاب أو اخطأ .

(٣) الأخوات المسلمات، محمود الجوهري وزميله/ ٥٩ .

(٤) الزخرف: ٢٣ .

(٥) البقرة: ١٧٠ .

(٦) الإسراء: ٣٦ .

اللَّه كَذِبًا﴾[١] ، وقال تعالىٰ : ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢] ، ويسقط الإسلام كل استبداد خارجي يقهر العقل عن طريق أحبار أو رهبان أو كهّان أو عراف فيذم الله الذين خدعوا بالأحبار والرهبان فيقول سبحانه : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣] .

والقرآن الكريم في آياته الكثيرة التي تخاطب العقل وتنوه بالتفكير يظهر عناية العليم الحكيم بالعقل البشري، وتفضله سبحانه علىٰ العقل بأن أقام له قاعدة مكينة طاهرة من أدران الباطل وزيفه، مستقلة عن كل الروابط التي تقعده عن العمل أو تثبطه عن الحركة ، هذه القاعدة هي قاعدة الإيمان الراسخ التي ينشأ عنها التصور الرباني الصحيح للكون والحياة، فالتفكير الإسلامي ينطلق في ظلال هذه القاعدة وهو يجد منها الرعاية والترشيد، ويأخذ منها موازينه ومقرراته، فهي ميزانه الذي يحتكم إليه في كل ما يصل إليه من نتائج وأفكار ليعرف حقها من باطلها وصحيحها من زائفها[٤] ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٥] . وهكذا يصبح العقل في الإسلام حرّاً طليقاً من كل القيود التي تغلّ حركته، وتشلّ نشاطه هادفاً محفوفاً بالسداد والاستقامة اللذين يعصمانه من الشطط والزلل ، ويصير مفيداً مثمراً ينتفع بنتائجه العالم بأسره.

إن الاهتمام بالتكوين العقلي والبناء الفكري من مهمات القائمين علىٰ

---

(١) الكهف : ١٥ .
(٢) النمل : ٦٤ .
(٣) التوبة : ٣١ .
(٤) انظر : خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب/ ٥٤ .
(٥) الشورىٰ : ١٠ .

المجتمع في الإسلام كما يقرره القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[(١)] ، إذ إن من طبيعة هذا الدين أن (يفرض على الأمة التي تعتنقه أن تكون أمة مثقفة مدركة واعية؛ لأن حقائقه . . . من عقيدة وأخلاق وعبادات ومعاملات بتفاصيلها الدقيقة وأصولها العميقة ليست طقوساً مبهمة تنتقل بالتقليد والوراثة، وليست تمائم وتعاويذ بغير فهم وإدراك ، وليست سحراً وشعوذة يعتمدان على الإيحاء والإبهام ولكنه وحي ثابت محدد ويقيني . . . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . . وقامت الأدلة على صدقه)[(٢)] ، فلا بد من أن يعم الوعي الفكري جميع أفراد أمة هذا الوحي الصادق ، وأن توضع أسسه في مرحلة البناء الثقافي - أعني مرحلة الطفولة - تلك المرحلة التي أهملها بعضهم بحجة بطء النمو الفكري فيها، وتأخّر النضج إلىٰ مرحلة المراهقة، وهو موقف يضيع فترة البناء، ذات التأثير العميق في حياة الإنسان، قال الحسن البصري: (طلب العلم في الصغر كالنقش في الحجر)[(٣)] .

صحيح أن الطفل يتأخر إدراكه المعنوي إلىٰ ما بعد التمييز ، ولا ينضج تماماً إلا في المراهقة، ولكن هذا لا يعني عدم إدراكه ألبة، فلا أقل من أن نقيه ضرر التأثر بالخبرات التي يكتسبها، بوسيلتي الإيحاء والتقليد في السنوات السبع الأولىٰ، فقدرته عل الالتقاط والمحاكاة شديدة الحساسية في نفسه، وعن طريقها يتعلم الكلام، وفي ذلك دليل على أن لديه قدراً من الوعي مكّنه من تعلم معاني الأصوات والمفردات والجمل، فتعلمه اللغة، وإدراكه لمعانيها دليل قاطع على أن وعيه الفكري يتفجر في وقت باكر جدًّا[(٤)] ، وأيًّا كان قدر هذا الوعي والإدراك

---

(١) التوبة: ١٢٢ .

(٢) أزمة التعليم المعاصر، د. زغلول راغب النجار/ ٨٥ .

(٣) كشف الخفا ومزيل الإلباس للعجلوني ٢/ ٨٥، من رواية البيهقي وابن عبد البر .

(٤) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ٢/ ١١٧ .

فإن العناية به فكريًا متأكد لبناء أجيال قادرة على الإبداع والرقي ، وليس هذا الأمر يقرر جديداً ، فقد ذكر ابن مسكويه[١] عناية الإسلام بالأطفال وحرصه على تعويدهم الأفعال المرضية ، وإعداد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل ، وبلوغ السعادة بالفكر الصحيح ، والقياس المستقيم ، وحث الوالدين على أطفالهم بهذه الوصايا واستخدام ضروب السياسات المجدية ، ويرى أن الأطفال إذا تعودوا على ذلك واستمروا عليه مدة من الزمان أمكن فيهم حينئذ أن يعلموا براهين ما أخذوه تقليداً[٢] .

فمرحلة الطفولة ذات أهمية خاصة في البناء الفكري والتأسيس العلمي لأصول المعارف ، ففيها يستكمل العقل نضجه ويصل الذكاء إلى أقصاه ويتمكن من التفكير المعنوي [٣] والبحث عن الأسباب والعلل فيه مرحلة البناء لما سواها من مراحل .

(١) هو : أبو علي الخزان ، اشتغل بالفلسفة والكيمياء ، ثم أولع بالتاريخ ، كان في الذروة العليا من الفضل والأدب والبلاغة والشعر ، توفي سنة ٤٢١هـ . انظر : معجم الأدباء لياقوت ٥/ ٥ ، والأعلام للزركلي ١/ ٢١١ .

(٢) انظر : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق/ ٤٥ .

(٣) راجع خصيصتي النمو العقلي لمرحلة التمييز والمراهقة/ ٣٥ ، ٤٨ .

المبحث الثالث

طرق تكوين البناء الفكري

طرق بناء فكر الطفل المسلم كثيرة ، تقدم بعضها أثناء الحديث عن طرق بناء الإيمان ، ومن أجداها نفعاً طريقا التدرج والقدوة . فالتكوين الفكري لدى الطفل ـ كما تقدم ـ يمرّ بمستويات متدرجة ، متجهة نحو الكمال والنضج ، ومراعاة هذه المستويات ضرورة محتومة أثناء عملية البناء ، وكذلك القدوة تترك تأثيراً فكرياً واضحاً على عقول الناشئة مما يقتضي الحرص على تنقية محيط الطفل من الأشخاص المؤثرين في إفساد أفكاره ، وتصوراته خاصة ممن يمارسون وظيفة التربية والتعليم ؛ وذلك لحفظ عقول أطفالنا الخالية من الأفكار الغريبة عن الفكر الإسلامي النقيّ ، وسيكون الحديث عن طرق أخرى لها إسهام في بناء فكر الطفل المسلم ، وهي : الرعاية الثقافية للمحيط ، والتعليم ووسائله ، وقراءة القرآن واستظهاره ، واستخدام الأدلة العقلية الإيمانية .

أولاً: الرعاية الثقافية للمحيط:

يولد الطفل وعقله خال من الخبرات والمقدمات ، قابل لكل ما يصل إليه من أفكار عن طريقي الفطرة والحواس . يقول الإمام الغزالي : (الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، قابل لكل ما ينقش ، مائل إلى كل ما يمال به إليه)[1] ، المحيط القريب بما فيه من خبرات ومعارف يؤثر في النشاط العقلي تأثيراً كبيراً[2] ، ويعد المصدر الأول الذي يعتمد عليه في بناء أفكاره وتصوراته ومحاكاته العقلية ، وتساعده نزعة حب الاستطلاع

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٦٩ .

(٢) انظر : الإنسان ذلك المجهول ـ ألكسيس كاريل ، تعريف شفيق أسعد فريد/ ١٧٤ .

على جمع أكبر قدر منها ، وتظهر هذه النزعة منذ أيامه الأولى وتتعمق وتتسع مع تكامل نمو الحواس ونضج العقل ، فتبدأ متعلقة في أول الأمر بكل ما حوله ثم تأخذ صلة الاهتمام بحدث أو ظاهرة أثارت انتباهه وأدهشته ؛ إذالم يألفها من قبل أو يعتدها ، فيعقبها بالسؤال الذي يتطلب أحياناً تفسيراً وتوضيحاً (ما هذا؟ - وماذا حدث؟) [١] وتصادف إجابات أسئلته ومعارفه الأولى التي يتحصل عليها عن طريقي المحاكاة والتقليد عقلاً ساذجاً خالياً فتنطبع فيه وتصبح أساساً لتفكيره وتصوره ، وهذا يوضح أهمية الرعاية الثقافية التي تعمل على مراقبة هذه الخبرات وتنقيتها من كل الشوائب وتعمل على تنمية العقل بالخبرات الصحيحة ، وقد أشار إلى هذه الأهمية ابن المقفع إذ يقول : (وللعقول سجيات وغرائز بها تقبل الأدب ، وبالأدب تُنمى العقول وتُزكى ، أن الحبة المدفونة في الأرض لا تقدرُ أن تخلعَ يبسها ، وتظهر قوتها ، وتطلع فوق الأرض بزهرتها وريعها[٢] ونضرتها ونمائها إلا بمعونة الماء الذي يغور إليها في مستودعها فيذهب عنها أذى اليبس والموت ويحدث لها بإذن الله القوة والحياة ، فكذلك سليقة[٣] العقل مكنونة[٤] في مغرزها من القلب لا قوة لها ولا حياة بها ، ولا منفعة عندها حتى يعتملها[٥] الأدب الذي هو ثمارها وحياتها ولقاحها ، وجلّ الأدب بالمنطق[٦] وجلّ المنطق بالتعلم)[٧] ، والتأدب في كلام ابن المقفع مصطلح واسع يطلق قديماً على كل ما يحمل الإنسان إلى المحامد وينهاه عن المقابح[٨] فتدخل الرعاية الثقافية في جملته ومعناه وهي من مسئولية الآباء بالدرجة الأولى ؛ لأن الطفل يقضي جلّ وقته

---

(١) انظر : وحدة لتنمية الشعور الديني عند الأطفال ، د . عواطف إبراهيم محمد/ ٧٧ .

(٢) جمالها وفضلها .

(٣) مستقرة ومحفوظة .

(٤) يحركها .

(٥) الكلام المبني على العقل .

(٦) الأدب الصغير ، صححه وقدم له محمد نصر أبو المحاسن القاوقجي/ ٢٠ .

(٧) لسان العرب ، لابن منظور ١/ ٤٣ .

تحت رعايتهم وبالقرب منهم ، ويتلقىٰ أصول تفكيره عن طريقهم ويكسب عنهم غالب خبراته ومعارفه ، فأثرهم إيجابي وسلبي علىٰ تكامل شخصيته في مستقبل حياته حسب نقاء فكرهم وفساده، وحسب منهج الرعاية الذي يتبعونه في تثقيفه وبناء فكره، لذا ينصح ابن القيم أن يجنب الطفل إذا عقل مجالس اللهو الباطل والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء، فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر، وعز علىٰ وليه استنقاذه منه فتغيير العوائد من أصعب الأمور وأشقها علىٰ النفس(١) ، فإذا توفرت في محيط الطفل الإمكانات الفكرية والجو الصحيح عقليًا وعادات التفكير السليمة أمكنه الاستمرار في النمو العقلي وتكامل شخصية وتزايد المعرفة(٢) .

ويمكن أن ألخص عمل الرعاية الثقافية في بناء فكر الطفل فيما يلي :

أ ـ تقديم المعلومات الصحيحة والخبرات السليمة ليقوم بناء فكر الطفل علىٰ أساس صحيح.

ب ـ بيان طرق التفكير الصحيح لحل المشكلات والوصول إلىٰ الحقائق مع ضرورة التقيد بتوجيهات الإسلام في ذلك.

جـ ـ تنقية الجو المحيط بالطفل من كل الشوائب الفكرية الفاسدة التي تكدر علىٰ فطرة العقل صفاءها، وتشوش علىٰ الذهن هدوءه، مثل الخرافات التي تمارس بعض العادات الاجتماعية أو يُعتمد عليها في القصص.

د ـ إتاحة الفرصة أمام الأطفال للتطبيق الفكري العلمي في واقع الحياة، مثل تنمية قدرتهم علىٰ إدراك الكليات بصورها الكاملة ومقارنتها بالجزئيات بأسلوب شيّق يقنعهم أن الذي نراه متكاملاً أمامنا هو مجموع أجزاء، ويُضربُ له مثل بالشجرة التي تعد كلا متكاملاً تتكون من الجذور والجذع

---

(١) انظر : تحفة المودود/ ٢٤٠ .

(٢) انظر : معالم التربية، دراسات التربية العامة والتربية العربية، د. فاخر عاقل/ ٦٩ .

والأغصان والأوراق والأزهار والثمار(١) .

هـ ـ إثارة انتباه الطفل إلىٰ ظواهر الكون ليندفع عقله إلىٰ البحث عن حقيقتها وعن السنن التي تحكمها مداركه وتزداد معارفهُ وترسخ إيمانه(٢) .

ثانياً: التعليم ووسائله:

يسهم التعليم المباشر ووسائله في بناء فكر الطفل وسلامته (ذلك أن التعليم في الصغر أشدّ رسوخاً ، وهو أصل لما بعده ؛ لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات ، وعلىٰ حسب الأساس وأساليبه يكون حال من يبني عليه)(٣) ، فإذا أردنا أن نبني فكر أطفالنا بناءً سليماً فلا بد من أن نحرص علىٰ تعليمهم مقدمات العلوم الصحيحة وأساليبَ التفكير السليم ونعودهم التزام الحق والوقوف علىٰ الدليل والبرهان ، فإن هذا من شأنه أن ينشئ عقلاً مبدعاً ، ونظراً ثاقباً ، ودراية فاحصة ، فالعقل يتكون حسب ما يتربىٰ عليه من طرائق التعليم ومناهجه .

ولقد نال العقلُ حظًا وافراً من عناية الإسلام وتشجيعه علىٰ التفكير الذاتي والبحث العلمي مما يقتضي أن يكون هدفاً من الأهداف الواضحة في ذهن المعلم أو المربي . والمُلاحظةِ في أفكار المناهج وبنية الكتاب المدرسي بحيث تستهدف جميعاً بناء عقل الطفل علىٰ التفكير والتأمّل .

والطفولة هي مرحلة البناء الفكري والتأسيس العلمي ـ وبالذات في مرحلتي التمييز والمراهقة ـ حيث يبدأ الطفل يتلقىٰ أصول المعارف بالمدرسة الابتدائية وينضج عقلُه وتتسع مداركُه في مرحلة المراهقة ، ويمكن أن أشير إلىٰ بعض

---

(١) نظر : علم النفس التربوي في الإسلام ، د . المقداد يلجن وزميله/ ١٥٨ .

(٢) رقم ١ ، ٢ ، ٥ انظرها في : كتاب الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ، محمود الجوهري وزميله/ ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د . علي وافي ٣/ ١٢٤٩ .

الجوانب البانية لفكر الطفل التي ينبغي مراعاتُها في عملية التعليم .

أ- التوافق التام بين الأفكار والخبرات والمعارف التي يتلقاها الطفلُ عن طريق المدرسة والعقيدة الإسلامية بحيث تصبح العقيدةُ الروح السارية في كل أجزاء ما يتلقاه من معلومات ، وبذلك تحفظ الطفل من سموم الأفكار الغربية ، وتقيه شرها وآثارها المستقبلية على حياته وتصوره .

ب- الشموليةُ في النظرة التعليمية بحيث تستوعب تنميةَ جميع جوانب تكوين الطفل فتبني عقله وروحه وكيانه وتحفظه من التمزق والتناقض الفكري الذي ينشأ عن النظرة التعليمية المزدوجة التي تشطر الإنسان شطرين : شطراً روحياً ، وآخر ماديًا ، فهذه النظرة تحدث ازدواجاً في تفكير الطفل لانعدام الرابط بين الشطرين في تعليمه ، ووقوع التناقض بينهما فيما يتلقاه من علوم ومعارف ، فالمطلوب إحداث تمازج بينها وإزالة كل الحواجز المصطنعه بين الدين والمعرفة بحيث لا يشعر الطفلُ بأية فواصل حقيقية بينها .

جـ- التخطيط للنهوض بعقل الطفل المسلم وتوسيع دائرة تفكيره ، والعناية بالنوابغ فكريا ، فليس المقصودُ من التعليم حشو عقل الطفل بأكبر قدر من المعلومات ، بل المقصود أن يكون المتعلم إنساناً صالحاً يسهم في البناء العلمي والحضاري ، قادراً على العطاء الفكري والإسهام العلمي .

د- إتاحة الفرص وتهيئة الإمكانات التي تمرن عقل الطفل على التفكير والإبداع والعناية بأسئلته وملاحظاته والإجابة عليها بمعلومات صحيحة تتناسب مع قدرته العقلية وتشجعه على جمع المعلومات والتنقيب عنها بدقة وأمانة ولفت عقله إلى التفكير في الحوادث التي تشد انتباهه مثل : طلوع الشمس من المشرق ومغيبها من المغرب ، ومثل : لمعان البرق ، ودوي الرعد ، وتلبد السحاب ، ونزول المطر .

هـ- العمل على ربط الطفل بالدليل النقلي والبرهان العقلي ليتعود بناء أفكاره

عليها والتزام ما يدلان عليه من حق ، وليتخلص من إسار التقليد والمحاكاة اللذين كان يعتمد عليهما في مرحلتي الرضاعة .

ثالثاً: قراءة القرآن واستظهاره:

ربط الطفل منذ نشأته بالقرآن الكريم من أهم الوسائل البانية لعقله والمحركة لفكره؛ لما اشتمل عليه القرآن من آيات كريمة، تقدر العقل، وتشيد من سور القرآن من آية توجه العقل إلى الملاحظة الحسيّة أو تدفعه إلى التفكير في حقائق الأمور أو تستحثه على البحث والاستقصاء بأسلوب ممتع يستثير الهمم ويتسجيش العواطف ، وبمنهج يحرر العقل من إسار الجمود والتقليد والرضا بإرث السابقين، ويلفت العقل إلى الكون المشاهد ليجول في آفاقه ونواحيه، ملاحظاً ومتأملاً لما وراءه من سنن مطردة، وما بين أجزائه من روابط وعلل، معتمداً في بحثه وملاحظته على الدليل الصحيح والبرهان الصادق، فالقرآن بجملته خطاب للعقل يدفعه إلى النمو والنضج، ويستحثه على العمل والبحث، فلا شيء أنفع له من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر ، وهو أصلُ صلاحه ، فقد كان ﷺ يقوم الليلة بآية يرددها حتى الصباح ، وقد ثبت هذا [1] في قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2] . قال ابن مسعود: (لا تهذوا القرآن كهذ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب)[3] ، فالقرآن أنزل للتدبر والتفكر لا لمجرد التلاوة والإعراض عنه[4] .

---

(١) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها ، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ رواه ابن ماجه ١/ ٤٢٩ رقم ١٣٥٠ ، كتاب الصلاة . . . إلخ، باب : ما جاء في القراءة في صلاة الليل ، وفي الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

(٢) المائدة : ١١٨ .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٥٢١ كتاب الصلوات ، في قراءة القرآن .

غريبه: نثر الدقل: أي كما يتساقط الرطب اليابس من العذق إذا هزّ. النهاية لابن الأثير / ٥ .

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ١/ ١٨٧ .

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[١] ، فلا عجب أن ينمو تفكير قارئه ومتدبره، ويزكو عقله وينضج فهمه ؛ لما يتركه القرآن من أثر فعَّال على عقله يدفعه إلى العمل ، وبذل طاقته في تأمل آياته والنظر فيما يستلفته إليه من مخلوقات وآفاق .

ولقد كان البدء بتعليم الطفل قراءة القرآن أو استظهاره مسلكاً اتفق عليه المسلمون في جميع أمصارهم؛ لما للقرآن من أثر في ترسيخ الإسلام وعقائده ومفاهيمه في قلوب الأطفال منذ الصغر؛ وليصير أصلاً لما سواه من علوم وملكات[٢] ، ولعل هذا الاهتمام بالقرآن من أسرار نبوغ السلف الصالح في العلم وتقدمهم الحضاري، خاصة وأن مرحلة الطفولة تمتاز بصفاء الذاكرة وقوّتها على الاستظهار فحري أن تستغل في حفظ القرآن وإتقانه ، فهو ـ إلى جانب كون قراءته وتدبره عبادة ـ فإنه ذخيرة علمية هامة، توجه تفكير الطفل ، وتعينهُ على البحث والاستدلال ، فإن التربويين اليوم يجمعون على أن للمفردات والتراكيب الجملية التي يحفظها الطفل في صغره صلة كبرى بنمو الطفل وقدرته على الفصاحة والبيان[٣] .

رابعاً: النظر والتأمّل العقلي في مخلوقات الله تعالى:

إنَّ تعويد الطفل على النظر في مخلوقات الله تعالى وتأمل حكم خلقها وتناسقه وترابط بعضه ببعض بدءاً بالمألوف المشاهد وانتهاءً بملاحظة العلل والأسباب في تدرج يتلاءم مع نمو عقل الطفل وقدرته على التفكير والتأمّل ، يعد من أجدر الطرق المنمية لطاقة العقل الكامنة ومن أقربها ثمرة وأجداها بناء وإقناعاً بدون كلفة ولا مشقة، وهو الأسلوب الذي سلكه الإسلام في بناء عقول أتباعه،

---

(١) محمد: ٢٤ .

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون ، د. علي وافي ٣/ ١٢٤٩ .

(٣) انظر: أزمة التعليم المعاصر، د. زغلول راغب النجار/ ١٠٦ ، ١٠٧ .

وبثّه في كتابه المحفوظ في آيات كريمة تدعو إلىٰ إعمال العقل في العالم من أساليب البيان وسيلة لإيقاظ العقول من غفلتها ، واستنهاضها من خمولها وتحريرها من أغلال جمودها ، فتارة يسلك القرآن مسلك الآمر الملزم ، وتارة مسلك المستفهم المفكر ، وتارة مسلك الحاضّ المستحث ، وتارة مسلك الموازنة بين المتعلم والجاهل ، وغيرها من المسالك التي تندد بالموانع والأعذار المعطلة لطاقة العقل عن العمل ، تأمّل هذه المسالك في الآيات الكريمة التالية ، قال تعالىٰ : ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾(١) ، وقال تعالىٰ : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾(٢) ، وقال تعالىٰ : ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾(٣) ، وقال تعالىٰ : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(٤) .

فالطفل إذا نشأ تالياً لهذه الآيات الكريمة ، ووجد من يعينه ، ويلفت نظره إلىٰ واقعها في الحياة عن طريق النظرة المتأمّلة لصفحة الكون أو للسماء والأرض أو لليل والنهار أو للنبتة الصغيرة والشجرة الباسقة أو للقطة الوادعة أو للنحلة العاملة ، فكم تؤثر هذه النظرة في تفتح عقل الطفل ونضجه؟ وكم تحمل إلىٰ قلبه من روعة الكون وجماله ودقة إحكامه؟ ترسخ فيه الإيمان بالله والإجلال له .

وإذا نما عقل الطفل وتكاملت وسائل إدراكه من الحواس ، تمكّن من استخدام الأدلة البدهية التي تقوم علىٰ سلامة التفكير الفطري ، مثل الاستدلال علىٰ وجود شيء غير مرئي بوجود دلائل مرئية أو حسيّة مثل إعادة الشيء أسهل

(١) يونس : ١٠١ .
(٢) السجدة : ٢٧ .
(٣) الغاشية : ١٧ ـ ٢٠ .
(٤) الزمر : ٩ .

من إيجـاده أول مـرة(١)، ودلالة الصنعـة علىٰ الصـانع، ودلالة الأثر علىٰ المؤثر(٢)، ودلالة التسخير علىٰ وجود مسخر، ودلالة أن وراء الإتقان والإحكام قدرة متقنة ومحكمة . . . وغير ذلك من الأدلة الفطرية التي تسلم بها العقول وتتلاءم مع قدرة الطفل العقلية خاصة في مرحلة المراهقة.

والقرآن الكريم استخدم الأدلة البدهية لإقناع العقول بالإيمان بالله تعالىٰ، وعرضها علىٰ الطفل مع الشرح والبيان من الطرق المفيدة التي تدفع العقل إلىٰ العمل، ومن هذه الأدلة:

أ ـ دليل الخلق والإيجاد:

من البدهي أن كل مصنوع لا بد له من صانع، وأن كل موجود لا بد له من مُوجد، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾(٣)، ولا يلزم من إثبات الصنعة ووجود الشيء رؤية الصانع الموجد، لكنهما يكفيان في إثباتهما ونسبة الفعل إليهما، فالكون كله آيات ناطقة تحيط بالإنسان من قرب وبعد، لتدلّه علىٰ خالقها وموجدها من العدم. والعقل هو الهادي إلىٰ هذه الدلالة: فلو نظر الإنسان إلىٰ الكون فتأمّل السموات وسعتها، من رفعها وسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها؟ وتأمّل الأرض من مدّها، وبسطها وأخرج منها ماءها ومرعاها وثبتها بالجبال الرواسي؟ وتأمّل النبات من منحه خاصية الإنبات والنمو، وأقام سوقها وجعلها أزواجاً شتىٰ؟ . إذا تأمّل هذه المخلوقات وغيرها اضطر عقلاً(٤)

---

(١) استخدم القرآن هذا الأسلوب في الردّ علىٰ منكري البعث، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

(٢) انظر: علم النفس التربوي في الإسلام، د. المقداد يلجن/ ٢١٦.

(٣) الطور: ٣٥.

(٤) لا يمتنع عن الاستسلام لدليل الخلق والإيجاد إلا مكابر، أو جاهل، قال تعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وقال=

أن يعترف برضا وقناعة أن الله هو الخالق البارئ المبدئ المعيد ، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ (١) ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا (٢) لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾(٣) .

وأقرب من الكون دلالة نفس الإنسان وما فيها من دقة الصنع ، فجسم الإنسان يحتوي على عدد من الأجهزة الدقيقة تؤدي وظائف ثمينة للإنسان، بدقة وانتظام مما يثبت لمتأملها أن لها خالقاً ومُوجداً، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(٤) ، وقال تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾(٥) . قال ابن قيم الجوزية: (لم يكرر سبحانه على أسماعنا وعقولنا ذكر هذا لنسمع لفظ النطفة والعلقة والمضغة والتراب ولا نتكلم بها فقط، ولا لمجرد تعريفنا بذلك ، بل لأمر وراء ذلك كله هو المقصود بالخطاب)(٦) ، وهو معرفة الله سبحانه.

ب ـ دليل العناية والتسخير:

وهذا دليل آخر يُوقظ العقل ويفتح مداركه على مظهر الكون فيبصر فيها عناية بحياة الإنسان وموافقة لحاجاته ويجدها مسخرة لمقاصده ومطالبه فمن أحدث هذا؟ ومن نظمها على هذا الحال وضبط سننها لينتفع بها الإنسان؟ من جعلها منقادة مذللة لطاقاته خاضعة لرغباته ؛ ليستثمرها ويخرج كنوزها

= تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨]، وهو ما توصلت إليه العلوم مؤخراً ، فإن هذا الكون لا بد له من مبدئ أو خالق وهو الله . انظر: كتاب الله، للأستاذ سعيد حوى/ ٢٢ .

(١) يميل من جانب إلى جانب .

(٢) أي: منقادة لله ؛ لما ترى من أثر الصنعة . قاله الزجاج . انظر: تفسير القرطبي ١٠/ ١١١ .

(٣) النحل: ٤٨ .

(٤) الذاريات: ٢١ .

(٥) عبس: ١٧ ـ ٢١ .

(٦) مفتاح دار السعادة ١ / ١٨٧ .

وذخائرها؟ إن العقل الفطري لن يجد إجابة غير أن ينسب هذه العناية والتسخير إلىٰ الله تعالىٰ.

تعاقب الليل والنهار رحمة من الله تعالىٰ تشير إلىٰ عناية الله بحياة الإنسان، والإنسان لا يستغني عن نهار يكدح فيه لطلب الرزاق وسد الأود ولا يستغني عن ليل يستريح فيه من تعب النهار، فكيف تكون حياة الإنسان لو ظل الليل أو النهار سرمداً إلىٰ يوم القيامة. فليتأمل العقل هذه الظاهرة ومنافعها، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١).

تذليل الأرض الواسعة وما عليها من مخلوقات وما تحتويه من كنوز، وانقيادها لعقل الإنسان وما يفيضه من فكر واختراع، نعمة أخرىٰ علىٰ الإنسان، علىٰ العقل أن يتذكرها، كيف استقرت هذه الأرض فلا تميل بمن عليها من دورانها؟ وكيف أصبحت مطاوعة للتغيير والتطوير؟ وكيف قبلت أن تمزق قشرتها لإخراج ما في بطنها من ماء يمد الإنسان بالحركة والحيوية وما فيه من طاقة تحرك الآلة الصمّاء. فليتأمل العقل هذا المخلوق العظيم وتذليله للإنسان، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(٢)، وهكذا بقية المخلوقات خلقت مذللة مسخرة. قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾(٣)، فسياق هذه الآية يعرض لفتة

---

(١) القصص: ٧١ ـ ٧٣.

(٢) الملك: ١٥.

(٣) لقمان: ٢٠.

عقلية إلى هذا التناسق بين حاجات الإنسان على الأرض ، وتركيب هذا الكون ، مما يقطع بأن هذا التناسق لا يمكن أن يكون فلتة ولا مصادفة، وأنه لا مفرّ للعقل في أدنى مستوياته من التسليم بأن وراءه إلهاً مدبّراً(١) .

يمكن للقائم على تثقيف الطفل أن يتخذ من هذا الدليل وسيلة للفت عقل الطفل وتفتيح مداركه إلى هذه المخلوقات ليرى ما فيها من عناية ربانية وحِكَم سامية ومنافع متعددة ، ومما اتصفت به من قابلية للتغيير والانقياد عن طريق إلقاء بعض الأسئلة الحوارية على مسمع الطفل وهو يشاهد هذا الكون :

س: لماذا يأتي الليل؟ ولماذا يأتي النهار؟ من خلقهما متعاقبين هكذا؟

س: ماذا يستفيد الإنسان من الأشجار والنباتات؟ مَنْ خلقهما؟

س: لماذا تطلع الشمس من المشرق وتغيب في المغرب كل يوم؟ من دبرها؟

س: أيهما أكبر الإنسان أم الجمل؟ من يقود الآخر؟ من ذلّله؟

لا شك أن إجابة الطفل عن هذه الأسئلة وإتمام المربي للناقص منها، أو توضيح ما قصر فهمه في بعضها لها أثر فعال في بناء فكر مهتد بنور الإيمان .

جـ ـ دليل القدرة الإلهية:

الآيات الكونية الدَّالة علي قدرة الله تعالى مبثوثة في كل أجزاء الكون في أكبر جزء وأصغره، في غائبه وحاضره ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢) ، يدركها العقل حينما يبصر إبداع خلق السموات والأرض ويلحظ انتظام تقلبات الليل والنهار وسير الأفلاك في مداراتها ويرى إحكام هذاالخلق ، فلا يجد فيه خللاً أو قصوراً أو اضطراباً. إن الإنسان حينما يدرك هذا يسلم بداهة بأن وراء هذا الكون إلهاً قادراً.

---

(١) انظر : في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/ ٢٧٩٢ .

(٢) الملك : ١ .

ليتأمل العقل معجزة الحياة كيف تنشأ من الجامد حركة ونماء ، فالبذرة مثلاً جسم صغير جامد ساكن ، كيف تنفلق عن نبتة نامية تتفرع إلىٰ سوق وأغصان وأوراق وأزهار وثمار وتعيش إلىٰ أجل معلوم ثم تتعرض إلىٰ الفناء المحتوم وتتحول إلىٰ موات بعد أن كانت شجرة وارفة الظلال؟[١] ، من يقدر علىٰ ذلك؟!

إن العقل الفطري لن يحار في الإجابة ، ولن يبذل جهداً في التفكير ؛ لأنه مفطور علىٰ التسليم بقدرة الله تعالىٰ وهيمنته علىٰ الكون فهو سبحانه لا يعجزه شيء في هذا الكون إنشاء وإعادة وإتقاناً وإحكاماً وإبداعاً ، ويفصّل القرآن آيات قدرته في خلقه لقوم يعلمون ويفقهون ويؤمنون . قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢] .

والطفل الصغير منذ أن يستقيظ عقلُه وهو في ولع شديد لاكتشاف سر وجوده ، وكنه الكائنات من حوله ، فلا ينفك يسأل ويتقصىٰ ، يشاهد المولود الجديد فيتأمله من جعل له عينين؟ ولساناً وشفتين وأعضاء مثل أعضائنا؟ هل أمه قادرة أن تفعل ذلك في بطنها ؟ كلا . وتروعه عظمة الجبل وسعة البحر وتعالي

---

(١) انظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ٢/ ١١٥٣ .

(٢) الأنعام : ٩٥ ـ ٩٩ .

أغصان الشجرة في السماء وجمال أزهارها فيسأل من أوجدها؟ من خلقهما بهذه الصورة المتقنة؟ هل عند أبي قدرة على فعل ذلك؟! كلا. وهكذا تتوالى أسئلة الطفل تبعثها رغبتُه الفطرية في الاستطلاع والبحث والتنقيب، ودهشتُه من روعة الكون وعظم خلقه، وبهذا الأسلوب تتكون أفكار الطفل ونمو طاقات عقله وتتفتح مداركه [(١)] ويترسخ إيمانه.

إن همود العقل وإلفه لتغيرات هذا الكون واعتياده لتقلباته يطمس بصيرته، ويضعفُ حركة الفكر، فكثيراً ما يحجب الألفُ والعادة العقل والفكر عن التأمل والاعتبار، فالإنسان الخامل يقع بصره يومياً على كثير من المخلوقات العظيمة مثل الشمس في جريانها والقمر في منازله، وتعاقب الليل مع النهار، ونمو النبات، وإثمار الشجر، لكنها لا تحرك فيه نظراً، ولا تستثير قلبه تذكراً[(٢)] خلاف المؤمن الواعي الذي يقرأ آيات الكون في الكتاب الحكيم فيوقظه بيانه الساحر، ويأخذ بلب عقله، فيتحرك فكراً وتأملاً، ويهتز قلبه خشوعاً وإجلالاً. فعن جبير بن مطعم[(٣)] قال: (سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾[(٤)] كاد قلبي أن يطير)[(٥)]. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «**قام رسول الله ﷺ فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلّ**

(١) انظر: وحدة لتنمية الشعور الديني عند الأطفال، عواطف إبراهيم/ ٥٥.

(٢) انظر: معالم في التربية، د. عجيل النشمي/ ١٥٠.

(٣) القرشي النوفي، من أكابر قريش، قَدِمَ على النبي ﷺ في وفد أسارى بدر، فسمعه يقرأ الطور فكان ذلك أول ما دخل الإيمانُ في قلبه، أسلم بين الحديبية وفتح مكة، ومات سنة ٥٧هـ بالمدينة. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ١٣١ رقم ٣١٢، والإصابة لابن حجر ٢/ ٦٥ رقم ١٠٨٧.

(٤) الطور: ٣٥ ـ ٣٧.

(٥) متفق عليه: البخاري ٤/ ١٨٣٩ رقم ٤٥٧٣ تفسير القرآن، باب: تفسير سورة الطور، وروى مسلم آخره ١/ ٣٣٨ رقم ٤٦٣ كتاب الصلاة، باب: القراءة في الصبح.

حجره، قالت: وكان جالساً فلم يزل يبكي ﷺ حتى بلّ لحيته. قالت: ثم بكى حتى بلّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي : قال: يا رسول الله ! تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً لقد نزلت عليَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾[1] الآية كلها»[2] .

---

(١) آل عمران : ١٩٠ .

(٢) رواه ابن حبان ، موارد الظمآن/ ١٣٩ رقم ٥٢٣ كتاب الصلاة، باب : البكاء في الصلاة، قال الألباني : هذا الحديث إسناده جيد، ورجاله كلهم ثقات غير يحيىٰ بن زكريا ، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه ، قال: ليس به بأس ، وهو صالح الحديث . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للألباني ١/ ٩٤ رقم ٦٨ .

الفصل الثالث

البناء العبادي

مفهومه ـ أهمّيته ـ كيفية الالتزام به

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم البناء العبادي.

المبحث الثاني: أهمية البناء العبادي.

المبحث الثالث: كيفية التزام الطفل به.

المبحث الأول

مفهوم البناء العبادي

أولاً: العبادة لغةً:

مادتها العين والباء والدال (عبد) وهي أصل صحيح لمعنين كأن بينهما تضاداً في الاستعمال. فالأول: على لين وذل، والآخر على شدة وغلظ.

فالأول: العبد وهو المملوك، ولم يسمع اشتقاق فعل منه والعبودة وصف للملوك.

والعبادة لله تعالى مشتقة من عبد يعبد عبادة، ولا يصح أن يستعمل هذا الاشتقاق في المعنى الأول. فلا يُقال: عَبَده بمعنى خدم مولاه.

والثاني: العَبَدة وهي القوة والصلابة. يقال: هذا ثوب له عبدة إذا كان صفيقاً قويّاً[1].

واستعملت لفظتا العبودية والعبادة في المعاني التالية:

أ- الطاعة وفي هذا المعنى تلتقي مع وصف العبودية للملوك وهو المعنى الأول في القاموس (العبودية، والعبودة، والعبادة الطاعة)[2].

ب- أصل العبودية الخضوع والتذلل، ومنه طريق مُعَبَّدة أي: مذللة من كثرة الوطء[3].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس/ ٢٥.

(٢) انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي ١/ ٣٢٢.

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور ٤/ ٢٧٧٦، ٢٧٧٨.

جـ ـ العبودية : إظهار التذلل ، والعبادة أبلغ منها : أي : غاية التذلل[١] .

د ـ التأله ، يقال : عَبَد الله عبادة بمعنى : تأله له[٢] .

هـ ـ التعبد بمعنى التنسك[٣] .

فهذه المعاني متقاربة في المعنى ، ولعل الصواب أن لفظة العبادة تحتملها جميعاً ، وخاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن عبد بمعني العبادة لم تستعمل في الأصل إلا لله تعالى ـ كما تقدم ـ .

ثالثاً: العبادة اصطلاحاً:

جرى استعمالها في الكتاب والسنة وفي أقوال العلماء على معنيين : عام ، وخاص :

(أ) المعنى العام:

هي الأعمال الاختيارية التي ينال العبد بها رضا الله تعالى وثوابه ، شريطة أن يتوفر فيها أمران[٤] :

١ ـ أن تكون صواباً توافق شرع الله تعالى .

٢ ـ أن تكون خالصة لله تعالى لا يُراد بها غيره .

وفي هذا المعنى تدخل جميع الأعمال الاختيارية إذا كانت شرعية وخالصة

---

(١) انظر : المفردات ، للراغب الأصفهاني/ ٣١٩ .

(٢) انظر : لسان العرب ، لابن منظور ٤/ ٢٧٧٨ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ، والجزء ، والصفحة .

(٤) هذان القيدان مأخوذان من قول الفضيل ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله سبحانه : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ قال : (أخلصه وأصوبه ، وقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً وصواباً) ، قال : الخالص إذا كان لله عز وجل ، والصواب إذا كان على السنَّة) . جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي/ ١١ .

لله تعالى ، بدليل قوله سبحانه : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[١] فسمى الله الأعمال الصالحة عبادة، ونهى عن الشرك فيها لمنافاته للإخلاص.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي تركته وشركه**»[٢] .

وهذا المعنى هو المقصود من معنى العبادة في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣] يبينه ما رواه عدي بن حاتم[٤] ـ رضي الله عنه ـ : (أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عديّ ، اطرح عنك هذا الوثن، وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[٤]، قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلُّوه ، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرّموه**»)[٥] ، فبيان الرسول ﷺ لحقيقة معنى العبادة لعديّ وهو اتباع الله تعالى في كل الأعمال الاختيارية ـ يجلي ما قد يعلق في الأذهان من ترسبات مفهوم العبادة في الأديان السابقة ، ويقمع ما يستهدفه المغرضون من حصر الإسلام في الشعائر التعبدية فقط دون أن يكون له تعلق

---

(١) الكهف : ١١٠ .

(٢) رواه مسلم وأحمد: مسلم ٤/ ٢٢٨٩ رقم ٢٩٨٥ كتاب الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله . وأحمد ٢/ ٣٠١ .

(٣) التوبة : ٣١ .

(٤) الطائي، ولد الجواد المشهور، أسلم سنة سبع وثبت على إسلامه في الردَّة ، وشهد فتوح العراق، ثم سكن الكوفة ومات بها بعد الستين من الهجرة، وقد أسن. انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ٨/ ٦٨ رقم ١٧٨١ ، والإصابة لابن حجر ٦/ ٤٠١ رقم ٥٤٦٧ .

(٥) رواه الترمذي ٤/ ٣٤١ رقم ٥٠٩٣ ، أبواب : تفسير القرآن ومن سورة التوبة، وقال: حديث غريب . قال الأرناؤوط : في الباب ما يتقوى به من طريق موقوف أخرجه الطبري . انظر : حاشية جامع الأصول ٢/ ١٦١ .

بأمور الحياة الأخرى .

ومن تعريفات العبادة بمعناها العام ما يلي :

١ ـ تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ قال : (العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك والآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك : هي من العبادة لله)[١] .

٢ ـ تعريف الشيخ أبي إسحاق الشاطبي ـ رحمه الله تعالى ـ قال : (الرجوع إلى الله في جميع الأحوال والانقياد إلى أحكامه على كل حال، وهو معنى التعبد لله)[٢] .

٣ ـ تعريف الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ بأنها : (الدينونة الشاملة لله وحده في كل شيء من شئون الدنيا والآخرة)[٣] .

٤ ـ فهم الأستاذ أبي الأعلى المودودي ـ رحمه الله تعالى ـ : (العبادة ليست بمعنى الشعائر والمناسك فحسب، بل العبد الذي يعيش عيشة العبودية ، فحياته كلها عبادة . فالقيام بالخدمة والركوع والسجود والجد والسعي في طاعته والقيام بكل ما يأمر وينهي، والتذلل لقوته، والانقياد والطاعة لكل ما سنّ له

(١) العبودية لابن تيمية/ ٣٨ .

(٢) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي ٢/ ١٦٩ .

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب ٤/ ١٩٠٢ .

من قانون، والمناصبة لكل ما كان مخالفاً لأمره وتضحية النفس وبذل المهج في سبيل رضاه هذه كلها عبادة، وهذا هو المعنى الحقيقي للعبادة)(١) .

٥ ـ تعريف د. محمد أبي الفتح البيانوني ـ وفقه الله تعالى ـ : (عمل العبد الإرادي الموافق لطلب المعبود (٢) . . . يشمل جميع أعمال المرء الإرادية قلبية كانت أو سلوكية)(٣) .

(ب) المعنى الخاص:

هي الأعمال المحددة التي كلف العبد بأدائها في صورة شعائر ظاهرة تدلُّ على الخضوع(٤) والطاعة لله حده، مثل الأركان الخمسة والجهاد في سبيل الله تعالى والأضاحي والذكر . . . وغيرها من العبادات التي ورد لها صفة شرعية محددة.

---

(١) نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور، للمودودي/ ١٦ .

(٢) هذا التعريف يدلُّ على أن العمل يكون عبادة بمجرد موافقته للشرع دون اشتراط الإخلاص فيه لوجه الله تعالى، ولعله خلا الصواب ويدل لاشتراطهما جميعاً في العبادة قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: (وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصاً لله صواباً على شريعة رسول الله ﷺ) (٣/ ١٠٨). وللإيضاح، فإن الإخلاص يختلف معناه عن معنى النية. فالإخلاص هو: تمييز المقصود بالعمل هل هو لله تعالى وحده أم لله وغيره؟ وهذا لازم في كل العبادات. والنية تميز العبادات بعضها عن بعض، مثل تمييز صلاة الظهر عن صلاة العصر أو تمييز العبادات عن العادات، وهذا لازم فيما يحتاج إلى تمييز. (انظر: جامع العلوم والحكم/ ٨). والنيّة غير مشترطة في كل العبادات. فالعبادة التي لا تكون عادة ولا تلتبس بغيرها، مثل الإيمان بالله تعالى، والخوف، والرجاء، وقراءة القرآن، والأذكار، فهي متميزة عن غيرها بصورتها ولا تحتاج إلى تمييز. (انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي/ ١٣).

(٣) مذكرة العبادة دراسة تخصصية شاملة، كتبها للدارسين في الدراسات العليا بقسم الثقافة بكلية الشريعة بالرياض، د. محمد أبو الفتح البيانوني/ ٦ .

(٤) مذكرة العبادة دراسة متخصصة شاملة، كتبها للدارسين في الدراسات العليا بقسم الثقافة بكلية الشريعة بالرياض، د. محمد أبو الفتح البيانوني/ ٦ .

لعل تخصيص هذه الشعائر باسم العبادات دون غيرها من العبادات العامة يعود إلى الأسباب الآتية:

١ ـ لمكانتها في الإسلام فهي أركانه ومبانيه الرئيسة: يدلُّ له حديث عبد الله ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«بنيَ الإسلام على خمس: شهادةُ لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام اصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»**[١]. وحديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامة»**، قلت: بلى يارسول الله. قال: **«رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد...»**[٢].

٢ ـ لكونها لبُّ الإسلام وجوهره الظاهر: يدلُّ على ذلك أن رسول الله ﷺ جعلها تفسير الإسلام حينما سأله جبريل عليه السلام عن الإسلام في حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: **«قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، و تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت...»**[٣]، وكان ﷺ يدعو الكافرين إلى الالتزام بها من سائر العبادات، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ بعث معاذاً ـ رضي الله عنه ـ إلى اليمن فقال: **«ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة. فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم**

---

(١) متفق عليه: البخاري ١/ ١٢ رقم ٨ كتاب الإيمان، باب: الإيمان وقول النبي ﷺ: «بني الإسلامي على خمس». ومسلم ١/ ٤٥ رقم ١٦ كتاب الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

(٢) رواه الترمذي ٤/ ١٢٤ رقم ٢٧٤٩، أبواب الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) متفق عليه. وتقدم تخريجه.

فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(١) .

٣ ـ لأنها مخصصة بالمقاتلة (٢) مع التَّرْك ، فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى**»(٣) .

٤ ـ لكونها تعبدية محضة (لها رسوم وأوضاع دينية خاصة لا تهدي إليها الغرائز ولا العقول)(٤) ، فهي من هدي رسول الله ﷺ ، محددة بأوقات معينة وصفات معينة، مشترك في غالبها نيَّة التقرب إلى الله تعالى، وليس فيها نفع دنيوي مباشر .

٥ ـ لأنها بمثابة الشعائر الظاهرة والمعالم البارزة التي يجب أن يتميز بها المجتمع الإسلام عن غيره من المجتمعات الكافرة ، فعن أنس بن مالك قال : كان النبي ﷺ يغير إذا طلع الفجر ، وكان يستمع الأذان ، فإذا سمع أذاناً أمسك وإلا أغار(٥) ، وكان رسول الله ﷺ يوصي سراياه : «**إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً**»(٦) .

ومن المؤسف له أن مفهوم الناس للعبادة انحسر في معناها الخاص فأصبحت لفظة العبادة في مسامعهم تعني : الشعائر التعبدية دون غيرها من الأعمال

---

(١) متفق عليه . وتقدم تخريجه .

(٢) المقاتلة متدرجة ابتداءً من القتل كفراً وحدّاً إلى التعزير والتأديب ، فليُلاحظ هذا .

(٣) متفق عليه . وتقدم تخريجه . محمد رسول الله . . . إلخ .

(٤) المختار من كنوز السنَّة النبويّة، د. محمّد عبد الله دراز/ ٢١٢ .

(٥) رواه مسلم ١/ ٢٨٨ رقم ٣٨٢ كتاب الصلاة، باب : الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان .

(٦) رواه الترمذي وأبو داود عن حديث عصام المزني : الترمذي ٣/ ٥٣ رقم ١٥٨٩ ، أبواب السير ، باب : ٢ ، وقال : حديث حسن غريب . وأبو داود ٣/ ٤٣ رقم ٢٦٣٥ كتاب الجهاد، باب : في دعاء المشركين .

العامة الدنيوية ، ظنًّا منهم أن ما كان متصلاً بالدنيا لا تعلق له بالعبادة ولا يرجع به إلىٰ دين ولا يحكم فيه شرع[١] . وقد ردَّ الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ هذا الفهم بقوله : (هذا وهْمٌ باطل ، انسحاب وانكماش ، بل تبديل وتغيير في مدلول لفظ العبادة التي يدخل بها المسلم في الإسلام أو يخرج منه ، وهذا المدلول هو الدينونة الكاملة لله تعالىٰ في كل شيء ، ورفض الدينونة لغير الله في كل شأن ، وهو المدلول الذي تفيده اللفظة في أصل اللغة ، والذي نصَّ عليه رسول الله ﷺ نصًّا وهو يفسر قوله تعالىٰ : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[٢] ، وليس بعدتفسير رسول الله ﷺ لمصطلح من المصطلحات قول لعاقل)[٣] .

وقد أدَّىٰ هذا الفهم الخاطئ إلىٰ انعكاسين خطيرين في المجتمع الإسلامي :

أ ـ اختلال ميزان التقويم الأخلاقي عند كثير من الناس حتىٰ صار الرجل الفاضل أو المسلم الصالح هو من يقيم هذه الشعائر وحدها ولو كان منحرفاً في غيرها غير ملتزم بآداب الإسلام وسلوكه السوي .

ب ـ الوقوف من سائر النشاط الحيوي للفرد والمجتمع موقفاً معادياً نظراً لخروجه عن نطاق الشعائر التعبدية ، وعدّه لهواً واشتغالاً بزينة الحياة الدنيا .

وقد آن الأوان أن تعرف الأجيال الناشئة منذ الصغر أن الدنيا كلها معبد لله تعالىٰ ، وأن الحياة كلها عبادة لله سبحانه ، وأن شعائر الإسلام المعروفة هي الأركان الرئيسة للطاعة ، والحد الأول من العبادة ، وأنها وحدها غير كافية في تحقيق العبودية الكاملة لله تعالىٰ التي يجب أن تمتد لتشمل كل أمور الحياة[٤] .

---

(١) انظر : العبادة دراسة تخصصية ، أبو الفتح البيانوني/ ٥٤ .
(٢) التوبة : ٣١ .
(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب ٤/ ١٩٠٢ .
(٤) انظر : الأخوات المسلمات ، محمود الجوهري وزميله/ ٦٦ .

المبحث الثاني

أهمية البناء العبادي

ينال البناء العبادي أهمية كبيرة في تثقيف الطفل المسلم، ذلك أن العبادة هي الغاية العظمىٰ من خلق الناس، وحق الله عليهم، ووصيته التي بعث من أجل تبليغهم إياها الرسلُ عليهم الصلاة والسلام قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: قال النبي ﷺ: يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسول أعلم. قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»[٢]. وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٣]، فما من نبي إلا دعا أمته إلىٰ عبادة الله تعالىٰ وحده، وحذرهم من الشرك به ومعصيته.

ولا عجب أن تحظىٰ العبادة بالاهتمام الثقافي في بناء شخصية الطفل المسلم؛ ذلك أن العبادة هي سلوك المسلم الباطن والظاهر في القول والحركة والمعاملة مع الله ومع الناس، وأنها تمثل الانعكاس العملي للبناء الإيماني والبناء الفكري، فليس الإسلام عقائد وأفكاراً ذهنية لا تقبل التطبيق في دنيا الواقع بل هو دين واقعي يتلاءم مع قدرة الإنسان وتكوينه الخلقي، ويتسع لشئون حياته كلها. فالمؤمن به مطالب بالعمل بجميع عراه وشرائعه، والانقياد لأوامره، واجتناب نواهيه: طاعة لله واستسلاماً[٤]. قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) متفق عليه: البخاري ٦/ ٢٦٨٥ رقم ٦٩٣٨ كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعوة النبي ﷺ أمته إلىٰ التوحيد، ومسلم ١/ ٥٨ رقم ٣٠ كتاب الإيمان، باب: الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٣) يس: ٦٠ ـ ٦١.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٢٤٧.

السِلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(1) .

وتظهر لنا أهمية العبادة في بناء شخصية الطفل المسلم في تناولنا للجوانب الآتية :

أولاً: يحقق معنى العبودية في نفس الطفل:

العبودية هي غاية الوجود الإنساني في هذا الكون، ومعنى استخلافه فيه كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(2) ، وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ﴾(3) . وترسيخ هذا المعنى لا يتم إلا إذا تحقق أمران رئيسان ، هما :

أ ـ أن يستقر هذا المعنى في الشعور النفسي بأن الحياة قائمة على عابد ومعبود، وأن الناس كلهم عباد الله تعالى، وأن الله وحده الرب المستحق للعبادة والخضوع والاتباع .

ب ـ أن يرافق هذا الشعور توجه إلى الله تعالى في كل الحركات والسكنات(4) ، عندئذ تصبح الأعمال عبادات يبتغي بها وجه الله تعالى، وتصبح الحياة ميداناً فسيحاً لفعل الخير وعمارة الكون بما يقرب إلى الله تعالى ويحقق مرضاته وثوابه .

وبناء هذا المفهوم الواسع لمعنى العبادة لدى أطفالنا من الأهمية بمكان في بناء ثقافتهم إسلاميًّا ويجب أن يبدأ ببنائه منذ أيامهم الأولى ؛ إذ تكون نفوسهم مهيَّأة لقبول ما يبذر فيها من مفاهيم وتصورات ، ومستعدة لتشربها والتعامل معها بعمق ورسوخ يظهر أثرهما في مستقبل حياتهم العملية .

---

(1) البقرة: ٢٠٨ .
(2) الذاريات : ٥٦ .
(3) الأنعام: ١٦٥ .
(4) انظر : في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/ ٣٣٨٧ .

صحيح أن العبودية بمعنى التكليف والمسئولية لا يطالب بها إلا البالغ الناضج عقلاً، والطفل غير ذلك لعدم بلوغه وقصور عقله وعدم اعتبار قصده لكن الطفولة هي مرحلة التأسيس والتكوين والإعداد والتهيئة لما يليها من مراحل، فإذا أردنا أن ننشئ إنساناً عابداً لله تعالى، مُحبًّا له، مطيعاً لأمره، فإن مرحلة الطفولة هي مرحلة تأسيس ذلك فـ (من حفظ الله في صباه وقوته حَفِظه الله في حال كِبَره وضعف قوته)[١] .

وهذا الأمر تقع مسئوليةتكوينه على الآباء والأولياء ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٢] ـ قال الضحاك [٣] ، ومقاتل [٤] في تفسير هذه الآية: (حق المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه)[٥] ، وقال الكيا[٦] : (فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الأدب)[٧] ، فيدرب الولي طفله على الصلاة لما روي سبرة بن معبد[٨] قال: قال رسول الله ﷺ : «**علموا الصبي**

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب/ ١٨٤ .

(٢) التحريم: ٦ .

(٣) هو: ابن مزاحم الهلالي الخراساني المفسر ، مات بعد المائة. انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢١٦/١ .

(٤) لعله مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني البلخي المفسر، نزيل مرو من أوعية التفسير، مات سنة ١٥٠هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٣٣٠ .

(٥) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٩١ .

(٦) هو: الإمام عماد الدين علي بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراس ، برز في الفقه والأصول، توفي سنة ٥٠٤هـ. انظر: مقدمة كتابه أحكام القرآن من عمل المحققين: موسى محمد علي، د. عزت علي عطية.

(٧) أحكام القرآن ، تحقيق : موسى محمد علي، د. عزت علي عطية ٤/ ٤٨٨ .

(٨) الجهني: شهد الخندق وما بعدها ، سكن المدينة، مات في خلافة معاوية . انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ١٢٩ رقم ٩٠٨ ، والإصابة لابن حجر ٤/ ١٢٠ رقم ٣٠٨١ .

الصلاة لسبع واضربوه عليها ابن عشر»[1] ، وقال الإمام الشافعي [2] : (على الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم ، ويعلموهم الطهارة والصلاة ، ويضربوهم على ذلك إذا عقلوا)[3] ، ويدربه على الصيام لما روت الربيع بنت معوذ بن عفراء[4] ، قالت : أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراً إلى قرى الأنصار التي حول المدينة من كان أصبح صائماً فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطراً فليتم بقية يومه فكنا بعد ذلك نصومه ونصوم صبياناً الصغار منهم إن شاء الله تعالى ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياه عند الإفطار)[5] ، فتكون مرحلة الطفولة مرحلة تمرين على العبادة وفترة تعليم لأحكامها من حلال وحرام حسب طاقته وفهمه ، ذكر النووي [6] عن أصحابه أنهم قالوا : (ويأمره الولي بحضور الصلوات في الجماعة ، وبالسواك وسائر الوظائف الدينية ، ويعرفه تحريم الزنا واللواط والخمر والكذب والغيبة وشبهها)[7] من أمور الحلال والحرام .

---

(١) رواه الترمذي ١/ ٢٥٣ رقم ٤٠٥ أبواب الصلاة ، باب : ما جاء متى يُؤمر الصبي بالصلاة . وقال : حسن صحيح .

(٢) أبو عبد الله ، محمد بن إدريس القرشي المطلبي المكي ، ولد سنة ١٥٠هـ بغزة ، ونشأ بمكة ، ونزل مصر ، إمام المذهب الشافعي ، توفي سنة ٢٠٤هـ بمصر . انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٣٦١ رقم ٣٥٤ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/ ٢٥ .

(٣) المجموع للإمام النووي ٣/ ١١ .

(٤) أنصارية من بني النجار ، ومن المبايعات بيعة الشجرة . انظر : الإصابة لابن حجر ترجمة أبيها معوذ ٩/ ٢٦٥ رقم ٨١٥٧ .

(٥) متفق عليه : البخاري ٢/ ٦٩٢ رقم ١٨٥٩ كتاب الصوم ، باب : صوم الصبيان ، ومسلم/ ٧٩٨ رقم (١١٣٦) كتاب الصوم ، باب : من أكل في عاشوراء فليكف بقية يومه .

(٦) أبو زكريا ، يحيى بن شرف ، من أئمة المذهب الشافعي ، ومن المتفنين في أصناف العلوم ، ولد سنة ٦٣١هـ بنوى ، وتوفي فيها سنة ٦٧٦هـ . من أبرز مؤلفاته : شرح مسلم ، والمنهاج . انظر : طبقات السبكي ٨/ ٣٩٥ .

(٧) المجموع للنووي ٣/ ١١ .

فهذه النصوص تكشف عناية الإسلام بتركيز العبادة في نفس المسلم منذ طفولته الغضة، لتنشأ نفسه على عباده الله تعالى، والتوجه إلى بارئها وخالقها، وتحرر من عبودية غيره في كل لون من ألوانها. فهو سبحانه مالك النفع والضر، وبيده العطاء والمنع، ولقد عمق الرسول ﷺ معناها الواسع في نفس ابن عمه عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ وهو غلام، فعنه أنه قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً. قال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء إلا وقد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف**»[1]. ففي هذا الحديث يغرس الرسول ﷺ معنى العبودية في نفس ابن عمه عبد الله وهو طفل، فيأمره بحفظ حدود الله وحقوقه وأوامره ونواهيه، وذلك بالوقوف عند أوامر الله بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه، فإن فعل ذلك كان من الحافظين لحدود الله الذين أثنى الله عليهم في كتابه: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[2].

إن بناء الشخصية المسلمة التي تدرك وظيفة العبودية لله في الحياة فتحمل مبادئ الإسلام وتعمل على تحقيقها في واقعها لا يتم ولا يؤتي ثماره المنشودة إلا إذا مسَّ الإصلاح أولاً النفس فترسخت فيها قاعدة الإيمان، وتوجهت إلى عبودية الله تعالى وطاعته مصدر السلوك وموطن الشعور ومبعث الأعمال التي توصف بالخير والشر، والتي تضع الإنسان مع الأخيار المصلحين أو الأشرار الخائبين، فبناء النفس من أخطر المهام التي يتعلق بها مصير الإنسان[3]، قال

---

(١) رواه الترمذي، وتقدم تخريجه.

(٢) ق: ٣٢ ـ ٣٣، وانظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب/ ١٨٢.

(٣) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب/ ٢٢٤.

تعالىٰ : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[١] .

ثانياً: يحقق له صفة النزوع إلى الخير ومجانبة الشر:

النفس الإنسانية مفطورة علىٰ عبادة الله وحده ، فعن عياض بن حمار قال رسول الله ﷺ : « **قال الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم**»[٢] ومجبولة علىٰ النزوع إلىٰ الخير (ومعرفة الحق ، والسكون إليه وقبوله ، وركز ـ الله ـ في الطباع محبة ذلك ، والنفور عن ضده)[٣] ومجانبته ، قال تعالىٰ : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا[٤] دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٥] .

واقتضت حكمة المولىٰ العليم أن يجعل حياة عباده اختباراً وابتلاءً فهيّأ نفوسهم لذلك بما أودع فيها من قابلية للميل إلىٰ الخير أو الشر ، قال تعالىٰ : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[٦] ، وبما زوّدها من قابلية للاهتداء وقدرة علىٰ الاختيار ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٧] ، فهم مهيّئون للاهتداء بما ركز في نفوسهم من ميل إلىٰ الخير ومجافاة للشر وبما بعث فيهم من رسل يعلمونهم الخير ، ويحذرونهم الشر ، ويزكون نفوسهم من

---

(١) الشمس : ٧ ـ ١٠ .
(٢) رواه مسلم ، وتقدم تخريجه/ ٣٠٢ .
(٣) جامع العلوم والحكم ، لابن رجب/ ٢٤٨ .
(٤) فرَّقوا دينهم : أي بدّلوه وغيّروه وآمنوا ببعض ، تفسير ابن كثير ٣/ ٤٣٣ .
(٥) الروم : ٣٠ ـ ٣٢ .
(٦) الشمس : ٧ ـ ٨ .
(٧) الإنسان : ٣ .

لوث الفجور ومتابعة الهوىٰ والشيطان، ويتلون عليهم آيات الله بينات تهديهم للتي هي أقوم في حياتهم وأخراهم ، وبما نصب لهم من أدلة عقلية واضحة تشهد بوحدانيته وكماله واستحقاقه للعبادة وحده، وذلك كله ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾(١) ، وهم مؤهلون لاختيار أحد الطريقين ، طريق الخير أو الشر بما زُوِّدوا من فطرة وعقل وعلم ، فمن استجاب لداعي الخير فسلك طريقه فقد أفلح ونجا، ومن مال إلىٰ داعي الشر فانحرف في هاويته فقد ضلَّ وغوىٰ، قال تعالىٰ : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(٢) ، وعند عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إنَّ للشيطانَ لـمَّة(٣) بابن آدم ، وللملك لـمَّة ، فأما لـمَّة الشيطان فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق ، وأما لـمَّة الملك فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾(٤)**» (٥) .

وإذا مالت النفس البشرية إلىٰ الشرِّ والغواية ، فإنها قابلة للاهتداء والاستقامة بالتوجيه والتقويم والتثقيف وتزكية النفس من شرورها وتطهيرها مما دنَّسها ، لذا بعث الله الرسل لتهذيب النفوس وتزكيتها ، قال تعالىٰ : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ

---

(١) الأنفال : ٤٢ .

(٢) الشمس : ٧ ـ ١٠ .

(٣) اللمَّة : الهمة والخَطرة تقع في القلب، أراد إلمام الشيطان أو الملك به والقرب منه . النهاية لابن الأثير ٤/ ٢٧٣ .

(٤) البقرة : ٢٦٨ .

(٥) رواه الترمذي ٤/ ٢٨٨ رقم ٤٠٧٣ أبواب تفسير القرآن ومن سورة البقرة، وقال : حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص . ا . هـ . واستظهر الشيخ أحمد شاكر في مجموع كلام أئمة الجرح والتعديل أن الراوي عن عطاء وهو أبو الأحوص سمع منه قبل الاختلاط فيكون حديثه صحيحاً. انظر : حاشية جامع الأصول ٢/ ٥٨ .

تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[١] .

والإسلام حريص على تزكية النفس، وتطهيرها من نزعات الشرّ والإثم وإزالة حظ الشيطان منها، وتنمية فطرة الخير فيها؛ لأنه متى حصلت هذه التزكية غدت النفس مهيَّأة لتفجر منابع الخير[٢]، صالحة لطاعة الله، مستجيبة لأمره، مثالة إلى الخير وبواعثه، نافرة من الشر ودواعيه؛ إذ صلاح القلب دليل صادق على صلاح السلوك الظاهر، فعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «... **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله. ألا وهي القلب**»[٣]. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لا ينظرُ إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[٤]. وصحة الأعمال منوطة بصحة النيات، فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّما الأعمال بالنية وإنَّما لكل امرئ ما نوى...**»[٥].

وعلى العموم، فإن نفس الطفل منفتحة لكل ما تلقن من خير وشر، إذ لا حول له ولا قوَّة في تمييز الحسن من السيئ فحسب ما يمال إليه يميل، والخطورة تكمن في تشربه للشر، واعتياده له، فإنه يصبح مركوزاً في نفسه، يشق تغييره واستبدال الخير به[٦]، كذلك إذا نشأ الطفل على طاعة الله وابتغاء مرضاته في بيئة مؤمنة عابدة تلتزم بشرع الله في كل شئونها وترفض الخروج عن هديه، وتحوطه

---

(١) البقرة: ١٥١.

(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني ١/ ٣٥.

(٣) متفق عليه، وسبق تخريجه.

(٤) رواه مسلم ٤/ ١٩٨٧ رقم ٢٥٦٤ كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله... إلخ.

(٥) متفق عليه، وسبق تخريجه/ ١٨٥.

(٦) انظر: النسل والعناية به، عمر رضا كحالة ٢/ ٩٤.

بالرعاية والتوجيه لما فيه صلاحه ، فإنه لا بد من أن ينزع إلىٰ الخير والهدىٰ ، ويجانب الشر والهوىٰ فيأنس الخير ويتسغرب الشرّ .

ثالثاً: يُعَوَّده الخلق[١] الحميد:

لما كان الميل إلىٰ الخير فطرة خلق عليها الإنسان ، كان من أول الأهداف التي تسعىٰ الثقافة الإسلامية إلىٰ بنائها وتنميتها في نفس الطفل المسلم تكوين الخلق الحميد حتىٰ يصبح فيه سجيّة وطبعاً ملازماً لشخصه في سكونه وحركته ، ومما يساعد علىٰ ذلك كونه نابعاً من شعور فطري كامن في النفس البشرية متعارف علىٰ أصوله ، لا خلاف بين الناس في استحسانه واستقباح ضده فطرة وعرفاً ؛ فالصدق والأمانة والوفاء بالعهد والعدل والسخاء والتسامح صفات خلقية مستحسنة وضدها مستقبح ، فمن الغريب فطرة وعقلاً أن يَسْتَحسِنَ أحد الكذب والخيانةَ والغدر والظلم والشح والقسوة ، قال تعالىٰ : ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[٢] ، وعن أبي ثعلبة الخشني[٣] قال : قلت يا رسول الله! أخبرني ما يحل لي وما يحرم عليَّ ؟ قال : «**البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن أفتاك المفتون**»[٤] ، وعن النواس بن سمعان[٥] (الأنصاري)[٦] ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه

---

(١) حقيقة الخلق تشمل باطن الإنسان وظاهره والجزاء متعلق بصدق الباطن ، فمن ظهر بمظهر حسن يخالف باطنه مثل أن يتبرع بمال في مشروع خيري لقصد الحصول علىٰ الثناء والشهرة فإن فعله لا يعد خلقاً ـ وإن كان فعلاً كريماً في ظاهره ـ .

(٢) الحج : ٢٤ .

(٣) قيل : اسمه جرهم ، أسلم ورسول الله ﷺ يتجهز إلىٰ خيبر ، وبايع تحت الشجرة ، سكن الشام ، وقيل : حمص ، مات في أول خلافة معاوية رضي الله عنه . انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ١١/ ١٦٦ رقم ٢٨٨٦ ، والإصابة لابن حجر ١١/ ٥٤ رقم ١٧٦ .

(٤) رواه أحمد ٤/ ١٩٤ . وقال الهيثمي : رجاله ثقات ، انظر : الفتح الرباني للبنا ١٩/ ٣٤ .

(٥) العامري ، الكلابي ، له ولأبيه صحبة ، معدود في الشاميين . انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ١٠/ ٣٨٥ رقم ٢٦٦٦ ، والإصابة لابن حجر ١٠/ ١٩٢ رقم ٨٨٢٣ .

(٦) صوَّب الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ما وقع في نسخ صحيح مسلم من نسبة النواس إلىٰ=

قال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[١].

ففي هذين الحديثين إشارة إلى أن الإثم يحدث ضيقاً وحرجاً في الصدر، ويستنكره الناس إذا اطلعوا عليه[٢]؛ لأنه مخالف لفطرهم، مرفوض لدى عقولهم، خلاف البر فإن الله حببه إلى النفوس، وزينه لها. قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[٣].

والخلق في الإسلام عنوان واسع، يشمل كل الآداب الكريمة، والأعمال الصالحة، والخلال الحميدة التي تتعلق بالسلوك النفسي والعملي، وفيها امتثال لأمر الله تعالى، وابتغاء وجهه ونيل ثوابه. فهو عبادة يصل بها العبد إلى أعلى الدرجات في الآخرة، ذلك أن باعثه الإيمان، ومصدره أمرُ الله تعالى وخشيته، وحاديه الرجاء في الآخرة. قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٤].

وهو مقوم أصيل من مقومات الشخصية المؤمنة وضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، فلنتصور كيف تكون صفات الإنسان لو تجرد من

= الأنصاري ونقل عن أبي علي الجياني أنه قال: هذا وَهْمٌ وصوابه الكِلابي. انظر: حاشية صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٠ رقم ١.

(١) رواه مسلم والترمذي: مسلم ٤/ ١٩٨٠ رقم ٢٥٥٣ كتاب البر والصلة والآداب، باب: تفسير البر والإثم، والترمذي ٤/ ٢٣ رقم ٢٤٩٧ كتاب الزهد، باب: ما جاء في البر والإثم.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب/ ٢٤٩.

(٣) الحجرات: ٧.

(٤) الرعد: ١٩ ـ ٢٢.

الأخلاق والآداب؟ إنه يصبح حيواناً متوحشاً . وكيف تصبح حياة المجتمع الذي يتألف من جنس هذا الفرد؟ إنها تصبح جحيماً لا يطاق ، وعذاباً لا يستطاع ، إذ حاجة الإنسان إلىٰ الخُلق تفوق حاجته إلىٰ كثير من الضروريات ، فلا يخطر ببال أحد الاستغناء عن الخُلق فترة طويلة أو قصيرة ، لكن قد يستغني عن العلم والمعرفة فترة ما ، أما الخُلق فضروري في كل حركة أو سكون ، وعند كل نطق أو سكوت ، وعند كل هم بفعل أو قول ، فكثيراً ما يستفتي الإنسانُ نفسه هل ما يُقْدم عليه حسن أو سيئ ، باحثاً عن مبدأ يحكمه في استصواب فعله أو تخطئته ، وهنا مسَّت الحاجة إلىٰ خُلق حاضر يَعْصِم إرادته عن الخطأ في التوجه والاختيار[1] .

والأمر لا يحتاج إلىٰ زيادة تقرير لبداهة ثبوته ، لكنه يحتاج إلىٰ عناية ورعاية تحوط بناءه ، خاصة ونحن بصدد تثقيف الطفل وبالقرب من تقرير قابليته للميل إلىٰ ما يمال إليه من أخلاق وعادات حسنة كانت أم سيئة ، مما يؤكد أهمية الثقافة الخلقية للطفل ، وتنميتها لروح الخير فيه تدريجيًا بحيث يصل إلىٰ التزام الخير سلوكاً ، ويسعىٰ لتحقيقه أينما كان ، ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً ، كما يلتزم تجنب سلوك الشر ويتوقىٰ الوقوع فيه ، ويعمل علىٰ إنقاذ غيره من التردّي في حبائله[2] . قال تعالىٰ علىٰ لسان لقمان عليه السلام : ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[3] . وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**اتقِّ الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[4] .

---

(١) انظر : دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية الدولية ، د. محمد عبد الله دراز/ ١٠٠ .
(٢) انظر : التربية الأخلاقية ، د. مقداد يلجن/ ١٣١ .
(٣) لقمان : ١٧ ـ ١٩ .
(٤) رواه الترمذي ٣/ ٢٣٩ رقم ٢٠٥٣ أبواب البر والصلة ، باب : ما جاء في معاشرة الناس ، وقال : حديث حسن صحيح .

وهـذا التثقيف يأتي في مقدمـة ما يسأل عنه الرعاة يوم القيامة، فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راعٍ وهو مسئول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم»**[1].

ولقد حظي التثقيف باهتمام كثير من علماء المسلمين، فيرى الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ أن ترويض الطفل وتأديبه وتحسين خلقه من أهم الأمور وأكثرها بدءًا من أيامه الأولى، وأنه متى عُوِّد الخير وعُلِّمَه نشأ عليه وسَعَد في الدنيا والآخرة، وأنه متى عُوِّد الشرّ وأهمل شقي، وهلك في مستقبل حياته، وأثم في آخرته، ويعلق مسئولية ذلك بوالديه ومعلميه ويدعو إلى حياته وذلك بتأديبه وتهذيبه وتعليمه محاسن الأخلاق وحفظه من قرناء السوء إلى آخر ما يعرض من الآداب الحميدة، ويحذر من إهمال ذلك في ابتداء نشوئه ويرى أنه لو أهمل لنشأ رديء الخلق، كذوباً، حسوداً، سروقاً .. إلى آخر ما ذَكَر من الصفات الذميمة، وأن حفظه من التخلق بها يكون بالتأديب[2]، وأكَّد ابن القيم، كذلك على حاجة الطفل إلى الاعتناء بخلقه وأنه ينشأ على ما عَوده المربي في صغره من صفات سواء كانت حسنة أم سيئة، وأن اعتياده لها يصيرها هيئات راسخة في شخصيته لا يستطيع التخلص من أثرها إلا بمشقة وصعوبة[3]، مما يزيد الأمر تأكيداً على ضرورة الحرص على سلامة ثقافة أطفالنا الخلقية، وتعويدهم الطيب منها، الذي حثَّ عليه الإسلام، وندب إلى التحلي به. قال أبو العلاء المعري[4]:

---

(١) متفق عليه، وسبق تخريجه/ ١٣٧.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي ٣/ ٧٠.

(٣) انظر: تحفة المودود، لابن قيم الجوزية/ ٢٤٠.

(٤) هو: أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري اللغوي الشاعر، ولد بمعرة النعمان، ومات فيها سنة ٤٤٩هـ، كان متضلعاً في الأدب، وذا تصانيف كثيرة، منها: في النظم اللزوميات، =

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه
وما دان الفتى بحجى ولكن يعمله التدين أقربوه[١]

رابعاً: يكون عند الطفل خُلُقَ الحمد والشكر[٢]، لله تعالى:

الله وحده المستحق لعظيم وخالص الشكر ، فهو سبحانه المنعم على الإنسان بنعمة الإيجاد على أحسن صورة وأكملها ، والمتفضل عليه بإنشاء الحواس المدركة التي تعينه على تحقيق كرامته بين سائر الخلق ، والموسع له كريم فضله ، وجزيل إحسانه الذي أتاح له التمتع بالطيبات ، والاستمتاع بلذائذها ، والمحسن عليه بعبوديته عن اختيار ورغبة منه بعد أن تَعَبده وسائر الخلق كَرْهاً ورهبةً ، إلى غير ذلك من وجوه الإنعام والإحسان مما أظهرتها الشريعة ، ودعت إلى حمدها وشكرها في كثير من نصوص الكتاب والسنَّة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣] ، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾[٤] ، وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٥] . وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ : **«كان يدعو: رب أعني ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ ، وانصرني على من بغى عليَّ، رب اجعلني شكَّاراً لك، ذكَّاراً لك، رهَّاباً لك، مطاوعاً**

= وسقط الزند. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١١٣ رقم ٤٧ ، ومعجم الأدباء لياقوت ٣/ ١٠٧ رقم ٢٨ .

(١) اللزوميات لأبي العلاء المعري ٢/ ٤٢١ .

(٢) الحمد: ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان ، والشكر: ثناء على المشكور بما أولى من إحسان. تفسير القرطبي ١/ ١٣٤ .

(٣) النحل: ٧٨ .

(٤) الملك : ٢٣ .

(٥) النحل: ١١٤ .

إليك، مخبتاً لك ، أوّاهاً منيباً، ربِّ تقبل دعوتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي ، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي»[١] .

وحقيقة حمد الله وشكره تكون في صرف جميع ما أنعم به على الإنسان في وجه يحقق مرضاة الله وهو معنى استحقاق الله تعالى للعبودية في قوله عليه السلام: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد**»، قال الله ورسوله أعلم، قال: «**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً...**»[٢] . وبهذا المعنى فسَّر ابن القيم الشكر إذ يقول: (حقيقته في العبودية : وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً[٣] ومحبة ، على جوارحه انقياداً وطاعة)[٤] ، ولإظهار هذا المعنى وغرسه في نفس العبد لا بد من أن يتضح أن هذا الحمد والشكر هو في صالح الإنسان دنيا وآخرة، وأن الله غني عن ثناء خلقه وشكرهم له قال تعالى: **﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾**[٥] ، فالعبد هو المنتفع من وراء شكر الله تعالى: **﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾**[٦] .

فنظرة الحمد والشكر من المعاني الأساس التي رمت الشريعة إلى تحقيقها في النفس المؤمنة من وراء بناء الجانب العبادي، لذا توافرت النصوص التي تُعَدِّد نعم الله على الإنسان ، وتدعوه إلى مقابلتها بالثناء عليه سبحانه وشكره بما هو أهله اعترافاً بالقلب ، وذكراً باللسان ، وعملاً بالجوارح .

---

(١) رواه أحمد والترمذي: أحمد ١/ ٢٢٧ ، والترمذي ٥/ ٢١٤ رقم ٣٦٢١ أبواب الدعوات، باب: رقم ١١٤، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) متفق عليه، وسبق تخريجه. وانظر: الموافقات، للشاطبي ٢/ ٣٢١.

(٣) أراد شهود النعمة والاعتراف لله بها فيحبه عليها ، لا أن يفني عليها ، ويغيب عن شهودها. انظر: مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ٢/ ٢٤٥.

(٤) المرجعه نفسه ٢/ ٢٤٤.

(٥) النمل: ٤٠.

(٦) إبراهيم: ٧.

فحمد الله بالقلب وشكره هو امتلاؤه بمحبة الله ، والإقرار بوحدانيته وإفراده بالطاعة والخضوع، وسكونه عند ذكره ، قال تعالىٰ : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] ، قال ابن إسحاق[2] : (فاتقون فإنه شكر نعمتي)[3] ، وقال تعالىٰ : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[4] ، فشكر القلب تطهيره من صفة التمرد عن طاعة الله تعالىٰ، ذلك أن الكفر والمعاصي نجاسة للقلب، وطهارته بتخليته منها، وملئه بالعبودية لله تعالىٰ، فهذه الطهارة القلبية هي فائدة الطهارة الحسيَّة[5] وفائدة إتمام شرع الله تعالىٰ، بدليل قوله تعالىٰ : ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[6] .

وحمد الله وشكره باللسان هو ذكره والثناء عليه مما هو أهله من عبارات التعظيم والإجلال، قال تعالىٰ : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[7] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[8] ، وقال تعالىٰ : ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[9] .

وكان ابن الزبير[10] ـ رضي الله عنهما ـ يقول في دبر كل صلاة حين

---

(١) آل عمران : ١٢٣ .

(٢) هو : أبو المعالي محمد بن إسحاق بن محمد القونوي، له تفسير سورة الفاتحة في مجلد . انظر : طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٠٠ .

(٣) تفسير الطبري ٤/ ٧٤ .

(٤) الرعد : ٢٨ . وتطمئن القلوب : أي بمعرفة الله تعالىٰ والإكثار من عبادته تسكن النفوس وتستأنس . انظر : المفردات ، للراغب الأصفهاني/ ٣٠٧ .

(٥) انظر : تفسير الرازي ١١/ ١٨١ .

(٦) المائدة : ٦ .

(٧) البقرة : ١٥٢ .

(٨) طه : ١٣٠ .

(٩) التغابن : ١ .

(١٠) هو أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، أول مولود=

يسلم: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله ولا نعبد إلا إياه له النعمة والفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**» ، قال : كان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة)[١] وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»[٢] . . . إلى غير ذلك من الأذكار والدعوات التي تشتمل على الثناء والشكر لله تعالى بما يستحق .

وحمد الله وشكره بالجوارح هو : تحريكها بمداومة الطاعة له تعالى والمثابرة فيها ، قال تعالى : ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا**﴾[٤] .

قال ابن كثير : (أي : جعلهما يتعاقبان توقيتاً لعبادة عباده له عز وجل ، فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار ، ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل)[٥] . عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال له : «**أحبُّ الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر**

= للمهاجرين بالمدينة ، بُويع بالخلافة سنة ٦٤هـ عقب موت يزيد بن معاوية ولم يتخلف عنه إلا بعض أهل الشام . قُتِل ـ رحمه الله تعالى ـ صبراً أيام عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ . انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ٦/ ١٨٧ رقم ١٥٣٤ ، والإصابة لابن حجر ٦/ ٨٧ رقم ٤٦٧٣ .

(١) رواه مسلم ١/ ٤١٥ رقم ٥٩٤ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : استحباب الذكر بعد الصلاة . . . إلخ .

(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٠٩٥ رقم ٢٧٣٤ كتاب الذكر والدعاء ، باب : باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب .

(٣) سبأ : ١٣ .

(٤) الفرقان : ٦٢ .

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٢٤ .

يوماً»(١) . وعن المغيرة بن شعبة(٢) ـ رضي الله عنه ـ قال : (إنْ كان النبي ﷺ ليقوم ليصلي حتىٰ ترم(٣) قدماه ، أو ساقاه . فيُقال له ، فيقول : **«أفلا أكون عبداً شكوراً»**)(٤) .

مما تقدم يتضح أهمية تكوين هذه النظرة الحامدة لله ، والشاكرة علىٰ إحسانه وفضله ، وأن من الواجب تحقيقها في نفوس أطفالنا وتعاهدها بكل الوسائل المجدية لتمتلئ قلوبهم بمحبة الله تعالىٰ وتعظيمه ، ويجري علىٰ لسانهم ذكره وشكره ، وتعتاد جوارحهم طاعته وعبادته ، فهذا لقمان عليه السلام يوصي ابنه بشكر الله تعالىٰ ، قال تعالىٰ : **﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا (٥) الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾**(٦) . ويوصي بالمداومة عليه رسول الله ﷺ معاذاً ـ رضي الله عنه ـ ، فعنه : (أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال : **«يا معاذ والله إني لأحبك»** فقال : **«أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»**(٧) .

---

(١) متفق عليه : البخاري ١/ ٣٨٠ رقم ١٠٧٩ أبواب التهجد ، باب : قيام النبي ﷺ . وسملم ٢/ ٨١٢ رقم ١١٥٩ كتاب الصام ، باب : النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به . . . إلخ .

(٢) الثقفي ، أسلم عام الخندق ، وقيل : أول مشاهده الحديبية ، شهد اليمامة وفتوح الشام والعراق ، مات سنة ٥٠هـ . انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ١٠/ ١٨٧ رقم ٢٤٨٣ ، والإصابة لابن حجر ٩/ ٢٧٠ رقم ٨١٧٤ .

(٣) أي : تنتفخ من طول قيامه ﷺ . انظر : النهاية لابن الأثير ٥/ ١٧٧ .

(٤) متفق عليه : البخاري ١/ ٣٨٠ رقم ١٠٧٨ أبواب التهجد ، باب : قيام النبي ﷺ حتىٰ ترم قدماه . ومسلم ٤/ ٢١٧١ رقم ٢٨١٩ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة .

(٥) أوردها القرآن في سياق الخبر ؛ لأنها وصية الله لعباده . انظر : تفسير الطبري ٢١/ ٧١ .

(٦) لقمان : ١٣ ـ ١٤ .

(٧) رواه أبو داود والنسائي : أبو داود ٢/ ٨٦ رقم ١٥٢٢ كتاب الصلاة ، باب : الاستغفار . والنسائي ٣/ ٥٣ كتاب السهر ، باب : نوع آخر من الدعاء . قال النووي : إسناده صحيح . انظر : الأذكار/ ٦٩ .

المبحث الثالث

كيفية التزام الطفل به

تتعدد طرق كيفية التزام الطفل بالعبادة ، ولعلَّ من أجداها تأثيراً في نفس الطفل ما يلي :

أولاً: التعويد والتعليم:

يعد التعويد والتعليم من أشد الوسائل مساهمة في بناء ثقافة الطفل، ومن أهمها تأثيراً في تكوين بنائها العبادي، ويتم ذلك بمطالبة الطفل بتكرار فعل مشروع مع حثّه على المواظبة عليه في فترات متقاربة .

وتأتي أهمية التعويد في بناء العبادة لدى الطفل فيما يلي :

أ ـ إن العبادة عمل مقصود فيه الكمال على وجه شرعي، ولا يتحقق ذلك إلا بالتعليم والتجربة والمران؛ ليعتاد أداءه على الوجه المطلوب .

ب ـ إن التكرار لمدة كافية عامل أساس في تهيئة النفس، لاعتياد العبادة، يقول الإمام الغزالي : (. . . طالبُ تزكيةِ النفس وتكميلها وتحليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم . . .)[1] ، ويقول : (من أراد أن يصير سخيًّا عفيف النفس حليماً متواضعاً، فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له)[2] .

جـ ـ أن التعود من أهم العوامل المؤثرة في الطفولة فـ (تكوين العادة في الصغر

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٥٨ .

(٢) المرجع نفسه ، والصفحة .

أيسر بكثير من تكوينها في الكبر ، ذلك أن الجهاز العصبي الغض للطفل أكثر قابلية للتشكيل)[١] منه في الكبر ، فهو إذا عُوِّد الخير وعُلِّمه تأثر به ونشأ عليه ، فسَعَد في الدنيا وأفلح في الآخرة وإن عُوِّد الشر وأُهمِلَ تأثر به ونشأ شقياً متهالكاً[٢] في الدنيا وخُشِي عليه من سوء العاقبة في الآخرة .

د ـ أن العادة طبع ينغرس في النفس ، فمن الأهمية بمكان أن يُعَود الطفلُ الصفاتِ الحسنة ، وأن يُجَنب العوائدَ السيئة ؛ لأنه إذا تأثر بشيء منها عَسُر مفارقتُه في الكبر وعز على وليه استنقاذُه منه ، ذلك أن تغير العوائد من أصعب الأمور ، وتحتاج إلى تجديد طبيعته ثانية ، والخروجُ عن حكم ما اعتاده وهذا فيه عسرٌ ومشقة [٣] وإن لم يكن مستحيلاً .

فالتدريب العملي والمران التطبيقي إذا رُوعي فيهما طاقةُ الطفل وقدرةُ تحمله ـ ولو مع التكليف في بادئ الأمر ـ وحمل النفس على غير ما تهواه لاستثقالها القيدَ والضبط ، كانا من الطرق المهمة في بناء عبادة الطفل وتهذيب نفسه وتقويمها وتأديبها على السلوك الإسلامي الحميد ، وهما من الأفعال المعتبرة شرعاً ، إذ تصح العبادة من الطفل ، ويثاب عليها إلحاقاً له بالبالغ[٤] لما رواه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : (إن امرأة رفعت صبيًّا إلى النبي ﷺ فقالت : ألهذا حج؟ قال : «**نعم ولك أجر**»[٥] .

والطفل ـ وإن لم يكن مكلفاً ـ لما روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «**رُفع القلم عن ثلاثة ... وعن الصبي حتى يكبر**»[٦] . فقد خاطبت الشريعةُ

---

(١) منهج التربية الإسلامية ، لمحمد قطب ٢/ ١٤٧ .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين ، للغزالي ٣/ ٧٠ .

(٣) انظر : تفحة المودود ، لابن قيم الجوزية / ٢٤٠ .

(٤) انظر : الأشباه والنظائر ، للسيوطي/ ٢٤ .

(٥) رواه مسلم ٢/ ٩٧٤ رقم ١٣٣٦ كتاب الحج ، باب : صحة حج الصبي ، وأجر من حجّ .

(٦) رواه أبو داود والنسائي : أبو داود ٤/ ١٣٩ رقم ٤٣٩٨ كتاب الحدود ، باب : في المجنون=

الإسلامية أولياءه ليعوِّدوه على ممارسة العبادة .

من هذا : قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١) .

فهذه الآية خاطبت الأولياء بأن يؤدبوا أولادهم بأدب الاستئذان إذا أرادوا الدخول على أهلهم في الأوقات الثلاثة : قبل الفجر ، ووقت القائلة ، وبعد صلاة العشاء ؛ لأنها وقت نوم وراحة ، فلا يؤمن فيها من التكشف والتعري(٢)، ويمتثل الرسول ﷺ هذا الخطاب فيؤدب أنساً به ، فعنه ـ رضي الله عنه : (كنت خادماً للنبي ﷺ قال : «فكنت أدخل بغير استئذان فجئت يوماً فقال : **«كما أنت يا بني، فإنه قد حدث بعد أمر لا تدخلن إلا بإذن»**(٣) .

ومنها : قوله تعالى : ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾(٤) ، فالآية تأمر باختبار اليتامى وذلك بتتبع أحوالهم في صلاح الدين والاهتداء إلى ضبط المال ، وحسن التصرف فيه ، وتجريبهم في ذلك بما يليق بحالهم(٥) .

ومنها : حديث سبرة الجهني ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

= يسرق أو يصيب حدّاً . والنسائي ٦/ ١٥٦ كتاب الطلاق ، باب : من لا يقع طلاقه من الأزواج . قال الأرناؤوط : إسناده حسن . انظر : حاشية جامع الأصول ١/ ٦١١ .

(١) النور : ٥٨ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٢/ ٣٠٤ .

(٣) رواه البخاري في أدبه ٢/ ٢٧١ ، باب : قول الرجل (يا بني) لمن أبوه لم يدرك الإسلام .

(٤) النساء : ٦ .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود ٢/ ١٤٥ .

«علّموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشرة»[١] ، قال ابن قدامة : (هذا التأديب المشروع في حق الصبي لتمرينه على الصلاة، كي يألفها، ويعتادها ولا يتركها عند البلوغ، وليست واجبة عليه . . .)[٢] .

والتمرين على العبادة لا يخص الفريضة منها بل يتسع ليشمل النوافل، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : **(بتُّ عند خالتي ميمونة**[٣] **ليلةً، فقام النبي ﷺ فتوضأ من شَن معلق وضوءًا خفيفاً... وقام يصلي، فتوضأت نحواً مما توضأ ثم جئت فقمت عن يساره فحولني فجعلني عن يمينه ثم صلى ما شاء الله)**[٤] ، وعن الربيع بنت معوِّذ ابن عفْراء قالت : أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار : من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم . قالت : فكنا نصومه بعد، ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار)[٥] . قال الإمام النووي : (في هذا الحديث تمرينُ الصبيان على الطاعات، وتعويدُهم العبادات، ولكنهم ليسوا مكلفين)[٦] . . . إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدَّالة على فاعلية التعويد والتعليم في بناء عبادة الطفل المسلم .

وليست الشعائر التعبدية وحدها التي تبنى بالتعليم والتعويد بل هما وسيلة بناء كل أنماط السلوك القويم، والآداب الحميدة، مثل : أدب الطعام والشرب، وأدب المشي والجلوس، وأدب النوم واليقظة، وأدب التحية، وأدب الأسرة ،

---

(١) رواه الترمذي ، وتقدم تخريجه/ ٣٠٨ .

(٢) المغني ١/ ٦١٦ .

(٣) ميمونة بنت الحارث الهلالية ، أم المؤمنين ، ماتت سنة ٥١ هـ. انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ١٣/ ١٥٩ رقم ٣٤٩٩ ، والإصابة لابن حجر ١٣/ ١٣٨ رقم ١٠٢٣ .

(٤) رواه البخاري : ١/ ٦٤ رقم ١٣٨ كتاب الوضوء، باب : التخفيف من الوضوء.

(٥) متفق عليه، وتقدم تخريجه .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ٨/ ١٤ .

وأدب قضاء الحاجة، وأدب الحديث ، وأدب الاجتماع، وأدب السفر ، إلىٰ غير ذلك من الآداب الفردية والجماعية التي ورد الحث علىٰ التأدب بها والتي ينبغي علىٰ الأولياء أن ينشئوا أطفالهم عليها ، ولقد كان رسول الله ﷺ حريصاً علىٰ إرشاد من حوله من الأطفال إلىٰ الأدب الرفيع ، فعن عمر بن أبي سلمة قال : كنت في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي : «**يا غلام: سمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك**»[١] . عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ أتىٰ بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام[٢] وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: «**أتأذن لي أن أعطي هؤلاء**» فقال الغلام: (والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحداً فتله[٣] رسول الله ﷺ في يده)[٤] .

وعلىٰ منهج رسول الله ﷺ سار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في تأديب أطفالهم علىٰ لبس الحلال. فعن عبد الله بن يزيد[٥] ـ رضي الله عنه ـ قال: (كنا عند عبد الله يعني: ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فجاء ابن له عليه قيمص من حرير. قال: من كساك؟ قال: أمي. قال: فشقه، قل لأمك تكسوك غير هذا)[٦] .

---

(١) رواه مسلم ٣/ ١٥٩٩ رقم ٢٠٢٢ كتاب الأشربة، باب: ١٣ .

(٢) قاله النووي: جاء في مسند أبي بكر بكر بن أبي شيبة أن هذا الغلام هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/ ٢٠١ .

(٣) تله : وضعه.

(٤) متفق عليه : البخاري ٥/ ٢١٣٠ رقم ٥٢٩٧ كتاب الأشربة، باب: هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر ؟ . ومسلم ٣/ ١٦٠٤ رقم ٢٠٣٠ كتاب الأشربة، باب: استحباب إدارة اللبن ونحوها عن يمين المبتدئ.

(٥) هو: أبو موسىٰ الأنصاري الخطمي، شهد بيعة الرضوان ، ولي الكوفة وشهد مع علي صفين والجمل والنهروان . انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ٧/ ٣٥ رقم ١٦٨٥ ، والإصابة لابن حجر ٦/ ٢٤٤ رقم ٥٠٢٤.

(٦) رواه الطبراني: قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ٥/ ١٤٤ كتاب اللباس، باب: لبس الصغير الحرير .

ذلك أن الطفل إذا شبَّ على العبادة، وتمرَّن على أدائها، ونشأ على الخلق السويّ، وتمثله في سلوكه فلا يبلغ سن التكليف إلا وقد أشْربتْ نفسه عبودية الله تعالى، وتلذذت بأدائها، وسكنت إليها، وأنست بها وأصبح ذلك طبعاً وسجيّة، وهذا غاية ما يستهدفه التثقيف من وراء الطفل العبادي، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١]، وكان على ذلك الطبع وتلك السجيّة رسول الله ﷺ إذا يُسَر بالصلاة ويستريح، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُبِّب إليَّ من الدنيا النساء والطيب وجعل قرَّة عيني في الصلاة**»[٢]، عن عبد الله بن محمد الحنفية [٣] قال: (دخلت مع أبي على صهر لنا من الأنصار فحضرت الصلاة فقال: يا جارية ائتيني بوضوء لعلِّي أصلي فأستريح، فرآنا أنكرنا ذاك عليه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قم يابلال فأرحنا بالصلاة**»)[٤].

ثانياً: القدوة الحسنة:

سبق الحديث عن أهمية القدوة ومدى تأثيرها في بناء إيمان الطفل[٥] وتبين أن إيحاءها العملي أنفذ أثراً من الإرشاد النظري، وأن تمثُّل الرسول ﷺ للإيمان قولاً وعملاً وسلوكاً كان من العوامل الأساس التي ساعدت على انتشار الإسلام ودخول الناس فيه أفواجاً.

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) رواه أحمد والنسائي والحاكم: أحمد ٣/ ٢٨، والنسائي ٧/ ٦١، كتاب عشرة النساء، باب: حب النساء. والحاكم في مستدركه ٢/ ١٦٠ كتاب النكاح، خير هذه الأمة أكثرها نساء، وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي على ذلك في التخليص.

(٣) عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي، ثقة، مات سنة ٩٩هـ. انظر: تقريب التهذيب ١/ ٤٤٨ رقم ٦٠٨.

(٤) رواه أحمد وأبو داود: أحمد ٥/ ٣٧١، وأبو داود ٤/ ٢٩٦ رقم ٤٩٨٦، كتاب الأدب، باب: في صلاة العتمة، قال الأرناؤوط: إسناده صحيح. انظر: حاشية الأصول ٦/ ٢٦٣.

(٥) راجع/

ومن البدهي أن النفوس في جميع مراحل نموها وفي الطفولة على الخصوص مشغوفة بالإعجاب بمن هو أعلى منها كمالاً، ومهيأة للتأثر بشخصيته واستهواء فكره وخلقه وسلوكه ومحاولة تقليده.

وإذا كان التعويد من الطرق المثمرة في بناء عبادة الطفل فإن (القدوة الصالحة من أعظم المعينات على تكوين العادات الطيبة، حتى أنها لتيسر لمعظم الجهد في كثير من الحالات، ذلك أن الطفل يحب المحاكاة من تلقاء نفسه، وأطفال المسلمين يحاكون أبويهم في الصلاة حتى من قبل أن يتعلموا النطق. ويصبح تعويدهم عليها أمراً سهلاً في الموعد المحدد . . . إلا الشواذ من الأطفال . . فهؤلاء . . . يحتاجون إلى المزيد من الجهد للتعويد . . .)[1] . ويساعد على انتفاع الطفل المسلم بالقدوة وانطباعه بأقوالها وأفعالها العبادية أن غالب العبادات الظاهرة، مدركة بالرؤية والسماع : من أولى قدراته نمواً ونضجاً، لذا يتأثر بها سريعاً ويقلدها في سن مبكرة.

إن النماذج البشرية المتمثلة لأحكام الإسلام في القول والعمل من أهم العوامل المشاركة في غرس العبادة في النفوس ، والمساعدة على التزامها باطناً وظاهراً ، والعبادات والقيم مهما كانت سامية باهرة لا يكون لها تأثير فعَّال إلا إذا تحولت إلى واقع متحرك أو إلى بشر مترجم لها بأفعاله ومتمثل لها في تصرفاته وسلوكه ومشاعره وأفكاره[2] ، وذلك لما يلي :

أ- لأنها تخلع على الملتزم بها صفة الكمال البشري وهذه المرتبة محفوفة بالإعجاب والتقدير من الناس، ومن شأن هذه الشخصية المتكاملة أن تولد في فاقديها حافز تقليدها ومحاكاتها .

---

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ٢/ ١٤٨ .

(٢) انظر : في ضوء القرآن والسنة، د. التهامي نفرة/ ٥٠ . وللاستزادة انظر : الرسول المعلم ، د. محمد رافت سعيد/ ٨٦.

ب ـ لأنها تمنح الآخرين قناعة بأن التكاليف والفضائل التي تمثلتها القدوة ممكنة التطبيق وفي متناول طاقة الإنسان وقدرته ؛ ذلك أن شاهد الحال أقوىٰ من شاهد المقال[1] .

ولقد كانت شخصية الرسول ﷺ المثال الواقعي الذي نصبه الله تعالىٰ للاحتذاء به في عبادته القولية والفعلية[2] . قال تعالىٰ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[3] . وكانت عبادته المقياس الصحيح الذي تقاس به العبادة صحة وكمالاً ، فعن مالك بن الحويرث[4] قال : قال رسول الله ﷺ : «**صلُّوا كما رأيتموني أصلي...**»[5] . وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ يوم النحر : «**لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلّي لا أحجّ بعد حجّتي هذه**»[6] . وعن سهل بن سعد الساعدي قال : رأيت رسول الله ﷺ صلّىٰ عليها (أي : علىٰ أعواد المنبر)[7] وكبَّر وهو عليها ، ثم ركع وهو عليها ، ثم نزل القهقري[8] فسجد في أصل المنبر[9] ، ثم عاد ، فلما فرغ أقبل علىٰ الناس فقال : «**أيها الناس إنّما صنعت هذا لتأتمّوا ،**

(١) انظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن الميداني ١/ ٢٠٣ .
(٢) رجح الإمام القرطبي أن اتخاذ الرسول قدوة واجب في أمور الدين ومستحب في أمور الدنيا . انظر : تفسير القرطبي ١٤/ ١٥٦ .
(٣) الأحزاب : ٢١ .
(٤) الليثي ، سكن البصرة ، ومات بها سنة ٦٤هـ . انظر : الإصابة لابن حجر ٩/ ٤٣ رقم ٧٦١١ .
(٥) رواه البخاري ١/ ٢٢٦ رقم ٦٠٥ كتاب الأذان ، باب : الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة .
(٦) رواه مسلم ٢/ ٩٤٣ رقم ١٢٩٧ كتاب الحج ، باب : استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً . . . إلخ .
(٧) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٢/ ٣٩٩ .
(٨) القهقري : هو المشي إلىٰ الخلف من غير أن يعيد وجهه إلىٰ جهة مشيه . النهاية لابن الأثير ٤/ ١٢٩ .
(٩) أي : سجد علىٰ الأرض إلىٰ جنب الدرجة السفلىٰ منه . انظر : فتح الباري لابن حجر ٢/ ٤٠٠ .

ولتعلموا صلاتي»(١) ، وبعد وفاته ﷺ كان هديُه المنهجَ الذي يثقف عليه الصحابة أولادهم . عن علي بن الحسين قال : (كنَّا نُعلّم مغازي النبي ﷺ كما نُعلّم السورة من القرآن)(٢) . ولا تزال سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه وخيار الأمة نماذج حيَّة للاهتداء والاقتداء يجب على القائمين على التثقيف أن يغرسوا في نفوس أطفالنا الإعجاب بهم والاقتداء بهديهم فإن القدوة ذات تأثير في الراشدين وهي في الصغار أعمق أثراً وأوفى ، لذا كان رسول الله ﷺ يحسن مخالطتهم ويحرص على سلامة معاملتهم وموافقتها للشرع ؛ لأن الطفل إذا وجد القدوة الحسنة ولقي تشجيعاً على الاقتداء بها اكتسب طبعه صفاتها وخصالها ، عن أنس قال : (أتى عَلَيَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان ، فسلّم علينا فبعثني في حاجة فأبطأت على أمي . فلما جئت قالت : ما حبسك؟ قلت : بعثني رسول الله ﷺ لحاجة ، قالت : ما حاجته؟ قلت : إنها سرّ . قالت : لا تحدثنَّ بسرِّ رسول الله ﷺ أحداً)(٣) .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : (كنت مع النبي ﷺ فمرَّ على صبيان فسلَّم عليهم)(٤) ، فلا عجب أن يتشرب أنس رضي الله عنه خُلق حفظ السرِّ وهو طفل ؛ لأنه ربيب بيت النبوة فكان هذا الخلق ثمرة اقتدائه برسول الله ﷺ ، وهو مثال واضح على تأثير الطفل واستهوائه صفات والديه ومربيه . فهو إذا رأى والده يكذب لا يمكن أن يتعلم الصدق ، والطفلة إذا رأت أمها متبرجة متهتكة لا يمكن أن تتعلم الستر والحشمة ، فالكذب على الطفل أو بمرأى منه يبذر في نفسه

---

(١) رواه البخاري ١/ ٣١٠ رقم ٨٧٥ كتاب الجمعة ، باب : الخطبة على المنبر .

(٢) رواه الخطيب البغدادي ، وتقدم تخريجه .

(٣) رواه مسلم ٤/ ١٩٢٩ رقم ٢٤٨٢ كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) رواه الترمذي ٤/ ١٦٠ رقم ٢٨٣٧ ، أبواب الاستئذان ، باب : ما جاء في التسليم على الصبيان ، وقال : حديث صحيح .

صفته، والتبرج أمام الطفلة يبذر في نفسها الميل إلىٰ التعري . فعن عبد الله بن عامر [(١)] ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: (أتانا رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي، قال: فذهبت لألعب فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطيك، فقال رسول الله ﷺ: «**وما أردت أن تعطيه؟**» قالت: تمراً، فقال: «**أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة**»[(٢)] . وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ولا يَعِدُ الرجلُ صبيه ثم لا يوفيه**»[(٣)] فالرسول ﷺ يُحَذر من الكذب علىٰ الطفل خشية أن يتأثر به فينشأ كذوباً، ويؤكد علىٰ الوالدين والمربين ضرورة التزامهم بالإسلام في معاملتهم وسلوكهم واستشعارهم ذلك ليكونوا قدوة صالحة لبنيهم، وهذا شأن عباد الله تعالىٰ، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[(٤)] ، قال ابن كثير في تفسيره ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: (هداة مهتدين دعاة إلىٰ الخير، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم، وأن يكون هداهم متعدياً إلىٰ غيرهم بالنفع)[(٥)] .

ثالثاً: الترغيب والترهيب:

هذا الأسلوب من الطرق المهمَّة الباعثة علىٰ الانقياد لأمر الله تعالىٰ والإحجام عن نواهيه ومن أعظمها تأثيراً في حفز النفس الإنسانية للإقبال علىٰ العبادة والنفور من المعصية؛ لأنها مفطورة علىٰ الإقدام علىٰ ما رغبت فيه، وعلىٰ

---

(١) القرشي، العبشمي ابن خال عثمان بن عفان، كانت له سنتان عند وفاة رسول الله ﷺ، ولاَّه عثمان البصرة، وضمّ إلىٰ واليته فارس، أقام بالمدينة ومات سنة ٥٧هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٦/ ٢٥٢ رقم ١٥٨٧، والإصابة لابن حجر ٧/ ٢٠٥ رقم ٦١٧٥ .

(٢) رواه أحمد وأبو داود: أحمد ٣/ ٤٤٧، وأبو داود ٤/ ٢٩٨ رقم ٤٩٩١ كتاب الأدب، باب: في التشديد في الكذب.

(٣) رواه ابن ماجه ١/ ١٨رقم ٤٦ في المقدمة، باب: اجتناب البدع والجدل.

(٤) الفرقان: ٧٤.

(٥) ٣/ ٣٣٠.

النفور مما رهبت منه، فإذا رغبت في أمر استعدت له ، وتحفزت للفوز به واشتاقت إليه، وإذا خُوفَت من أمر تهيأت له واستعدت للنفور منه[١] واشمأزت من ملاقاته.

فالرغبة والرهبة استعدادان متقابلان في النفس الإنسانية يعملان على توجيه أهداف الإنسان وسلوكه ومشاعره وأفكاره نحو ما يحقق له رجاءه ويدفع عنه خوفه[٢] ، ولأهمية هذه الوسيلة في هداية الإنسان وتوجيهه، ولتأثيرها الفعال في تطويع نفسه وتذليلها لاستجابة أمر الله تعالى وتحذيرها عن نهيه، استخدمها القرآن للترغيب في عبادة الله تعالى والحثّ على التزامها وللترهيب من معصية الله تعالى والتنفير من اقترافها ، وحضّ الأولياء عليها لترغيب أهلهم [٣] في طاعة الله تعالى، وترهيبهم من مغبَّة معاصيه، فقال تعالى في معرض الثناء على إسماعيل عليه السلام للاقتداء به في صنيعه مع أهله : ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[٤] ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٥] .

ويقصد بأسلوب الترغيب وعد النفس المؤمنة بما تشتاق إليه وترجو نيله من نعيم الدنيا والآخرة إذا التزمت بطاعة الله ، ودانت له في الحياة ، وقد استعمل هذا الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم ، منه ما وعد الله به المؤمنين إذا حققوا عبودية الله تعالى بأن يستخلفهم في الأرض، ويُمكّن لهم الدين، ويُنْعِم عليهم

---

(١) انظر: معالم في التربية ، د. عجيل النشمي/ ٢٠٦ .

(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية، د. محمد قطب ١/ ١٢٨ .

(٣) أهل الرجل: عشيرته ، وذوو قربان . انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي ٣/ ٣٤٢، ويدخل الولد في معناها دخولاً أوليا.

(٤) مريم: ٥٥ .

(٥) التحريم: ٦ .

بالأمن ، وهذه من أجل النعم الدنيوية على المؤمن ، قال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1] .

ووعدهم بالأجر العظيم في الآخرة والأمن من التبعات يوم القيامة، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] .

والترغيب أسلوب يشجع النفس المؤمنة على الإقبال على العبادة ويحثّها على المسارعة إليها، والمداومة على أدائها ويدفعها إلى التحلي بمكارم الأخلاق، والتأدب بها مع الآخرين، ويوقظ في حسّ المؤمن الارتباط بالله تعالى، وطلب محبته ومرضاته ، ونيل ثوابه ونعيمه ، قال تعالى في سياق الثناء على عبادة زكريا وأهله عليهم السلام واتصال قلوبهم به رجاءً وخوفاً للاقتداء بهم : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ[3] وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[4] ، وقال تعالى مرغباً في المسارعة إلى مغفرة الله والفوز بما أعده للمتقين العابدين : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[5] .

---

(١) النور : ٥٥ .
(٢) البقرة : ٢٧٧ .
(٣) الخيرات : الطاعات .
(٤) الأنبياء : ٩٠ .
(٥) آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٦ .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر فاقرأوا إن شئتم: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[1]»[2].

وإذا كنا بصدد تثقيف الطفل عباديًّا فينبغي أن يعلم أن هذا التثقيف لن يؤدي دوره المطلوب، ولن يؤتي ثمرته المرجوة (ما لم يعرف الطفل . . . أن هناك نتائج سارَّة أو مؤلمة وراء عمله وسلوكه فإن عمل خيراً نال السرور والحلاوة، وإن عمل شرًّا ذاق الألم والمرارة)[3] .

ويمكن إشعاره بحسن عمله باتباع الوسائل التالية:

أ ـ الثناء عليه ومدحه مع مراعاة الاقتصاد في ذلك حتى لا يعتاده، ويأنس به، ويقصده من وراء فعله، فيقع في الرياء المذموم.

ب ـ تشجيعُه ومكافأته بما يستميل قلبه، ويرغبه في المداومة على العبادة والحرص على أدائها.

جـ ـ ترغيبُه في محبة الله تعالى والفوز بنعيمه. ويمكن أن يستعين المربي بالصور والمعاني القرآنية والنبوية القريبة من فهمه والمُعَرفة بنعيم الجنة ولذائذها، وأن الله أعدها للممتثلين لأمره والمجتنبين لنهيه.

ولهذه الوسيلة الدور الأكبر في بناء الطفل عباديًّا، خاصة إذا نما قلبه بمعرفة الله، وفاض بحبه، وأُشْعِر بأن محبة الله لا تنال إلا بمتابعة أوامره والاهتداء

---

(١) السجدة: ١٧.

(٢) رواه البخاري ٣/ ١١٨٥ رقم ٣٠٧٢ كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة.

(٣) فسلفة التربية القرآنية، د. محمد فاضل الجمالي/ ٩٩.

بهداه في شئون الحياة كلها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١) ، ومع ازدياد إيمانه يكون لآيات الترغيب وأحاديثه دور ظاهر في حثّه على التزام العبادة والمثابرة على أدائها.

ويقابل الترغيب في العبادة الترهيب من المعاصي والذنوب، ويقصد بالترهيب : وعيد النفس المؤمنة بما تكرهه وتحذر الوقوع في أسبابه من عذاب الدنيا والآخرة إذا خالفت أمر الله تعالى واقترفت ما نهى الله عنه.

ولأسلوب الترهيب أثر كبير في استثارة النفس المؤمنة وتنفيرها من الإقدام على معاصي الله تعالى، وفي حملها على طاعة الله ومتابعة أمره للوقاية من وعيده المتحقق في الدنيا والآخرة، قال تعالى متوعداً بالهلاك في الدنيا للمعرضين عن عبادة الله، والمتمردين على أوامره والمستكبرين على اتباع أمره ومتابعة رسله عليهم الصلاة والسلام : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾(٢)، وقال تعالى متوعداً بالهلاك والدمار من خرج على أوامر الله تعالى وارتكب نواهيه: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾(٣)، وقال تعالى متوعداً بالعذاب المهين في الآخرة لمن عصاه وفرّط في حدوده: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٤) ، وقال تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ

(١) آل عمران: ٣١.
(٢) فصلت: ١٣ـ ١٤.
(٣) الإسراء: ١٦.
(٤) النساء: ١٤.
(٥) مريم: ٥٩ـ ٦٠.

* حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾[١] .

والترهيب أسلوب وقائي يحفز النفس المؤمنة على المبادرة إلى فعل الخير ولو كان قليلاً، وعلى الكف عما نهى الله عنه ولو كان يسيراً، فعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتقوا النار، ثم أعرض وأشاح»**[٢]، ثم قال: **«اتقوا النار»**، ثم أعرض وأشاح ثلاثاً حتى ظننت أنه ينظر إليها، ثم قال: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»**[٣] . وذكر ابن رجب أن القدر المطلوب منه هو (ما حَمَل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً فإن تزايد على ذلك)[٤] كان مذموماً؛ لأنه مجلب للقنوط من رحمة الله وسعة مغفرته.

وهو من الوسائل المهمَّة البانية لعبادة الطفل، الحاملة للمربين على تعويده السلوك الحميد ومن الضرورة ثقافيًا أن يُبَصر الطفل بخطئه ليتعرف عليه وليميز بين الخبيث والطيب، ويمكن تعليمه ذلك باتباع الوسائل التالية:

أ- المعاتبة على فعل الخطأ وتعظيمه في نفسه، ويحسن أن يكون ذلك سرًّا في بادئ الأمر؛ حتى لا يعتاد سماع الملامة أمام الآخرين فينعدم تأثيرها في نفسه[٥] .

ب- النصح والتحذير من مغبة الذنوب والمعاصي وأنها مجلبة لغضب الله تعالى

---

(١) المدثر: ٤٢-٤٧.

(٢) أشاح: أي حذر النار كأنه ينظر إليها أو جدّ على الإيصاء باتّقائها. انظر: النهاية لابن الأثير ٢/ ٥١٧.

(٣) متفق عليه: البخاري ٥/ ٢٣٩٥ رقم ٦١٧٤ كتاب الرقاق، باب: من نُوقش الحساب عُذّب. ومسلم ٢/ ٧٠٤ رقم ١٠١٦ كتاب الزكاة، باب: الحثّ على الصدقة ولو بشق تمرة... إلخ.

(٤) التخويف من النار والتعريف بحال البوار، لابن رجب/ ١٩.

(٥) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي ٣/ ٧٠.

وسخطه، فيخوف من السرقة وأكل الحرام والخيانة والكذب والفحش[١] وغيرها من المعاصي والخصال الذميمة.

جـ- الضرب الرادع إذا ارتكب معصية أو فرَّط في العبادة، فعن سبرة بن معبد قال: قال رسول الله ﷺ: «**علِّموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر**»[٢]. وقال الإمام الشافعي - رحمه الله -: (على الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم ويعلموهم الطهارة والصلاة ويضربوهم على ذلك إذا عقلوا)[٣].

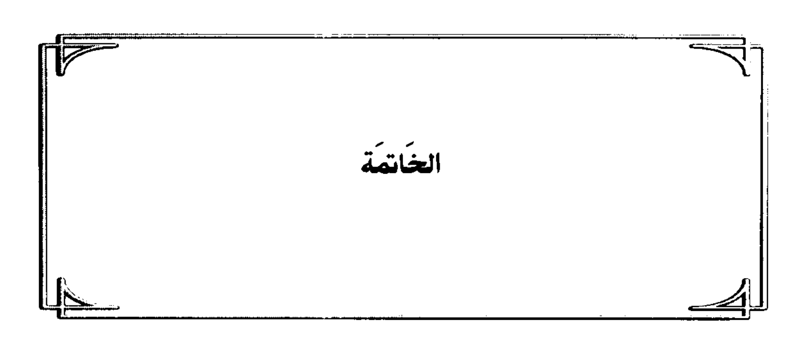
د- التهوين من أمر الدنيا في نظره والحث على التزود للآخرة ويوضح له أن الدنيا لا بقاء لها، وأن الموت يقطع نعيمها، وأنها دار ممر إلى الآخرة التي يكون فيها البقاء المستمر والنعيم الدائم[٤].

هـ- التخويف من النار والتحذير من التعرض لعذابها الأليم ويمكن أن يستعين المربي بالصور والمعاني القرآنية والنبوية القريبة من فهمه، والمُعَرِّفة بعذابها، فإن هذه الوسيلة ذات أهمية كبيرة في استئصال المعصية من نفسه، وتكريهها إليه، خاصة إذا تحرك الإيمان في قلبه ودبَّت فيه خشية الله تعالى والخوف من غضبه وسخطه.

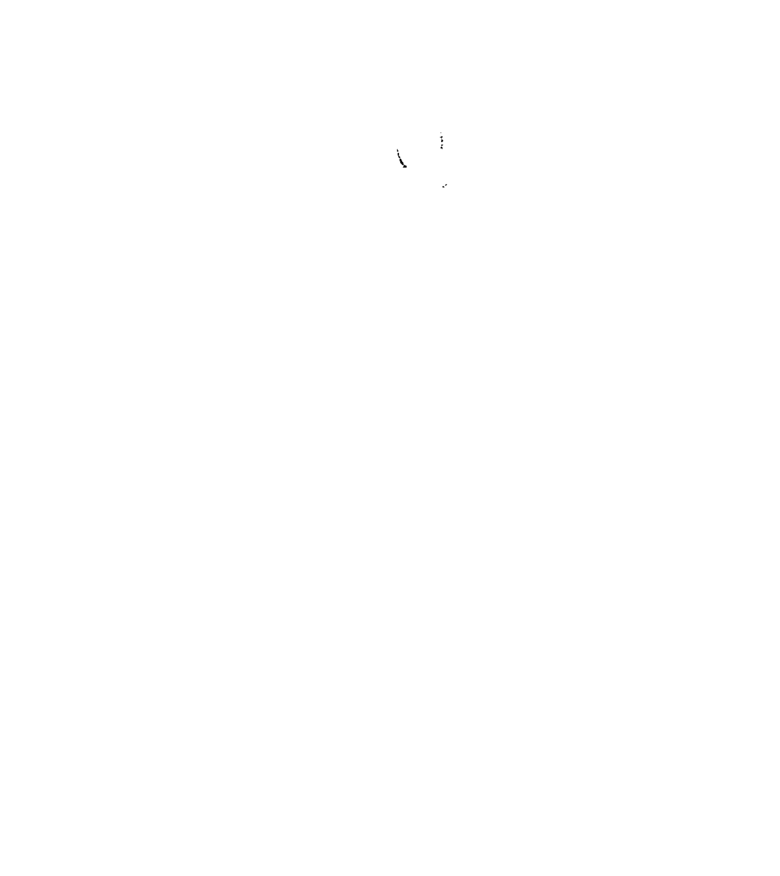
ويأتي اهتمام الثقافة الإسلامية باستخدام وسيلة الترغيب والترهيب في بناء عبادة الطفل من أنها ذات تأثير عميق في قلب الطفل ونفسه، وذات قدرة فعَّالة على تحريك فطرته نحو الخير، واستثارتها للإقبال عليه، والإقدام على فعل الطاعات والمداومة عليها، وكذلك ذات تأثير في تبغيض الشرّ له، واستثارة فطرته للنفور منه والكفّ عن المعاصي والحذر من مقاربتها[٥].

---

(١) المرجع نفسه ٣/ ٧١.
(٢) رواه الترمذي، وتقدم تخريجه/ ٣٠٨.
(٣) المجموع للنووي ٣/ ١١.
(٤) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي ٣/ ٧١.
(٥) انظر: معالم في التربية، د. عجيل النشمي/ ٢١٦.



الخَاتمَة



خاتمة البحث

أحمد الله تعالىٰ أن وفقني للفراغ من هذه الرسالة، وأشكره علىٰ إحسانه وإعانته، والتي يمكن أن ألخص أهم فقراتها فيما يلي:

١ ـ إن مرحلة الطفولة المعنية بالتثقيف تصدق علىٰ الفترة الزمنية النامية التي يعيشها الصغير من الإنسان من ساعة ولادته إلىٰ أن يحتلم.

٢ ـ إنه يتعين علىٰ كل من يتصدىٰ لعملية تثقيف الأطفال أن يدرس مرحلة الطفولة دراسة دقيقة وواعية يتعرف فيها علىٰ طبيعة نموها وخصائص مراحلها.

٣ ـ إن مفهوم النصوص الشرعية يوحي أن الطفولة تنقسم إلىٰ أربع مراحل: الرضاعة، والحضانة، والتمييز، والمراهقة.

٤ ـ بعد دراسة هذه المراحل وخصائصها اتضح أن مفهوم الطفولة يعني أنها المرحلة القابلة للنمو المتكامل في جوانب الإنسان بفضل ما زُوِّد به الطفل وهو مولود من قابلية للتغير، وقدرة علىٰ التعلم، واستعداد للانتفاع بخبرات البيئة المحيطة في أطوار الطفولة الأربعة، في نشوء فطري متقدم ومتجه إلىٰ النضج، خاضع للتفاعل الحاصل بين مقوماته الطبعية عوامل التأثير البيئية التي تعمل علىٰ إمداده وتأهيله للدور المطلوب في مستقبل الحياة، في فترة زمنية تبدأ من الولادة إلىٰ سن التكليف الشرعي.

٥ ـ وأنها تحظىٰ بدواعي الاهتمام العالمي لما تشكل من نسبة مرتفعة من عدد السكان العالمي، وللأمور التالية:

أ ـ لطول مرحلتها المتواصلة إلىٰ الرعاية والوقاية.

ب ـ لقابليتها للنماء المتدرج نحو الكمال.

جـ ـ لكونها تمثل حجر الزاوية لبناء إنسان المستقبل .

٦ ـ إن الإسلام سبق هذه الاهتمامات الحديثة وبز المجتمعات السابقة ذات الديانات المحرّفة أو الفلسفات البشرية، عناية بالطفل ، وتطبيقاً لحقوقه .

٧ ـ إن في اللغة العربية استعمالاً للثقافة يقرب من مفهومها في العصر الحاضر، ومع هذا لا يمكن القطع بأن هذه الاستعمالات اصطلاح قديم لعلم الثقافة، وليس هناك ما يثبت على وجه الجزم أن لها مفهوماً محدداً في العصور الماضية، وكل ما يمكن الجزم به أنها : علم حديث اقتضاه الظرف التاريخي الذي تمرّ به الأمة الإسلامية، وهي تواجه تحديات فكرية معادية، ومفاهيم مغلوطة وافدة، ومناهج ملتوية .

٨ ـ إن أقرب مفهوم يحدد هذا العلم ، أنه مجموعة من القيم والأفكار والمفاهيم والتطلعات وقواعد السلوك باعتبارها الروابط المشتركة بين أفراد المجتمع، ذات القدرة على توجيه قراراتهم ، وتصرفاتهم وأنماط سلوكهم، والتي تترابط في إطار مذهبي يبنى على العقيدة أو التصورات التي يؤمن بها المجتمع، ويدين لها أفراده .

٩ ـ إن أبرز خصائص الثقافة الإسلامية ما يلي :

أ ـ كونها ربانية المصدر .

ب ـ كونها أصيلة وثابتة .

جـ ـ كونها شاملة ومتزنة .

د ـ كونها قولية وعملية .

١٠ ـ إن عملية التثقيف التي يتعرض لها الطفل المسلم تمثل التفاعل الحادث بين أركان التثقيف الثلاثة :

أ ـ أجزاء الثقافة التي يؤمن بها المجتمع وهي القيم والمبادئ والمفاهيم . . . إلخ .

ب ـ المجتمع بما يمتلك من عوامل التأثير الثقافي على نقل أجزاء الثقافة إلى الطفل .

جـ ـ الطفل ، وهو محور عملية التثقيف والمتلقي لأجزائها .

وبالتالي فإن المقصود من عملية التثقيف هي : رعاية الطفل الناشئ في التعبير عن شخصيته النامية ، وحفز طاقاته الكامنة بحيث تتلاءم مع واقع المبادئ والقيم التي يؤمن بها المجتمع بواسطة العوامل المؤثرة في تثقيفه والتي تصل في النهاية إلى بناء شخصية الطفل السليمة ـ إنسان المستقبل الراشد .

١١ ـ إن هذا التثقيف لا يصنع على نظرة الإسلام وتصوره إلا إذا تقيد بالضوابط التالية :

أ ـ الخضوع لظاهرة النمو ومراعاة الفروق الفردية بين الأطفال مما يقتضي تعدد الأساليب ، وتنوع الوسائل تمشياً مع طبيعة كل مرحلة وخصائصها المنفردة .

ب ـ مراعاة عاملي الوراثة والبيئة لما للمكونات الوراثية والعوامل البيئية المحيطة من أثر واضح على صياغة حياة الطفل وتشكيل شخصيته ثقافيًا .

جـ ـ الانسجام التام أثناء التثقيف مع النظرة الثقافية المتكاملة لطبيعة الإنسان ، والعناية الشاملة لجميع مكوناته الجسمية والعقلية والروحية على اعتبار أن الإنسان كلٌّ لا يتجزأ ، وأن جميع أجزائه في حاجة ملحّة إلى عناية ورعاية .

د ـ الذاتية في بناء ثقافة الطفل المسلم التي تستمد أجزاءها من المنهج الرباني الواعي بطبيعة الإنسان ، والقادر وحده على بناء الإنسان المدرك

لدوره السامي في هذه الحياة مع الاستقلال التام عن النظريات البشرية والمفاهيم الوضعية، والتحرر من تبعيتها وإحلال الثقافة الإسلامية بتصورها محل القائم منها ، بحيث تغطي الساحة الثقافية، وتبني عليها جميع العلوم الإنسانية.

١٢ ـ أنه متىٰ صيغت ثقافة الطفل وفقاً للتصور الإسلامي فإنها في حاجة إلىٰ عوامل اجتماعية مؤثرة في بناء الطفل المسلم ثقافيًا بشرط أن تتوفر فيها الشروط التالية :

أ ـ التخطيط السليم لجميع برامجها بحيث تكون مواكبة لطبيعة تكوين الطفل وتغطي جميع حاجاته وتتلاءم مع روح الثقافة الإسلامية ومبادئها وتصوراتها .

ب ـ الأهلية الكافية لجميع المشاركين في نقلها وغرسها في نفوس الأطفال.

جـ ـ سلامة أهدافها ووضوحها بحيث تكون متوافقة مع الثقافة الإسلامية، وتعمل علىٰ بناء شخصية راشدة.

١٣ ـ إن أبرز العوامل الاجتماعية تأثيراً في بناء ثقافة الطفل أربعة : الأسرة، والمسجد، والمدرسة، ووسائل الإعلام.

١٤ ـ إن الأسرة تعد أقوىٰ هذه العوامل قاطبة وأكثرها تأثيراً في البناء الثقافي، وأقدرها في نقل الثقافة إذا توفر فيها أمران :

أ ـ الالتزام بالإسلام في جميع أحوالها مما ييسر علىٰ أطفالها انتهاج الطريق المستقيم ، والجادة السويَّة ، ويكسبهم مبادئ الإسلام وقيَمِه، ويمدهم بعناصر التثقيف النقيَّة.

ب ـ الرعاية الثقافيةالتي تميز بين الأصيل من الثقافة الإسلامية والدخيل

عليها، والتي تنقل إلىٰ الناشئة العناصر الثقافية الصحيحة والتي تراقب مسموعاته ومبصراته وتوجه فكره، وأنه متىٰ فقدت الأسرة هذين الأمرين أو أحدهما ضعف دورها الثقافي، أو توقف. ولا عجب أن يتحول إلىٰ معول هدم يحط كل أجزاء التثقيف ولبناته، ولعلّ أبرز أوجه الضعف والانحراف الذي بلغته الأسرة المسلمة ما يلي:

•• انحراف بعض الأسر كليًّا عن الإسلام والذي انعكس أثره علىٰ الطفل المسلم تاركاً جروحاً عميقة في فكره وأسلوب حياته ومواقفه.

•• الضحالة الثقافية التي منيت بها الأسرة المسلمة نتيجة للأمية أو تأثراً بحملات التغريب الحاقدة مما انعكس أثره علىٰ الناشئة، فوقعوا فريسة جهل الآباء وانخداعهم بالتيارات المسمومة.

•• استقالة الوالدين عن دورهما الثقافي: تجلَّت فداحته في خروج المرأة للعمل بحجة حاجة المجتمع إلىٰ عملها والاستجابة لمقتضيات التطور الحضاري... مما حرم الطفل رعاية والديه وتوجيههما الفكري.

١٥ ـ إن المسجد يعد من أقوىٰ العوامل الاجتماعية تأثيراً في صياغة شخصية الطفل المسلم الثقافية ويتمثل أثره الثقافي فيما يلي:

(أ) دور مباشر يمد المسجدُ فيه الطفل بعناصر الثقافة الإسلامية من خلال رسالته الثقافية حيث يؤدي الطفل فيه الصلوات المفروضة جماعة ويستمع للخطب ويشترك في حلق العلم.

(ب) دور غير مباشر ينعكس أثره علىٰ الطفل من خلال انتفاع والديه برسالة المسجد وتأثرهما بإشعاعه الفكري.

ولقد بات من المؤكد أن الطفل في العصر الحاضر أحوجُ ما يكون إلىٰ عودة رسالة المسجد الثقافية إلىٰ ما كانت عليه في العصور الإسلامية

الأولى، مع ضرورة احتضانه لعدد كافٍ من وسائل التثقيف الملائمة لسن الطفولة وإدراك هذه المرحلة، وأن يتوفر فيه عدد من المختصين التربويين ذوي الصلاح والثقافة الواسعة للإشراف على هؤلاء وتوجيههم.

١٦ ـ إن المدرسة أقدم العوامل الاجتماعية تأثيراً في بناء ثقافة الطفل المسلم، وإن أهم واجباتها نحو التثقيف ما يلي:

أ ـ **البناء والتأسيس**: ذلك أن المدرسة من الوسائل البانية لعناصر الثقافة الإسلامية ومن الأدوات الغارسة لمبادئها والمؤسسة لأصولها بالتربية والتعليم والتوجيه.

ب ـ **التأصيل والتجديد**: إذ تجمع المدرسة بين نقل الأصيل من الثقافة والجديد منها، وتحتلّ مكانة مرموقة في استمرارها.

جـ ـ **التنقية والاختيار**: لعناصر التثقيف التي ترغب في تقديمها للناشئة قبل عرضها عليهم، حفظاً لفطرهم من التبدل أو الضعف، وصيانة للثقافة الإسلامية من التغير أو الاندثار.

ولقد انكمش تأثير المدرسة الثقافي في العصور الأخيرة، وضمر عطاؤها الفكري. ويمكن تصوير حالها المتقهقر في ثلاث مراحل:

(أ) **مرحلة الجمود والقصور**: وهي المرحلة التي سبقت وصول الاستعمار بجيوشه إلى البلاد الإسلامية؛ إذ انحصر دورها في تعليم القراءة والكتابة وبعض مبادئ الدين الحنيف.

(ب) **مرحلة التبعية الثقافية**: تجلّت أيام الاستعمار حين تحولت إلى أداة تخريب ومسخ للشخصية الإسلامية، وتشويه لتاريخ الأمة الإسلامية المجيد.

(جـ) **مرحلة الازدواجية الفكرية**: والتي طمت بعد رحيل المستعمر الكافر حين أدخلت بعض المناهج الإسلامية، وأبقت الأخرىٰ علىٰ ما كانت عليه أيام الاستعمار مما أدَّىٰ إلىٰ تصادم الفكرين، وفقدان الوحدة الثقافية، وتسبب في خلق نوع من الاضطراب الفكري والانهزام النفسي مما استثار المخلصين بالدعوة إلىٰ إصلاح حال التعليم في البلاد الإسلامية. كان صداها استجابة دولية تمثل في إنشاء المركز العالمي للتعليم الإسلامي بمكة المكرمة الذي أُوكل إليه دراسة وضع التعليم في البلاد الإسلامية وإبداء التوصيات المعالجة لوضعه.

١٧ ـ إن الإعلام أداة تأثير فكري سريع تأثر الطفل به في عصور الإسلام الأولىٰ من خلال مصدريه الكتاب والسنَّة، ووسائله: الخطب، والقصص والمغازي، والشعر. ومع التقدم الصناعي الذي شهده العالم في العصر الحديث ظهرت وسائل إعلام جديدة، هيَّأت للإعلام عصراً جديداً من الاتساع والشيوع، وفرضت له قوة في التأثير الفكري لا يمتلك مجتمع من المجتمعات العزلة عنه. ومما يؤسف له أن الأمر حدث فترة غياب الفكر الإسلامي عن ساحة التأثير الثقافي مما جعل هذا العامل ينمو في بيئات كافرة أو منحرفة صنعت منه وسيلة للتغريب، ومعولاً للهدم، عادت علىٰ الناشئة المسلمة بالأثر السيئ في واقعين منحرفين:

الأول: اصطبغت حياة الطفل المسلم فيه بثقافة الغرب وطرائق تفكيره.

والثاني: أنشأ لديه فوضىٰ فكرية، واضطراباً في النظرة وقصوراً في التصور.

هذا الوضع الإعلامي يستدعي من رجال الفكر والقائمين علىٰ تثقيف الناشئة المسلمة في العالم الإسلامي أن يتداركوا الطفل وأن يحفظوه من

شرور الإعلام الفاسد، وأن يعملوا على إيقافه واستبدال الإعلام النافع به، هذا الإعلام المتقيد بالضوابط التي تقتضيها مبادئ الإسلام وقِيَمه لتتحول وسائله إلى أدوات بناء وتكوين.

١٨ ـ إن عناصر التثقيف المراد بناء شخصية الطفل المسلم عليها تحتويها جوانب ثلاثة رئيسة تعد أسس الثقافة الإسلامية، وهي: الإيمان، والفكر، والعبادة.

١٩ ـ إن مفهوم الإيمان يستعمل في الكتاب والسنَّة على وجهين:

أ ـ **عام**: شمل الدين كله، أصوله وفروعه، عمل القلب وعمل الجوارح.

ب ـ **خاص**: اقتصر على أصول الإيمان الستَّة وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.
ويعد الإيمان بالله تعالى أصل هذه الأركان والقاعدة الراسخة التي يقوم عليها بناء الإيمان.

٢٠ ـ إن اعتماد الثقافة الإسلامية على قاعدة الإيمان أكسبها استقراراً وثبوتاً للأمرين التاليين:

أ ـ كون مصدرها محفوظاً.

ب ـ كونها قائمة على الجزم والاستيقان.

٢١ ـ إن أركان الإيمان الستة تتسم بالصفات التالية:

أ ـ أنها غيبية غير مدركة بالحس وإن أدرك العقل آثارها.

ب ـ أن مصدرها الخبر الصادق.

جـ ـ أنها صالحة للقبول العقلي والإذعان الذهني.

د ـ أنها كلٌّ لا يتجزأ أو سلسلة من الحقائق الغيبية الثابتة متصل بعضها ببعض.

هـ ـ أنها تمثل الطاقة الروحية المحركة للإنسان ووسيلة الاتصال بالخالق سبحانه .

و ـ أنها قابلة للزيادة والنقصان ، يتفاوت إيمان الناس بها بين القوة والضعف .

٢٢ ـ إن مرحلة الطفولة تتنوع فيها صفة الإيمان ابتداءً بالإيمان الفطري الكامن في النفس الآخذ صفة المحاكاة والتقليد مع ظهور مخايل التمييز والمنتهى إلىٰ إيمان بصيرة وعلم حين يحسن التمييز بن الأشياء ويدرك المعاني الظاهرة الدقيقة .

٢٣ ـ إن بناء الإيمان في شخصية الطفل المسلم له أهمية خاصة في تكوين ثقافته ؛ للأمور التالية :

أ ـ كونها ركيزة البناء الأولىٰ بحيث إن ما عاده لا يعد صحيحاً مهما كان سليماً إذا لم يستقم عليها .

ب ـ موافقته للفطرة البشرية وللسنن الكونية الثابتة .

جـ ـ التزام منهجه يحقق رضا الله تعالىٰ وهو هدف سام يتطلع إليه المسلم ويحرص علىٰ بلوغه ، ويبذل في سبيله كل ما يملك .

د ـ التزامه تقوية للشخصية ؛ إذ يغرس الإيمان في نفس الطفل معاني الكمال والعزة والقوة .

هـ ـ تحقيقه إشاعة للاطمئنان النفسي الذي يحفظه من التمزق النفسي ، والاضطراب الفكري ويمده بالحيوية واليقظة ، ويؤهله لممارسة دوره في الحياة ، وهو يحمل رصيداً كبيراً من الأسس النفسية السليمة القائمة علىٰ الصلة بالله .

و ـ إدراكه إدراك للمعنىٰ السامي للحياة بحيث يقف منها موقفاً وسطاً بعيداً عن الازدراء والافتنان ، ويستشعر وظيفته السامية فيها .

٢٤ ـ وأنه يمكن بناء الإيمان في نفس الطفل المسلم بالطرق التالية :

أ ـــ **التـــدرج** : وهو ضرورة نفسية تتلاءم مع طبيعة نماء الإيمان في الطفولة .

ب ـــ **القـدوة** : وهي من أجدر الوسائل نفعاً في غرس العقيدة ، وأكثرها ملاءمة للتأثير في النفس .

جـ ـــ **توجيه العواطف** : وهي من الطرق التي تلقى استجابة مبكرة تسبق استجابته للأدلّة العقلية ، وقد تعرضت بالتوضيح لعاطفة المحبة والخوف والخشوع والتقديس من باب التمثيل لأثر هذه العواطف في كسب النفس الإنسانية للإيمان وحملها للإقدام في الخيرات والإحجام عن السيئات وزرع محبة الله تعالىٰ والخوف من سخطه والخشوع له والتقديس لذاته .

د ـــ **مشاهدة آثار الله** : وهي من أخصب الطرق التي تعرف الطفل بالله تعالىٰ ، وتفتح بصيرته على الحق والهدىٰ ، وتمنحه اليقين الراسخ بأصول الإيمان ، ومن أنفع الأدلة الواضحة على الإيمان بربوبية الله تعالىٰ وألوهيته وكماله .

٢٥ ـ إن الفكر لا يكون إسلاميًّا إلا إذا ارتبط بالكتاب والسنَّة .

٢٦ ـ إن الإسلام قدّر العقل ، ونوّه به ، وعول عليه في أمر التبعة والتكليف ، وحافظ على نشاطه وحيويته ، ومازج بينه وبين الإيمان ، وجعل للوحي حق تقويمه وتهذيبه وتوجيهه نحو ما يناسب قدرته وطاقته في منهج سديد يقيه من الزلل خلاصته ما يلي :

أ ـ إن التفكير عبادة من العبادات بشرط صحة النيّة والهدف .

ب ـ إن الإنسان مسئول عن نتيجة تفكيره وبحثه .

جـ ـ إن التفكير يجب أن يعتمد على البرهان القاطع والدليل الصادق .

د ـ إن التفكير لا يكون صحيحاً إلا إذا كان قائماً على العلل والأسباب الصحيحة.

هـ ـ إن التفكير المقبول ما كان مترفعاً عن التحيز والافتراء والبهتان، متجرداً عن الأهواء والأغراض.

و ـ إن التفكير السليم ما كان منسجماً في غايته مع أصول الإسلام وتشريعاته.

٢٧ ـ إن التفكير قوة فطريّة تَمَيَّز بها الإنسان من بين العوالم، وأنها تمرّ في مرحلة الطفولة بثلاث مراحل:

أ ـ **تفكير حسّي**، يدور حول أشياء ومعانٍ حسيّة مشاهدة أو مسموعة.

ب ـ **تفكير تصوري**، يتمكن فيه الطفل من استحضار أهم الأجزاء التي استهوته إلى ذهنه في صورة حسيَّة.

جـ ـ **تفكير تجريدي**، يصل إليه الطفل حين يبلغ ذكاؤه أقصاه، وتنضج وظائف عقله فيتمكن من التفكير في معاني الأشياء مجردة عن ذاتها المادية المحسوسة أو صورها الذهنية فيرتفع إلى مستوى المعاني والمبادئ العامة.

٢٨ ـ إن للفكر الإسلامي أهمية فذَّة، فهو الفكر الوحيد المتلائم مع الحق الذي قامت عليه السموات والأرض، والمتوافق مع طبيعة الإنسان والتي تتلخص فيما يلي:

أ ـ إنه سرّ تكريم الإنسان وتكليفه؛ إذ به يفهم الخطاب الشرعي ويلتزم بالأحكام ويمارس وظيفته في الحياة.

ب ـ إنه وسيلة الإقناع الإيماني التي ترسخ قضاياه في نفس الطفل وتحفظه من نواقضه وتقيه من داء الشبهات الفكرية.

جـ ـ إنه وسيلة للرقي العلمي والحضاري التي تبني له حضارة متقدمة في جميع جوانبها وتحقق له السعادة والرضا والطمأنينة .

د ـ إنه سبيل بناء العادات الحسنة والتحرر من إسار التقليد والجمود لتبنى العقول على الذاتية المهتدية بنور الإيمان والمنتفعة بتشريعاته والتي ينبغي أن يوضع لها أساسها في مرحلة الطفولة فترة البناء والتكوين لما سواها من مراحل .

٢٩ ـ إنه يمكن بناء الفكر الإسلامي بالطرق التالية :

(أ) رعاية محيط الطفل ثقافيًا ؛ وذلك بتقديم المعلومات الصحيحة والخبرات السليمة ، ليقوم فكره على أساس صحيح ، وبتعليمه طرق التفكير الصحيح لحلّ ما يعترضه من مشكلات والوصول إلى الحقائق ، مع ضرورة التقيد بتوجيهات الإسلام في ذلك وتنقية الجو المحيط به من كل الشوائب الفكرية الفاسدة التي تكدر على العقل صفاءه ، وتشوش عليه هدوءه ، وكذلك إتاحة الفرصة الملائمة للتفكير العلمي في واقع الحياة .

(ب) تعليم الطفل مقدمات العلوم الصحيحة وأساليب التفكير السليم وتعويده التزام الحق والوقوف على البرهان .

(جـ) تعويده النظر في مخلوقات الله تعالى ، وتأمّل حكم خلقها ، وتناسقها وترابط بعضها بدءًا بالمألوف المشاهد ، وانتهاءً بملاحظة العلل والأسباب في تدرج يتلاءم مع نمو عقله وقدرته على التفكير .

٣٠ ـ إن مفهوم العبادة جرى استعماله على معنيين :

الأول: عام: شمل جميع الأعمال الاختيارية شريطة أن تكون صواباً وموافقة لشرع الله تعالى وأن تكون خالصة لله سبحانه .

الثاني: خاص: يصدق على الأعمال المحددة التي كلف العبد بأدائها في صورة شعائر ظاهرة تدلّ على الخضوع والطاعة لله تعالى، واتي أبرزها الصلاة والزكاة والصيام والحج.

٣١ ـ إن أبرز سمات الشعائر التعبدية ما يلي:

(أ) **الوسطية والاعتدال**: إذ قامت العبادات على الحد الأوسط مما هو في قدرة العبد من غير مشقة فيه ولا انحلال.

(ب) **العموم والشمول**: حيث استوعبت العبادة جميع جوانب الإنسان التكوينية: اللسان والجسم والقلب، واتسعت لجميع جوانب الحياة فتناولت كل شئون الحياة العملية من حركة وفكر وعاطفة.

(جـ) **الاستمرار والدوام**: حيث يطالب بها العبد طول حياته ما دام قادراً على أدائها.

(د) **اليسر ورفع الحرج**: وهما صفتان ملازمتان للعبادات في الإسلام، فالحرج مرفوع والمشقة مدفوعة.

(هـ) **التوقيف والتزام النص**: حفظاً للعبادات من التغيير والتبديل وصيانة لها من الابتداع.

(و) **التنويع في صفتها وأحكامها**: حيث تأخذ صفتها أشكالاً متنوعة تدور في الإلزام والندب والتخيير توسعة على المكلفين، ودفعاً للحرج عنهم.

٣٢ ـ إن العبادة تظهر أهميتها في بناء شخصية الطفل المسلم في الجوانب التالية:

أ ـ تحقيق معنى العبودية في نفس الطفل بمراعاة أمرين:

١ ـ أن يستقر في نفس الطفل أن الحياة قائمة على عابد ومعبود، وأن الناس كلهم عباد الله تعالى وأنه وحده المستحق للعبادة.

٢ ـ أن يرافقه توجه إلى الله تعالى في كل الحركات والسكنات.

ب ـ تحقق صفة النزوع إلىٰ الخير ومجانبة الشر ؛ ذلك أن نفس الطفل متقبلة لكل ما تلقن من خير وشر حسب ما تمال إليه تميل ، وتنشئة الطفل بالعبادة يحقق لنفسه نزوعاً إلىٰ الخير والهدىٰ .

جـ ـ تعوّده الخلق الحميد وتفهمه بالتدرج بحيث يصل إلىٰ التزام الخير سلوكاً ، ويسعىٰ لتحقيقه أينما كان ، ويتوقىٰ الوقوع في شركه ، ويعمل علىٰ إنقاذ غيره منه ! !

د ـ تكوّن خلق الحمد والشكر لله تعالىٰ ؛ إذ هما من المعاني الأساس التي رمت الشريعة الإسلامية إلىٰ تحقيقها في النفس المؤمنة من وراء الجانب العبادي ، وأن من الواجب تحقيقهما في نفوس أطفالنا وتعاهدهما بكل الوسائل المجدية لتمتلأ قلوبُهم بمحبة الله وتعظيمه ، ويجري علىٰ لسانهم ذكره وشكره وتعتاد جوارحهم طاعته وعبادته .

٣٣ ـ إن من أجدىٰ الطرق تأثيراً في تكوين العبادة في نفس الطفل ما يلي :

أ ـ **التعويد والتعليم** : لأن العبادة عمل مقصود فيه الكمال علىٰ وجه شرعي ، وهذا لا يتحقق إلا بالتجربة والمران ، وأن التكرار لمدة كافية عامل أساس في تهيئة النفس لاعتياد العبادة ، وأن العادة من أقرب العوامل تأثيراً في مرحلة الطفولة .

ب ـ **القدوة الحسنة** : من الطرق المثمرة في بناء عبادة الطفل نظراً لأن الطفل يحب المحاكاة من تلقاء نفسه ، وهو أمر يتناسب مع العبادة لكونها أعمالاً ظاهرة مدركة بالرؤية والسماع وهما أولىٰ حواس الطفل نموّاً ونضجاً .

جـ ـ **الترغيب والترهيب** : وهما من الطرق القوية التي لها تأثير عميق في قلب الطفل ونفسه ، وقدرة فعَّالة علىٰ تحريك فطرته نحو الخير واستثارتها للإقبال عليه ، وتأثير في تبغيض الشر له واستثارة فطرته

للنفور منه والكف عن المعاصي والحذر من مقاربتها ، مما يحتم ضرورة أن يتدرج مع الطفل في إشعاره أسباب الثوابِ ليرغب في نيله ، والعقاب ليحذر الوقوع فيه بما يناسب تكوينه النفسي والعقلي .

هذه خلاصة لما تيسر لي بحثه في موضوع ثقافة الطفل المسلم ولا يفوتني أن أوضح أن ما جمعته من معلومات أو قمت بترتيبه وإعداده في صورة هذا البحث لا يمثل إلا بداية لتأصيل مفهوم ثقافة الطفل المسلم وأسس بنائها ، قاصداً لفت أنظار الباحثين والمفكرين إلىٰ أهمية هذا الموضوع وإبراز دور الإسلام في بناء ثقافة الطفل المسلم وأن في مصادره ما يغني عن بضاعة الغرب والشرق، وأن مرحلة الطفولة في حاجة إلىٰ ثقافة إسلامية متكاملة تحيي قلب الطفل وتشحذ عقله، وتصلح سلوكه ، وتقيه شرور الفكر الوافد، وضلال العدو الحاقد، فالطفولة هي القاعدة الواسعة من شعوب العالم الإسلامي، وهي مستقبل الأمة المأمول، وإعدادها السبيل الأمثل لاستعادة مجد الإسلام ومكانته بين الأمم .

والموضوع لا يزال بحاجة إلىٰ تسديد وإعادة نظر ، وهو أحوج ما يكون إلىٰ قدرة علمية متمكّنة من التأصيل ، قادرة علىٰ رسم منهج التثقيف، وبلورة أساليبه وأهدافه وهو ما لم أوته ولم أصل إليه علىٰ وجه متكامل . فما كان في عملي من صواب فهو من الله تعالىٰ وبسبب إعانته ، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمنِّي ومن الشيطان . وأستغفر الله العظيم من كل خطأ أو زلل وقعت فيه ، وأسأله أن يرزقني صواباً في العمل وإخلاصاً في النيَّة، وأن يلهمني رشدي، ويسدد حركتي، وأن يزيدني علماً، وأن ينفعني بما علَّمني .

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وَعلىٰ آله وصحبه وسلم .

التوصيات

١ ـ أن يحاط الطفل المسلم برعاية ثقافية شاملة تقيه غوائل الفكر الوافد وتقدم له الزاد الثقافي المتكامل وتصنعه على مبادئ الإسلام وقيمه وتصوراته وتسعى إلى إعداده إنساناً صالحاً يعي واجبه ويتحمل مسئولية استخلافه في الأرض بجدارة.

٢ ـ أن تحقق الوحدة الثقافية الملتزمة بالكتاب والسنة والمنتفعة بفهم علماء الأمة في جميع معطيات العوامل الثقافية وأهدافها التي يتعرض لتأثيرها الطفل المسلم وأن تُزال جميع أوجه الازدواجية بينها، وأن تعالج آثار ضررها بالدواء الإسلامي الناجع.

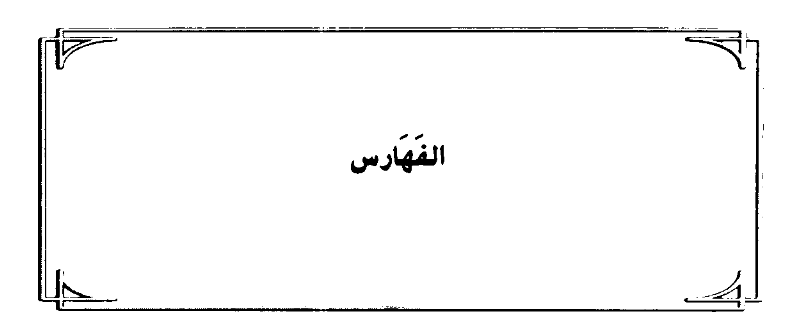
٣ ـ أن ينشط المفكرون المسلمون في تجلية معنى التثقيف وأهميته في بناء نشء صالح وأثره على مستقبل الأمة وأن يلقوا الضوء على الأضرار الخطيرة التي يتعرض لها الطفل المسلم من خلال الفكر الوافد وما يحمله معه من عناصر غريبة على ثقافة الأمة الإسلامية تترك أثراً لا يحمد على عقله وتصوراته.

٤ ـ أن ينهض الأدباء بواجبهم نحو هذه المرحلة فيمدوها بالزاد الأدبي الملتزم من خلال كتابة القصة الهادفة التي تستهدف غرس الفضيلة أو تجلية عنصر من عناصر العقيدة، أو التعريف بمجد الإسلام وقضاياه الواقعية أو من خلال نظم أنشودة مؤثرة تغرس معاني الأخوة في الله، والحب فيه والتعاون على الخير أو تستثير حماسة الطفل لقضايا الإسلام المعاصرة.

٥ ـ أن تشجع الدراسات التي تعالج قضايا الطفل ومشكلاته من وجهة نظر إسلامية، وأن تنشأ أقسام خاصة بذلك في المرحلة الجامعية تعني بأدب الطفل وصحافته وتشارك في إعداد المتخصصين في رعاية الطفل الثقافية، و

المؤهلين لبناء النشء على فكر الإسلام وتصوره.

٦ ـ أن تخص جوانب العقيدة وتصورات الإسلام ومجالات العبادة بالعناية والاهتمام في كل ما يطرح من حلول تعالج قضايا الطفل المسلم أو ما يقدم له من زاد ثقافي؛ لكون العقيدة والفكر والعبادة أسس التثقيف التي تقوم عليها ثقافة المسلم.



الفَهَارس

١ـ فهرس الأحاديث والآثار[1]

(١) جرىٰ ترتيب الأحاديث حسب أول حرف من قول النبي ﷺ، وإذا لم تكن مشتملة عليه فبأول حرف من مطالعها.

٢- فهرس بأسماء الأعلام المترجم لهم في حاشية الكتاب

اسم العلم	الصفحة

اسم العلم	الصفحة

٣- فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

(أ)

١ ـــ **أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام**: لمنى حداد يكن، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢ ـــ **الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال**: إعداد النادي الثقافي العربي، يحتوي على مجموعة محاضرات وندوات ومناقشات دارت في أسبوع المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٣ ـ **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**: د. محمد حسين، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤ ـــ **أحكام القرآن للإمام الفقيه عماد الدين بن محمد الطبري**: المعروف بالكيا الهراس، المتوفى سنة ٥٠٤هـ، تحقيق: موسى محمد علي، د. عزت علي عيد عطية، دار الكتب الحديثة، القاهرة ـ مطبعة حسان.

٥ ـــ **أحكام القرآن**: لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٦ ـــ **إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد: محمد بن محمد الغزالي**: المتوفى سنة ٥٠٥هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عام١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

٧ ـ **الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية**: لمحمود محمد الجوهري ومحمد عبدالحكيم خيّال: دار الدعوة للطبع والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ ـ مطابع الثقافة بالإسكندرية.

٨ ـ **الأدب الصغير**: لعبد الله بن المقفع، صححه وقدَّم له: محمد نصر أبو المحاسن القاوقجي، ١٣٨٠هـ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة.

الأدب المفرد: فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد.

٩ ـ **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ**: للإمام الحافظ محيي الدين أبي زكريا يحيى ابن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، المكتبة الثقافية، بيروت.

١٠ ـ **أزمة التعليم المعاصر**: د. زغلول راغب محمد النجار، مكتبة الفلاح، الكويت.

١١ ـ **أساس البلاغة**: للإمام جار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨هـ، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

١٢ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر (حاشية على كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني) تحقيق: د. طه محمد الزيني، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

١٣ ـ **الأسرة والطفولة**: د. زيدان عبد الباقي، عام ١٣٩٩هـ ـ ١٤٠٠هـ، مكتبة النهضة المصرية، دار الشباب للطباعة، القاهرة.

١٤ ـ **الأسرة والمجتمع**: د. علي عبد الواحد وافي، الطبعة الثامنة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

١٥ ـ **أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها**: عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار العلم، دمشق، بيروت.

١٦ ـ **أسس الصحة النفسية**: د. عبد العزيز القوصي، الطبعة التاسعة ١٩٨١م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

١٧ ـ **الإسلام تشكيل جديد للحضارة**: لمحمد تقي الأميني، ترجمة: د. مقتدي حسن

ياسمين، مراجعة: د. عبد الحليم عويس، دار العلوم للطباعة والنشر، عام ١٤٠٢هـ، الرياض.

١٨ ـ **الإسلام والفكر العلمي**: محمد المبارك، ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، دار الفكر، بيروت.

١٩ ـ **الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية**: الإمام محمد عبده (وهي مقالات نشرت في مجلة المنار الإسلامية)، مطبعة محمد صبيح وأولاده، القاهرة، عام ١٣٧٣/ ١٩٥٤م.

٢٠ ـ **الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية**: للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

٢١ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: للإمام أحمد بن علي العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، تحقيق: طه محمد الزيني، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٢٢ ـ **الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي**: د. محمد رأفت سعيد، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٣ ـ **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**: لعبد الرحمن النحلاوي، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار الفكر، دمشق.

٢٤ ـ **الأصول الثقافية للتربية**: مقدمة في أنثروبولوجيا التربية: ج ف نيللر، ترجمة: د. محمد منير مرسي، د. محمد عزت عبد الموجود، يوسف ميخائيل أسعد، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، مطبعة المجد.

٢٥ ـ **أصول علم النفس**: د. أحمد عزت راجح، الطبعة الثانية عشر، عام ١٩٧٩م، دار المعارف.

٢٦ ـ **أصول النقد الأدبي**: أحمد الشايب، الطبعة الثامنة ١٩٧٣م، مكتبة النهضة

المصرية.

٢٧ ــ **أضواء على التربية الإسلامية**: علي القاضي، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٠هـ، دار الأنصار، القاهرة.

٢٨ ــ **الأعلام**: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين المستشرقين لخير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م، دار العلم للملايين، بيروت.

٢٩ ــ **الإعلام في ضوء الإسلام**: د. عمارة نجيب، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٠م، مكتبة المعارف، الرياض.

٣٠ ــ **الإعلام موقف**: د. محمود محمد سفر، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، الناشر: تهامة، جدة.

٣١ ــ **الله جلَّ جلاله**: لسعيد حوى، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٣٢ ــ **الله ذاتاً وموضوعاً (قضية الألوهية بين الفلسفة والدين)**: لعبد الكريم الخطيب، الطبعة الثانية، ١٩٧١م، دار الفكر العربي.

٣٣ ــ **الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية**: لمحمد السعيد محمد الزعبلاوي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٤ ــ **الأمومة والطفولة في الإسلام**: لعبد الغني أحمد ناجي، دار الاعتصام، القاهرة.

٣٥ ــ **الإنسان بين المادية و الإسلام**: لمحمد قطب، الطبعة السادسة، ١٤٠٠هـ، دار الشروق.

٣٦ ــ **الإنسان ذلك المجهول**: ألكسيس كاريل، تعريب: شفيق أسعد فريد، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م، مكتبة المعارف، بيروت.

٣٧ ــ **الإنسان في القرآن**: لعباس محمود العقاد (ضمن المجموعة الكاملة، المجلد السابع)، الطبعة الأولى ١٩٧٤م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٣٨ ـ **الإيمان والحياة**: د. يوسف القرضاوي، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(ب)

٣٩ ـ **بحوث في علم النفس العام**: د. فائز محمد علي الحاج، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ، المكت الإسلامي.

٤٠ ـ **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**: للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، المتوفى سنة ٥٨٧هـ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤١ ـ **البداية والنهاية**: للحافظ ابن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، الطبعة الثانية ١٩٧٤م، مكتبة المعارف، بيروت.

٤٢ ـ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُّحَاة**: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

(ت)

٤٣ ـ **تاريخ التربية الإسلامية ـ نظمها، فلسفتها، تاريخها**: د. أحمد شلبي، الطبعة السابعة ١٩٨٠م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٤٤ ـ **تاريخ دولة آل سلجوق**: للإمام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصهاني، اختصرها الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، الطبعة الثانية ١٩٧١م، منشورات دار الآفاق الجديد، بيروت.

٤٥ ـ **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**: للقاضي أبي المحاسن المفضل ابن محمد بن مسعر التنوخي المعري، المتوفى سنة ٤٤٢هـ، تحقيق: د. عبدالفتاح الحلو، ١٤٠١هـ، أشرفت على طباعته ونشره: إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ، مطابع دار الهلال للأوفست، الرياض.

٤٦ ـ **تأملات في سلوك الإنسان (الحضارة الحديثة في الميزان)**: ألكسيس كاريل، ترجمة: محمد محمد القصاص، مراجعة: د. محمود قاسم، الناشر: مكتبة مصر، القاهرة.

٤٧ ـ **تبسيط العقائد الإسلامية**: لحسن أيوب، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ، دار الإفتاء والبحوث العلمية، الكويت.

٤٨ ـ **التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي)**: د. مصطفى خالد، ود. عمر فروخ، الطبعة الخامسة ١٩٧٣م، المكتبة العصرية، بيروت.

٤٩ ـ **التخويف من النار، والتعريف بحال دار البوار**: للحافظ أبي الفرج زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، الطبعة الأولى، مكتبة دار البيان، دمشق، عام ١٣٩٩هـ.

٥٠ ـ **تحفة المودود بأحكام المولود**: لشيخ الإسلام ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ، حققه وخرَّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ، مكتبة دار البيان، دمشق.

٥١ ـ **تذكرة الحفاظ**: للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، دار إحياء التراث العربي.

٥٢ ـ **التربية**: للحكيم الألماني عمانوئيل كانت، نقلته من الألمانية إلى الإنجليزية: آنت تشرتون، وترجمه إلى العربية الأستاذ: طنطاوي جوهري، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥٥هـ.

٥٣ ـ **التربية الأخلاقية الإسلامية**: د. مقداد يلجن، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر، مطبعة المجد.

٥٤ ـ **التربية الإسلامية الحرة**: لأبي الحسن علي الحسني الندوي، الطبعة الثانية، مؤسسة

الرسالة، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت.

٥٥ ــ **التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة**: لعبد الرحمن النحلاوي، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٥٦ ـ **التربية في الإسلام**: د. أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف.

٥٧ ــ **التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام**: لأنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٥٨ ــ **التربية وطرق التدريس (مقرر على طلبة السنتين الثالثة والرابعة في الكليات)**: لعبدالرحمن النحلاوي، د. عبد الكريم عثمان، د. محمد خير عرقسوسي، مطابع دار الأصفهاني، جدة، عام ١٣٩٢هـ.

٥٩ ــ **تفسير ابن كثير**: الموسوسم بتفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين، أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

٦٠ ــ **تفسير أبي السعود**: الموسوم بإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، المتوفى سنة ٩٥١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦١ ــ **تفسير الرازي**: الموسوم بالتفسير الكبير، للإمام محمد الرازي، المشتهر بخطيب الري، المتوفى سنة ٦٠٤هـ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر.

٦٢ ــ **تفسير الطبري**: جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

٦٣ ــ **تفسير القرطبي**: الجامع لأحكام القرآن.

٦٤ ــ **تقريب التهذيب**: للحافظ أحمد بن علي العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، حققه وعلّق على حواشيه: عبد الوهاب عبد المطلب، دار المعرفة للطباعة والنشر،

بيروت.

٦٥ ـ **التلخيص**: للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، المتوفىٰ سنة ٧٤٨هـ (حاشية علىٰ المستدرك للحاكم)، دار الكتاب العربي، بيروت.

٦٦ ـ **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**: للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٦٧ ـ **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**: لابن مسكويه، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، الطبعة الأولىٰ، المطبعة المصرية ومكتبتها.

٦٨ ـ **تهذيب التهذيب**: للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني، المتوفىٰ سنة ٨٥٢هـ، الطبعة الأولىٰ ١٣٢٦هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند.

(جـ)

٦٩ ـ **جامع الأصول في أحاديث الرسول**: للإمام مجد الدين، أبي السعادات، المبارك بن محمد، ابن الأثير الجزري، المتوفىٰ سنة ٦٠٦هـ، حقق نصوصه وخرج أحاديث وعلق عليه: عبد القادر الأرناؤوط، مطبعة الملاح ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٧٠ ـ **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله**: للإمام أبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي، المتوفىٰ سنة ٤٦٣هـ، قدم له الأستاذ: عبد الكريم الخطيب، الطبعة الثالثة ١٩٨٢م، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٧١ ـ **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**: لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، المتوفىٰ سنة ٧٩٥هـ، الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، بمصر.

٧٢ ـ **الجامع لأحكام القرآن**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أبو إسحاق إبراهيم إطفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت، عام١٩٦٥ ـ ١٩٦٦م.

٧٣ ـ **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**: للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد رأفت سعيد، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، مكتبة الفلاح، الكويت.

٧٤ ـ **جند الله ثقافة وأخلاق**: لسعيد حوى، دار الكتب العلمية، بيروت.

(ح)

٧٥ ـ **حاشية كتاب التوحيد**: للشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي، المتوفى سنة ١٣٩٢هـ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض.

٧٦ ـ **الحضارة الإسلامية ـ أسسها ومبادئها (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر)**: لأبي الأعلى المودودي، تقديم: محمد عبد الحكيم خيّال، دار الخلافة للطباعة والنشر.

٧٧ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، المتوفى سنة ٤٠٣هـ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار الكتاب العربي، بيروت.

(خ)

٧٨ ـ **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**: لسيد قطب، الطبعة السادسة، ١٣٩٩هـ، دار الشروق.

٧٩ ـ **الخصائص العامة للإسلام**: د. يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٧هـ، مكتبة وهبه بالقاهرة، دار غريب للطباعة.

٨٠ ـ **خلق المسلم**: لمحمد الغزالي، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ، دار القلم، دمشق.

٨١ ـ **دائرة المعارف الحديثة (موسوعة عامة في العلوم والآداب والفنون)**: لأحمد عطية الله، الطبعة الثانية ١٩٧٥م، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.

٨٢ ـ **دائرة معارف القرن العشرين (الرابع عشر ـ العشرين)**: لمحمد فريد وجدي، دار الفكر، بيروت.

٨٣ ـ **دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية**: د. محمد عبد الله دراز، دار القلم ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٨٤ ـ **دراسات في الثقافة الإسلامية**: د. علي أحمد السالوس، د. محمد عبد السلام محمد، د. محمد شلبي شتيوي، د. محمد نبيل غنايم، د. عمر سليمان الأشقر، د. رجب سعيد شهوان، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، مكتبة الفلاح، الكويت.

٨٥ ـ **دراسات في النفس الإنسانية**: لمحمد قطب، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ، دار الشروق.

٨٦ ـ **دستور الأم**: لنجامين سبوك، ترجمة: د. كمال سعيد، ومراجعة: محمد نظيف، تصدير: حسن جلال العروسي، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، عام١٩٧٨م.

٨٧ ـ **الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**: د. محمد عبد الله دراز، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ، مطابع دار الشروق.

(ذ)

٨٨ ـ **كتاب الذيل على طبقات الحنابلة**: للشيخ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

(ر)

٨٩ ـ **الرسول المعلم ومنهجه في التعليم**: د. محمد رأفت سعيد، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض.

٩٠ ـ **رعاية الطفولة**: ليوسف ميخائيل أسعد، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة.

٩١ ـ **روضة الناضر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد**: لشيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ومعها شرحها نزهة الخاطر العاطر للشيخ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بدران الدوحي، ثم الدمشقي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

(ز)

٩٢ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**: للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، المتوفي سنة ٧٥١هـ، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(س)

٩٣ ـ **سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام**: للإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني، المتوفى سنة ١١٨٢هـ، صححه وعلّق عليه: د. حسين بن قاسم السخني الحسيني، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٩٤ ـ **السلام العالمي والإسلام**: لسيد قطب، الطبعة الخامسة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، مكتبة وهبة، مصر.

٩٥ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق.

٩٦ ـ **سنن ابن ماجه**: للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجه، المتوفى سنة ٢٧٥هـ، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٩٧ ـ **سنن أبي داود**: الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، المتوفى سنة ٢٧٥هـ، راجعه وضبطه وعلّق عليه: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشرته: دار إحياء السنة النبوية، دار الفكر.

٩٨ ـ **السنن الكبرى للإمام البيهقي**: للحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ، دار الفكر.

٩٩ ـ **سنن الترمذي**: وهو الجامع الصحيح للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المتوفى سنة ٢٧٩هـ، حقق الجزء الأول منه الشيخ: عبد الوهاب عبداللطيف، وضبط وراجع باقيه مع تصحيحه الشيخ: عبد الرحمن محمد عثمان، الجزء الأول، مطبعة المدني، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، وباقي أجزائه مطبعة الاعتماد، القاهرة، ونشرت الطبعتين: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

١٠٠ ـ **سنن الدارقطني**: لشيخ الإسلام علي بن عمر الدارقطني، المتوفى سنة ٣٨٥هـ، عالم الكتب، بيروت.

١٠١ ـ **سنن النسائي**: للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣هـ، ومعه شرح جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٢ ـ **السياسة لأرسطوطاليس**: ترجمة: أحمد لطفي السيد، الطبعة الثانية ١٩٧٩م، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٠٣ ـ **سيرة النبي ﷺ**: لأبي محمد عبد الملك بن هشام، المتوفى سنة ٢١٣هـ، راجع أصولها وضبط غريبها وعلّق حواشيها الشيخ: محمد محيي الدين عبد

الحميد، من توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

١٠٤ ـــ **سيكلوجية الطفولة والمراهقة ـ حقائقها الأساسية**: د. عبد العلي الجسيماني، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ، مطبوعات جامعة الرياض.

(ش)

١٠٥ ـــ **الشخصية الإسلامية ـ دراسة قرآنية**: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، الطبعة الثالثة ١٩٨٠م، دار العلم للملايين، بيروت.

١٠٦ ـــ **شخصية المسلم كما يصورها القرآن**: د. مصطفى عبد الواحد، الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ، مطبعة دار نشر الثقافة.

١٠٧ ـــ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: للمؤرخ أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٨٩هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٨ ـــ **شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها**: لمحمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: د. صلاح المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت.

١٠٩ ـــ **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**: للعلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد ابن أبي العز، الحنفي، المتوفى سنة ٧٩٢هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

١١٠ ـــ **شرح المعلقات السبع**: لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، المتوفى سنة ٤٨٦هـ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م، الناشر: دار الجيل، بيروت.

١١١ ـــ **شرف أصحاب الحديث**: للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ، تحقيق: د. محمد سعيد خطيب أوغلي، مطبعة جامعة أنقرة، عام ١٩٧١م.

(ص)

١١٢ ــ **الصحاح في اللغة والعلوم**: معجم وسيط (تجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للجامع والجامعات العربية)، إعداد: نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، الطبعة الأولى ١٩٧٥م، دار الحضارة العربية، بيروت.

١١٣ ــ **صحيح البخاري**: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، ضبطه ورقمه وشرح ألفاظه وجمله وخرج أحاديثه في صحيح مسلم ووضع فهارسه: د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، دار القلم، بيروت.

١١٤ ــ **صحيح مسلم**: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١هـ، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووي: الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(ض)

١١٥ ــ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**: للمؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

(ط)

١١٦ ــ **طبقات الشافعية الكبرى**: لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، الطبعة الأولى، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١١٧ ــ **طبقات فحول الشعراء**: لأبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي، المتوفى سنة ٢٣١هـ، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

١١٨ ــ **الطبقات الكبرى**: لمحمد بن سعد، البصري الزهري، المتوفى سنة ٢٣٠هـ، دار

صادر ، بيروت .

١١٩ ــ **طبقات المفسرين**: للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ، المتوفى سنة ٩٤٥هـ بتحقيق : علي محمد عمر ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، الناشر : مكتبة وهبه .

١٢٠ ــ **الطفل بين الوراثة والتربية**: لمحمد تقي فلسفي ، تعريف : فاضل الحسيني الميلاني ، الطبعة الثانية عام ١٤٠١هـ ، دار المعارف للمطبوعات ، بيروت .

١٢١ ــ **الطفل المثالي في الإسلام ــ نشأته، ورعايته ، أحكامه**: لعبد الغني الخطيب ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ .

(ع)

١٢٢ ــ **العبادة ــ دراسة تخصصية شاملة (مذكرة)**: كتبها : د. محمد أبو الفتح البيانوني للدارسين في الدراسات العليا بقسم الثقافة الإسلامية ، عام ١٤٠٠هـ ، مطبوعة على الاستنسل .

١٢٣ ــ **العبادة في الإسلام**: د. يوسف القرضاوي ، مطبعة النصر ، القاهرة .

١٢٤ ــ **العبودية**: لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، الطبعة الرابعة ، المكتب الإسلامي ، بدمشق .

١٢٥ ــ **العقائد الإسلامية**: لسيد سابق ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٢هـ ، دار الفكر ، دار الجيل ، بيروت .

١٢٦ ــ **العقل والإيمان في الإسلام**: د. صابر طعيمة ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ، دار الجيل ، بيروت .

١٢٧ ــ **العقيدة الإسلامية وأسسها**: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

١٢٨ ــ **العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع**: د. محمد عبد الرحمن بيصار ،

الطبعة الرابعة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، المطبعة الفنية الحديثة .

١٢٩ ــ **علم النفس التربوي**: د . أحمد زكي صالح ، الطبعة العاشرة ، الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مطابع الدجوي .

١٣٠ ــ **علم النفس التربوي في الإسلام**: د . يوسف مصطفى القاضي ، د . مقداد يلجن ، الناشر : دار المريخ ، الرياض ، عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

١٣١ ــ **علم النفس وثقافة الطفل**: د . سمية أحمد فهمي ، الطبعة الثانية ، الناشر : مكتة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة .

١٣٢ ــ **علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)**: د . حامد عبد السلام زهران ، الطبعة الرابعة ١٩٧٧م ، الناشر : عالم الكتب بالقاهرة .

١٣٣ ــ **العوامل التي تنخر في الكيان الإسلامي**: محاضرات وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية ، المحرم ١٣٩٢هـ ، قدم لها معالي السيد : حسن محمد كتبي وزير الحج والأوقاف سابقاً ، دار الأصفهاني وشركائه بجدة .

(غ)

١٣٤ ــ **الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر**: د . علي عبد الحليم محمود ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ، دار البحوث العلمية ، الكويت .

١٣٥ ــ **الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام**: د . عبد الستار فتح الله سعيد ، دار الأنصار بالقاهرة ، مطبعة التقدم .

١٣٦ ــ **غزو في صميم**: دراسة واعية للغزو الفكري ، والنفسي والخلقي والسلوكي ، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، دار القلم ، دمشق .

(ف)

١٣٧ ــ **فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري**: للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، تصحيح وتحقيق: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

١٣٨ ــ **الفروق في اللغة**: لأبي هلال العسكري، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٣٩ ــ **الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحَل**: للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ، دار المعرفة، بيروت.

١٤٠ ــ **فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري**: للعلامة المحدث فضل الله الجيلاني، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٧٨م.

١٤١ ــ **فقه اللغة وسرّ العربية**: للإمام أبي منصور إسماعيل الثعالبي، النيسابوري، المتوفى سنة ٤٢٩هـ، توزيع: دار الباز للنشر، مكة المكرمة.

١٤٢ ــ **الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية**: محمد المبارك، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ، دار الفكر، مطابع معتوق إخوان، بيروت.

١٤٣ ــ **فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم**: علي خليل أبو العينين، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة.

١٤٤ ــ **الفلسفة التربوية في القرآن**: د. محمد فاضل الجمالي، الطبعة الأولى ١٩٦٦م، دار الكتاب الجديد.

١٤٥ ــ **فن الكتابة للأطفال**: لأحمد نجيب، الطبعة الخامسة ١٩٨١م، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر.

١٤٦ ـ **كتاب الفهرست للنديم**: لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب ، المعروف بالورّاق ، المتوفى سنة ٣٨٥هـ ، تحقيق : رضا ـ تجدد بن علي الحائري المازندراني ـ طهران .

١٤٧ ـ **فهرس الفهارس والأثبات**: للعالم المحدث الشيخ محمد عبد الحي الإدريسي الكناني ، المطبعة الجديدة في فاس ، ١٣٤٨هـ .

١٤٨ ـ **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**: للعلامة أبي الحسنات محمد عبد الحي الهندي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

١٤٩ ـ **فوات الوفيات والذيل عليها**: للشيخ محمد بن شاكر الكتبي ، المتوفى سنة ٧٦٦هـ ، حققه : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

١٥٠ ـ **في أصول التربية ـ الأصول الثقافية للتربية**: د. محمد الهادي عفيفي ، الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية ، المطبعة الفنية الحديثة .

١٥١ ـ **في ضوء القرآن والسنة**: بحوث في العقيدة والأخلاق والتشريع والمعاملات وفي الثقافة الإسلامية ، د. التهامي نفره ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ١٩٧٦م .

١٥٢ ـ **في ظلال القرآن**: لسيد قطب ، الطبعة الثالثة ، دار الشروق ، بيروت .

(ق)

١٥٣ ـ **القاموس المحيط**: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، الطبعة الثانية ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م ، شركة ومطبعة البابي الحلبي ، مصر .

(ك)

١٥٤ ـ **كشاف اصطلاحات الفنون (موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية)**: لمحمد بن علي التهانوي ، المتوفى سنة ١١٥٨هـ ، منشورات شركة خياط للكتب ، بيروت .

١٥٥ ـ **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علي ألسنة الناس**: للمفسر

المحدث إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ، المتوفى سنة ١١٦٢هـ ، تصحيح وتعليق: أحمد القلاشي، نشر وتوزيع : مكتبة التراث الإسلامي، حلب ـ دار التراث ، القاهرة .

١٥٦ ــ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: للعالم الفاضل عبد الله الشهير بحاجي خليفة، عني بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد شرف الدين يالتقايا ، منشورات مكتبة المثنى ، بيروت .

١٥٧ ــ **كتاب الكفاية في علم الرواية**: للإمام أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ ، مراجعة الأستاذين : عبد الحليم محمد عبد الحليم، عبد الرحمن حسن محمود، الطبعة الأولى، دار الكتاب الحديثة ، القاهرة ، مطبعة السعادة .

١٥٨ ــ **كيف نربي أطفالنا ؟ التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية**: د. محمد عماد الدين إسماعيل، د. نجيب اسكندر إبراهيم، د. رشدي فام منصور، الطبعة الثانية، الناشر: دار النهضة العربية، دار غريب للطباعة .

(ل)

١٥٩ ــ **لسان العرب**: لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، المتوفى سنة ٧١١هـ ، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف .

١٦٠ ــ **لفتة الكبد إلى نصيحة الولد**: للإمام ابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، دراسة وتحقيق: د. فؤاد عبد المنعم، مكتبة حميدو ، الإسكندرية .

١٦١ ــ **اللزوميات لأبي العلاء المعري**: حققه وأشرف على طبعه : جماعة من الإخصائيين، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت .

١٦٢ ــ **لمحات في الثقافة الإسلامية**: لعمر عودة الخطيب، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ ،

مؤسسة الرسالة، بيروت.

(م)

١٦٣ ــ **مجمع الأمثال**: لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، نشره: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

١٦٤ ــ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧هـ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت.

١٦٥ ــ **المجموع شرح المهذب**: للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ، دار الفكر.

١٦٦ ــ **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء**: لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني، المتوفى سنة ٥٠٢هـ.

١٦٧ ــ **محاضرات رابطة الإصلاح الاجتماعي التي ألقيت في الجلسات الثلاث لمؤتمر الطفل**: الذي عقدته رابطة الإصلاح الاجتماعي، مكتبة الأزهر العامة، رقمها الخاص ٥١٦، والعام ٤٣٢٨٥.

١٦٨ ــ **مختار الصحاح**: لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المتوفى سنة ٦٦١هـ، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

١٦٩ ــ **المختار من كنوز السنة النبوية**: شرح أربعين حديثاً في أصول الدين، د. محمد عبد الله دراز، ١٣٩٧هـ، مطبعة محمد هاشم الكتبي، دمشق.

١٧٠ ــ **مختصر سنن أبي داود**: للحافظ المنذري، المتوفى سنة ٦٥٦هـ، وعليه معالم السنن للخطابي، تهذيب الإمام ابن قيم الجوزية، بتحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية ومطبعتها، القاهرة، ١٣٦٧هـ-١٣٦٩هـ.

١٧١ ــ **مختصر شعب الإيمان**: للإمام أبي جعفر عمر القزويني، المتوفى سنة ٦٩٩هـ،

صححه وعلق عليه : محمد منير الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٢ ـــ **المخصص**: لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، المتوفى سنة ٤٥٨هـ، دار الفكر.

١٧٣ ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: للإمام ابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١هـ ، بتحقيق: الشيخ محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٧٤ ـــ **المدخل لدراسة النظم الإسلامية**: د. محمد رأفت سعيد ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، دار العلم للطباعة والنشر.

١٧٥ ـ **مذاهب فكرية معاصرة**: لمحمد قطب، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار الشروق.

١٧٦ ـــ **المستدرك على الصحيحين**: للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التخليص للذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٧٧ ـ **مستقبل العالم في صحة الطفل**: د. نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

١٧٨ ـ **المستقبل لهذا الدين**: لسيد قطب، دار الشروق، عام ١٤٠١هـ.

١٧٩ ـــ **المسجد في الإسلام ـ رسالته، نظام بنائه، أحكامه، آدابه، بدعه**: لخير الدين وائلي، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ ، مطبعة الإنشاء، دمشق.

١٨٠ ـــ **المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي**: د. علي عبد الحليم محمود، دار المعارف، مصر.

١٨١ ـــ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٨٢ ـ **مشكلة الثقافة**: لمالك بن نبي، دار الفكر ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٨٣ ـــ **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**: للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة الكوفي

العبسي، المتوفى سنة ٢٣٥هـ ، حققه وصححه : الأستاذ عبد الخالق الأفغاني ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، الدارالسلفية، الهند.

١٨٤ ــ **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد** : للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨٥ ــ **معالم التربية ـ دراسات في التربية العامة والتربية العربية** : د. فاخر عاقل، الطبعة الثانية، ١٩١٨م، دار العلم للملايين ، بيروت.

١٨٦ ـ **معالم في التربية** : د. عجيل جاسم النشمي، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، عام ١٤٠٠هـ.

١٨٧ ــ **معجم الأدباء** : لياقوت الحموي، المتوفى ٦٢٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٨٨ ـ **معجم العلوم الاجتماعية** : تصدير ومراجعة : د. إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.

١٨٩ ــ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي** : عمل : أ. ي رفنسنك ي. ب مستنج . نشر : ي بروخمن، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٦٩م.

١٩٠ ــ **معجم مقاييس اللغة** : لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، المتوفى سنة ٣٩٥هـ، تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩١ ــ **المعجم الوسيط** : قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر ، د . محمد علي النجار، أشرف على طبعه : عبد السلام هارون، مجمع ا للغة العربية.

١٩٢ ـ **المغني** : لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المتوفى سنة ٦٢٠هـ

على مختصر أبي القاسم عمر بن حسين بن عبد الله أحمد الخرفي، مكتبة الجمهورية العربية بمصر، المطبعة اليوسفية.

١٩٣ ــ **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار**: لحافظ الإسلام زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن حسين العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦هـ، مطبوع على حاشية إحياء علوم الدين للغزالي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

١٩٤ ـ **مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام (الرد على فرويد وماركس ودوركايم)**: لأنور الجندي الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ، دار الاعتصام.

١٩٥ ـ **مفاهيم تربوية في الإسلام**: د. محمود السيد سلطان، الطبعة الثانية ١٩٨١م، دار المعارف، مطابع سجل العرب.

١٩٦ ــ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**: لشيخ الإسلام ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩٧ ـ **مفتاح كنوز السنة**: وضعه باللغة الإنجليزية د. أ. ي ـ منسنك، ونقله إلى اللغة العربية: محمد فؤاد عبد الباقي، إدارة ترجمان السنة، لاهور، عام ١٣٩٨هـ.

١٩٨ ــ **المفردات في غريب القرآن**: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصهاني، المتوفى سنة ٥٠٢هـ، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

١٩٩ ــ **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**: لعلال الفاسي، الناشر: مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء.

٢٠٠ ـ **مقدمة ابن خلدون**: للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، الطبعة الثالثة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

٢٠١ ـ **مقدمة في التربية**: د. محمود السيد سلطان، الطبعة الثالثة ١٩٧٧م، دار القبس،

الكويت.

٢٠٢ ـ **المنجد في اللغة والأعلام**: الطبعة العشرون، دار الشروق، بيروت.

٢٠٣ ــ **المنقذ من الضلال لحجة الإسلام الغزالي مع أبحاث في التصوف ودراسات عن الإمام الغــزالي**: بقلم د. عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مطبعة حسان، القاهرة.

٢٠٤ ــ **منهج التربية الإسلامية**: لمحمد قطب، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، والجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الشروق.

٢٠٥ ـ **منهج جديد للتربية والتعليم**: لأبي الأعلى المودودي، مطبعة المدينة، الرياض.

٢٠٦ ــ **منهج القرآن في التربية**: محمد شديد، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ، مؤسسة الرسالة.

٢٠٧ ـ **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧هـ، حققه ونشره: محمد عبد الرازق حمزة، المطبعة السلفية، بمصر.

٢٠٨ ــ **الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي**: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، المتوفى سنة ٧٩٠هـ، شرحه الأستاذ الكبير: عبد الله دراز، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر.

٢٠٩ ــ **موسوعة أخلاق القرآن**: د. أحمد الشرباصي، الطبعة الأولى ١٩٧١م، دار الرائد العربي، بيروت.

٢١٠ ــ **الموسوعة العربية الميسرة**: بإشراف محمد شفيق غربال، دار نهضة لبنان، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢١١ ــ **موسوعة العناية بالطفل**: د. بنجامين سبوك، ترجمة: عدنان كيالي، وأيلي لاوند، إشراف: د. ظافر الكيالي، ود. جرير حلزون، الطبعة الرابعة ١٩٨١م،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

(ن)

٢١٢ ـــ **نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة**: د. فوزية دياب، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م، دار الشباب للطباعة.

٢١٣ ـــ **نحو علم الاجتماع الإسلامي**: د. زكي محمد إسماعيل، دار المطبوعات الجديدة، مطبعة الجهاد، الإسكندرية ١٩٨١م.

٢١٤ ـ **النسل والعناية به**: لعمر رضا كحالة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢١٥ ـ **نظام الإسلام ـ العقيدة والعبادة**: لمحمد المبارك، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار الفكر، بيروت.

٢١٦ ـ **نظام الإسلام ـ العقيدة والعبادة**: لمحمد المبارك، الطبعة الرابعة، عام ١٩٧٥م، دار الفكر، بيروت.

٢١٧ ـ **نظام الحياة في الإسلام**: لأبي الأعلى المودودي، طبعة خاصة بالاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، الكويت، دار القرآن الكريم للعناية بطبعه، عام ١٣٩٧هـ.

٢١٨ ـ **نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري**: لعمر عودة الخطيب، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢١٩ ـــ **نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور**: لأبي الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة ١٣٨٩هـ.

٢٢٠ ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، دار صادر، بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٢٢١ ـــ **النقد الأدبي، أصوله ومناهجه**: لسيد قطب، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٠هـ، دار

الشروق.

٢٢٢ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة الإسلامية.

(و)

٢٢٣ ـ **وحدة لتنمية الشعور الديني عند الأطفال**: د. عواطف إبراهيم محمد، الناشر: دار المجمع العلمي بجدة، عام ١٣٩٩هـ.

٢٢٤ ـ **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر ابن خلّكان، المتوفى سنة ٦٨١هـ، حققه: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

الرسائل الجامعية:

٢٢٥ ـ **دور المدرسة الابتدائية في إعداد الداعية**: رسالة ماجستير، إعداد: يوسف عزت مرسي الصباغ، قسم الحسبة، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٠ـ١٤٠١هـ.

٢٢٦ ـ **العقل، مجالاته وآثاره في ضوء الإسلام**: رسالة ماجستير، إعداد: عبد الرحمن زيد الزنيدي، قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٢ـ١٤٠٣هـ.

البحوث والمقالات والمحاضرات:

٢٢٧ ـ **مقال: الاهتمام بالطفل السعودي مطلب ملح وعاجل**: بقلم: محمد الحضيف، نشرته: صحيفة الرياض، الثلاثاء ١٣ رجب، عام ١٤٠٣هـ، العدد ٥٤٢٨.

٢٢٨ ــ **محاضرة بعنوان: التصور الإسلامي لمراحل نمو الإنسان**: للأستاذة: هانم حامد ياركندي، ألقيت في الموسم الثقافي لكلية البنات بمكة المكرمة، ونشرتها: صحيفة المدينة المنورة، الأربعاء ١٢ رجب عام ١٤٠٢هـ، العدد ٥٥٢٦.

٢٢٩ ــ **بحث: الطفل السعودي بين الواقع والمنشود**: بقلم: أسماء محمد عبد الوهاب، نشرته مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العدد السادس، عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢٣٠ ــ **بحث الطفل في نظر الشريعة الإسلامية**: د. محمد بن أحمد الصالح، نشرته: مجلة أضواء الشريعة إصدار كلية الشريعة بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الحادي عشر، عام ١٤٠٠هـ.

٢٣١ ـ **محاضرة بعنوان: العقيدة والمجتمع**: إعداد الشيخ مناع خليل القطان، ضمن برنامج الدراسات العليا لقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لعام ١٤٠٠ ـ ١٤٠١هـ.

٢٣٢ ـ **كلمة سماحة الأمين العام السابق لرابطة العالم الإسلامي**: الشيخ محمد صالح القزاز في مؤتمر إحياء رسالة المسجد المنعقد في الفترة ١٥ ـ ٢٠ رمضان عام ١٣٩٥هـ، نشرتها مجلة البحوث الإسلامية، إصدار: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المجلد الأول، العدد الثاني.

٢٣٣ ــ **مقال: مأساة الطفل العالمية**: بقلم الأستاذ: شهاب الديوني، نشرته: مجلة منار الإسلام، العدد الرابع، السنة الثامنة، ربيع الثاني ١٤١٣هـ/ ١٩٨٣.

الوثائق:

٢٣٤ ــ **التقرير النهائي والتوصيات لحلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربي**: بيروت في الفترة من ٧ ـ ١٧/ ٩/ ١٩٧٠م، إصدار الإدارة الثقافية، الأمانة العامة، جامعة الدول العربية.

٢٣٥ ـ **توصيات المؤتمرات التعليمية الإسلامية العالمية الأربع**: إعداد : المركز العالمي للتعليم الأساسي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٣٦ ـ **عناصر استراتيجية لتنمية الطفل العربي**: إصدار : الإدارة العامة للشئون الاجتماعية والثقافية، الأمانة العامة، جامعة الدول العربية.

٤ـ فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة